كتاب تحفة البررة في مسائل العشرة

عدد ١٧

I

١

كتاب تحفة البررة في شرح المسائل العشرة

للشيخ الامام الاجل الناسك
السالك المجتهد المجاهد المدقق المحقق مجد الملة والدين
البغدادي ذكره طيب الله مرقده وبرد مشهده

١٦٩٦

امين

ويتلوا ذلك كتاب المبادي العقلية ولباب الحكمة الالهية
للشيخ الامام ابي حامد الغزالي
ويتلوه رسالة العلم اللدني وكتاب المعراج السالكين
للشيخ الامام ابي حامد الغزالي
ويتلوا ذلك كتاب محك النفس وكتاب معارج النفس
للشيخ شمس الدين الديلمي

وكتاب تحفة البررة في المسائل
المبادي العقلية والرسالة اللدنية للامام
الغزالي و[illegible] في الفنون
السالكين [illegible] في الفنون
وكتاب محك النفس الانسانية في الفنون
وكتاب معارج النفوس
في الفنون

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي السلطان
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع واستفاد
وابد واسعد خلد الله ملكه الى [illegible] حرره الفقير
احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اطلع انوار العبوديه عن اكمام العباده بلوائح العنايه
واظهر نور المحبه في ظلمه البشريه بلطايف الهدايه واذاق ارواح
المحبين لذه شراب اقداح الجمال ثم ازاح عن قلوب الواقفين تعلقات
الكون بصمصام الجلال الفاصل بين الظلمه والنور في اطوار البشريه
فجعلها ستر امستورا ثم ازال صوره الظلمه بحقايق الشريعه وكشف
عن حقيقه النور بدقايق الطريقه وملا القلوب بها حبورا وسرورا
ثم الصلوه والسلام على من استخلصه لنفسه ورقاه من حضيض البشريه
الى ذروه الولايه ثم رده الى عالم الشهاده في خلع الاجتباء والاصطفاء
محمد المبعوث الى الاسود والاحمر الذي شهدت بصدق دعوته
الكائنات حتى الحجر والمدر وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه
الهادين المهتدين وبعد فقد سالني بعض خلص اخواني
في الدين ومن امتاز عن اقرانه بصدق الطلب واليقين عشره مسايل
هي في الحقيقه معظم ما يحتاج الى معرفته الطالب واولى ما يرغب
فيه الراغب والتمس ان ارتب مجموع اجوبتها كتابا وابوبه على

الترتيب بابا بابا وكنت مواظبا على جمع بعض عوالي مسموعاتي في الكتاب
الذي سميته زبده العوالي وحليه الامالي مقبلا على ترتيبه وتهذيبه
اطراف الايام وآناء الليالي فابيت امتثال امره خوفا مني على ان
لا افي باتمام ما اراد ان اكتب كما اريد ان اكتب فما اغنى عني الاباء
وعد ذلك من اسوء الجفا فاسترقت بعض الاوقات واستخلصت
اولى الساعات واستخرت الله تعالى وابتدات بترتيب هذا الكتاب
على نسق السوال والجواب مقتصرا في كل مسله على لب جوابه
من غير استيفاء لحق بابه وسميته تحفه البرره في المسايل العشره
فان اخر الله في الاجل وساعدني القدر انتصبت لذلك انتصابا
ازيل به الخلل الذي لازم هذا الكتاب والتقصير الذي قارن هذه
الابواب والله المستعان وعليه التكلان

الباب الاول في المسله الاولى

وهي ما قوله في اداب المتصوفه في جمله احوالهم ومعاملاتهم اقول
وبالله التوفيق اما الادب الذي يتعلق بالمعاملات فمعاملاتهم مبنيه
على السنه فما ثبت في السنه ونقل عن الحضره النبويه فهو اساس

معاملتهم والكتب المصنفه في هذا الفن تكاد لا تحصى ولا يحتمل
هذا المختصر بيانها لان ذلك مما لا يمكن ان يخرج عن عهدته الا على
تفصيل واف وشرح كاف فمن اراد ان يطالع انموذجا من ذلك
فليطالع اداب الشيخ ابي عبد الرحمن السلمي رحمه الله عليه وسنورد
في الكتاب الموعود طرفا يغنيك عن سائر المصنفات في هذا الفن
ان شا الله تعالى واما مذاهب القوم في المسايل الشرعيه انه
ما امكن لهم ان يجمعوا ويوفقوا بين المذاهب المختلفه لا يميلون الى
ما اختص به من الايمه المجتهدين طلبا للسهوله والرخصه فان همتهم
مقصوره على مخالفه النفس فكلما كان الامر اشق على النفس كان اوثق
عندهم لتضمنه حقيقه قهرها مثلا الخارج عن غير السبيلين ناقض
عند ابي حنيفه رحمه الله عليه غير ناقض عند الشافعي رضي الله عنه
فانهم يجددون الوضوء عند كل ناقض قال به احد وان لم يكن ناقضا
على مذهبه ليكونوا على ما هو الاحوط والاقرب الى متابعه النبي
صلى الله عليه وسلم فانه كان في الاكثر يجدد الوضوء عند كل صلوه
واما الاداب التي تتعلق بالاحوال والمقامات فتختلف باختلاف

وافق وسئل الجنيد عن [illegible]

السالك في احواله ومقاماته فما دام المريد في ابتداء السلوك وقطع
مفاوز الهوى وعقبات النفس فان دابهم وهجيراهم ما يشق على
طبعهم ويخالف هواهم ويقهر نفسهم فانهم عاينوا بنظر التحقيق
ان اعدى عدوهم النفس التي بين جنبي الانسان ولا سبيل الى موافقه
العدو الا على طريق المهادنه عندما لا يمكن الوصول الى المقصود
الا بموافقته كما قال بعضهم اشبع الزنجي وكده فانه لما راى المعاملات
مبنيه على قوام القالب وقوه مركب النفس التفت الى مراعاتها
لئلا تعوقه عن المعاملات عند من اولها والادب في هذا المقام
ان لا يغفل عن مكر النفس ولا يغتر بغرورها فانما هي حبائل شبكه
الشيطان فلن يخلص تصرف الشيطان في الباطن الا بوسيلتها
ولذلك قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وعباد الرحمن
هم الذين عبروا مهالك النفس فوصلوا الى حضره القلب وانسوا
من جانب الطور نارا الا ترى ان الله تعالى كيف خاطب النفس المطمينه
وهي التي محيت عنها ظلمه الطبع وصقلت بصيقل الذكر حتى تنورت
بنور القلب وانطبع فيها نور الايمان وترسخت فيها حقايق العرفان

بقوله يا ايتها النفس المطمئنه ارجعي الي ربك راضيه مرضيه فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي فان الاطمينان صفه القلب الذي اطمان
بذكر الله لقوله تعالي الا بذكر الله تطمين القلوب واذا صقل عن
النفس طبع الطبع وانطبع فيها نور الذكر الذي اطمان به القلب
وتمكن فيها يتصف بالصفات القلبيه التي منها الاطمينان علي العبوديه
وقيل لها فادخلي في عبادي كانت نفسًا فصارت قلبًا وهذا احد
حصايل الاكسير الاعظم في قلب الاعيان الذي هو ذكر الله تعالي
فاذا امنت النفس وتركت التمرد ودخلت في زمره العباد ابن العدو
من تسويلها وتسويفها واظهار سلطنته فيها فهذا هو سر الادب
في مراقبه حال النفس وفايدتها وههنا نكات جمه يجب ان لا يغفل
عنها المراعي لاداب المقام وذلك انه ربما تلالات الانوار في ظاهر
جوهر النفس منعكسه عن قمر القلب فيظن المغرور بتسويل الشيطان
انه نور التمكين فيعتمد عليه ويغتر به ولا يعلم انه كسراب بقيعه
يحسبه الظمان ماء وان حاله كحال الكسير القلابين بزين الظاهر
ويلوح فيه ولا يغوص في الباطن ولا يغيره وانما يعرفه الناقد البصير

او الجاهل عند استيلاء تصرف النار علي اجزايه فاذا قطع مفاوز النفس 4
ووصل الي سواحل بحار القلب فحينيذ يتبدل ادابه ويختلف كما يختلف
حال من يسلك البيداء ويقطع الدويه ومن يعبر البحار ويسبح في المياه
فان اداب السباحه ومعرفه دقايق الملاحه والسفينه يخالف اداب
السفر في البر من شد الرحال واعداد الرواحل والمركب فكما ان للراكب
وقفات ومنازل يتعاهد حال المركب فيها ويراعيه ويرتب قضيمه
وعلفه فكذلك للسالك في مفاوز النفس منازل ووقفات يراعي
حظوظها ليلا يعجز في اثناء السلوك وينقطع قال النبي صلي الله عليه
وسلم ان لنفسك عليك حقا وكما انه ليس للمراكب البحريه والسفن
وقفات ومنازل الا عند استيلاء سلطان النكبات والعواصف
وذلك لانها لا تحتاج الي التقصيم والتغذيه وانما غذاوها الذي يقوي
به الرياح المناسبه فكذلك حال القلب ليس له وقفات ومنازل
لانه لا يحتاج الي غذاء جسماني حيواني يتوقف امر المتغذي به علي وقفه
وسكون وانما غذاوه نفحات الطاف جذبات الحق الذي عبر عنه
النبي صلي الله عليه وسلم بقوله ان لربكم في ايام دهركم نفحات

الا فتعرضوا لها وتعرضه في هذا المقام اعداد شراع العبوديه علي
قانون متابعه المحبوب فشرط الادب في هذا المقام الوقوف بشرط
العبوديه على حسن التعرض لنفحات الطاف الرب في اباديه واذا ادي
العبد حق الادب في هذا المقام رقته الجذبات الالهيه الي عالم
السر فيخصه اداب اخر جملتها محصوره في التوجه الى حضره الربوبيه
بشرط الحضور والشهود وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفًا كما علمنا النبي عليه الصلاه والسلام في بيان ادب
هذا المقام بقوله اعبد الله كانك تراه اذ هو المقام الثالث بهذا
الاعتبار فان رعايه شرط اداب الاسلام في سلوك بر النفس ورعايه
شرط اداب الايمان في عبور بحر القلب ورعايه شرط اداب الاحسان
في الترقي الي عالم الروحانيه اولا وفي الترقي الي سرادقات حضره الجمال
والجلال ثانيا ولهذا الاختلاف في الاعتبار بعضهم اثبت السر فانه
اذا اعتبر حال استوا الروح على عرش القلب كانت مرتبته تحت مرتبه
الروح واذا اعتبر حال استواء الرحمن على عرش القلب كانت مرتبته
فوق مرتبه الروح فاذا تجلى عند استواء نور سلطان الحق للقلب

فوق الروح وبعضهم اثبت الروح فوق السر

5 اطت السماء وحق لها ان تئط واذا تجلى نور سطوه الجلال للروح خر
موسى صعقًا واذا تجلى نور الربوبيه تدك طور النفس فكيف تجلي نور
القهاريه انها لا تبقي ولا تذر فشرط الادب في هذا المقام ان لا
يلتفت الي الغير وينحرف عن شرط قبله الحضور والشهود الا ترى الي
موسى لما ترك شرط الادب في هذا المقام بالتفاته على قضيه امر الحق
بقوله ولكن انظر الي الجبل الي طور النفس فافاق عن غفلته كيف
استغفر فقال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين واذا بلغ عروجه
الي مقام الروح يتبدل حقايق ادابه ويتخصر تلك الاداب غير المحصره
في حقيقه العبوديه فان مقاماته العكوف على باب المعاينه وزهوق
الباطل عند مجي الحق وفناء مشية العبد في مشيه المعبود ومحو اثار
تصرف المربديه عن ظهور اثار حقيقه المراديه واندراس اطلال
البشريه بعواصف عز الالوهيه ويتفرع على العبوديه ادب هو
سر جمله اداب المقامات ولبها وبه تستحق المحبيه خلع المحبوبيه
وهو متابعه النبي صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته واحواله
ومقاماته لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

وسنذكر ان شاء الله ذكر بعض الاداب في سائر الابواب ه

الباب الثاني في المسئله الثانيه

قال ان زي الصوفيه وحليتهم من حلق الراس وتقصير الثياب ولبس
الازرق من الشرايط اللازمه في الطريقه ام يمكن ان لا يتشبه بهم
الشارع في هذا الفن ولا يتحلي بحليتهم بل يكون علي شكله وهيئته
صيانه لحاله عن التشويش واختلاف اختلاف الناس اليه فاقول
وبالله العون والعصمه والتوفيق اداب الصوفيه باسرها ظاهرها
وباطنها مبنيه علي الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالي لقد كان لكم في رسول الله اسوه حسنه وكتب الحديث مشحونه
بذكر هذه السنن وسيكون كتابنا الموعود ان شاء الله متضمنا لتلك
الاحاديث مع تصحيحها وتطبيقها علي ما هو صنعه اصحاب الحديث
كثرهم الله ويستثني من هذه الجمله اختيارهم الازرق من الثياب
فان الابيض اولي منه لقوله عليه السلام خير ثيابكم البيض الا ان
مشايخ المتصوفه رضي الله عنهم اختاروا الازرق للمريدين لمعان
ثلاثه احدها ان الازرق يحمل من الدرن والوسخ ما لا يحمله الابيض

فلا يحتاجون الى كثره الغسل الذي يشغلهم من المجاهده التي تختص بالمراقبه
وثانيها ان هذا اللون اخص في العرف باهل المصيبه وانهم يعدون
انفسهم في مصيبه من تضييع الاوقات التي مضت في غير طلب الحق
ورعايه حق العبوديه ومخالفه الهوي والنفس وثالثها انه كان من عاده
السالكين ان يلبسوا الثياب الملونه بلون انوار المشاهده لهم ولكل
جزء من اجزاء الانسان اذا تحلي بحليه العبوديه نور يخصه فللنفس
انوار بحسب مقاماتها في العبوديه فاول انوارها النور الازرق وذلك
لان النفس ما دامت هي اماره بالسوء ظلمانيه صرفه لها ظلمه محضه فقط
فاذا شرع السالك في الطريق وواظب علي الذكر لا سيما ذكر لا اله
الا الله ظهر من الذكر نور يخالط اجزاء الظلمه وانعكست اشعه
النور من ثقب من القلب الى النفس فاستضاءت به فحصلت الزرقه
لان الزرقه انما تتولد من امتزاج السواد والبياض الا تري الى النار
النورانيه اذا اشتعلت وارتفع منه الدخان تجد الطرف من الدخان
الذي يتصل بنور النار ازرق والطرف الذي يلي الدخان الصرف اسود
فاذا استنارت بنور القلب فوق ما كانت صار نورها اخضر فان الخضره

انما تتولد من امتزاج الصفره والنيلي ولذلك قال بعض المشايخ ان الاحمر
هو الحجاب الذي ليس بعده حجاب وانما يعني به ان ليس بعده حجاب
نفساني فان الحجب لا تختص بالظلمه وان لله تعالى سبعين الف حجاب
من نور وظلمه على ما ورد به الخبر وذلك لانه كما ان ظلمه النفس حجاب
فكذلك نور القلب والسر والروح حجاب وكما ان انوار النفس تختلف
الوانها بحسب مقاماتها في العبوديه فيكون تاره احمر وتاره ازرق
فكذلك حال انوار القلب تختلف بحسب اتصافه بصفات الكمال
وافاضه الروح عليه فيكون تاره ابيض وتارةً احمر فهذه الوان انوار
النفس والقلب وللسر انوار وللروح انوار وليس كلامنا في تفاصيل
الانوار الا فيما له لون مخصوص وكانت سنشنه الشطار من ارباب
الطريقه السالكين ان يلبسوا لباسا يشاكل مقامهم ومشاهدتهم في
ذلك المقام فالصوفيه اختاروا الازرق لما فيه من اظهار العجز
والانكسار كما روي عن الشيخ ابي يعقوب يوسف الهمداني قدس الله
روحه انه قال لو عرف ابن منصور حق المعرفه لكان قوله انا التراب
عوضًا من قوله انا الحق وانما تركوا الاسود مع ان تحمل الدرن واظهار

المصيبه وامارة البقاء في ظلمه النفس فيه اكثر لمعان منها ان لبس السواد
شعار الخلفاء والاتراك القبابيه فاجتنبوه لاحترام المواقف المقدسه
وترك التشبه بالكفار ومع هذا فان المشايخ يختارون البياض
ويرون فيما بينهم ان لبس الابيض اكثر منزله واجل قدرًا من الازرق
لا يسلمون لغير المشايخ لبس الخشنات البيض وذلك لان الابيض
لا لون له فلا يرخص لبسه من حيث الادب لمن لم يصل الى فناء البشريه
وكمال العبوديه والمريد اختاروا له تغيير الشكل والهيئه في ابتداء الامر
واوايل خوضه في المعامله لفوايد منها مفارقه اخدان السوء ومهاجره
حزب الشيطان واوليايه فان ضرر شيطان الانس اشد واكثر
من شياطين الجن فانه اذا ظهرت الاراده في القلب وتحلى العبد
بحليه التوبه والانابه فهو على نور مغلوب يستكن في القلب غريب
في ولايه الظلمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام بدا غريبًا
وسيعود غريبًا كما بدا فطوبى للغرباء فان نور الاسلام يبدو غريبًا
في ولايه ظلمه الجحود والانكار فانه كما ان للاسلام نورًا وللايمان نورًا
وللاحسان نورًا فكذلك للكفر ظلمه وللجحود ظلمه وللنفاق ظلمةً

يرجع

فاذا كان هذا النور هو شر النوبه مغلوبًا والولايه للظلمه وذلك [الدسم]
مثل معالجه المرض فان قانون المعالجه انما يتم بامرين احدهما الاحتما
عن الاشيا المضره التي يزيد في نفس المرض وثانيهما التداوي بالادويه
التي تزيل اسباب المرض فكما انه لا يتم اثر التداوي الا بالاحتما الصادق
فكذلك لا يتم تربيه نور الباطن الا مع ازاله اسباب الظلمه واعظم
اسباب الظلمه واقواها مخالطه الاغيار ومجالسه اخدان السوء
فاذا ظهر نور الاراده في القلب ولم يغير الشكل والهيه لا يفارقه الاباسوم
اخدان السوء الذين ليس لهم اطلاع على تغيير الباطن فاذا خالطوه
زادت المخالطه في الظلمه فيودي الامر الي اضمحلال نور التوبه والمراجعه
الي ما خرج منه فاذا امن السالك على نفسه ولا يخاف من هذه الفتنه
فله ان يلبس اي لباس شاء كما الشاه الكرماني قدس الله روحه فانه
كان مع القلنسوه والقبا مده مديده يخفي بذلك امر باطنه من الاغيار
فالحاصل ان المريد يختلف احواله فان كان في اراده شيخ فليس له ان
يختار لنفسه شيًا بل الواجب عليه ان يكون بامر الشيخ لا يلبس الا ما
يلبسه ولا يطعم الا ما يطعمه ليعتاد بذلك التسليم تفويض اموره

8 الي الله تعالي فتوصله التفويض الي كمال العبوديه التي هي البلوغ الي
العدم الصرف والفنا في الله تعالي فان لم يكن تحت تصرف شيخ ولم
يستسعد بقبول رجل فعليه بالصدق في المعاملات والاقبال على ما
فيه قهر النفس ومخالفه الهوي فان السالك في ابتدا امره اذا ركن الى
شيء مما فيه حظ النفس لا يفلح ابدا فالاولى ان يراقب السنه ويجتنب
البدعه فانها ملاك قهر النفس ومخالفه الهوي

الباب الثالث في المسئله الثالثه

وهي ما قوله في حد الشيخيه وحقيقتها والدرجه التي بها يستحق الاقتداء
به وما يلزمه من رعايه جانب المريد في اول حاله واحترامه وتصفيته
وتربيته والتصرف في احواله ونفقته وامواله **الجواب**
نقل عن الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير رضي الله عنه انه سئل عن الشيخ
المحقق والمريد المصدق فقال ادنى احوال الشيخ ان يكون موصوفا
بعشر خصال حتى يسلم له الشيخيه احدها ان يصير مرادا حتى
يمكنه ان يربي المريد الثاني ان يكون سالكا للطريق حتى يقدر
الدلاله لغيره الثالث ان يكون مؤدبا مهذبا حتى يؤدب المريد

ويهذبه السابع ان يكون جوادا سخيا غير ملتفت الى الكون حتى
يمكنه ان يوثر به مريده الخامس ان لا يتعلق بمال المريد حتى
لا يحتاج الى استعماله في حقه السادس اذا امكنه ان يعظ بالاشاره
فلا يعظ بالعباره السابع ان امكنه ان يودب المريد بالرفق فلا
يودبه بالعنف والغضب الثامن ان كل ما يامر المريد به يجب
عليه ان يباشره من قبل ان يامر المريد التاسع ان كل ما يزجره
عنه فينبغي ان ينزجر عنه اولا العاشر انه اذا قبل مريدا
لله تعالى فلا يرده لاحد من خلقه ثم قال فاذا كان الشيخ بهذه المثابه
الاوصاف والاخلاق فلا يكون المريد الا صادقا سالكا لان كل
ما يظهر على المريد فانما هو من صفات الشيخ هذا مجموع فوايد الشيخ
رضي الله عنه اقول ـــــــ وبالله العون والتوفيق المشيخه
خلافه النبوه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي
في امته وقال عليه الصلاه والسلام في حديث ابي الدرداء ان العلماء
ورثه الانبياء وان الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا انما ورثوا
العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر وانك ايها المسترشد لا تقف على

حقيقه هذه الخلافه وكمال مرتبتها وانه متى يستحق السالك هذه المرتبه
وكيف يصير العالم وارث النبي عليه السلام ومتى تسلم له الامامه وكيف
يصح له التصرف في ابناء جنسه والدعوه الى الله تعالى بحكم الوراثه
الا بعد معرفه حقيقه السلوك فاقول قال الله تعالى حكايه عن ابرهيم
خليله عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين فالسالك هو الذاهب
الى الرب فلا يزال العبد يسلك الطريق حتى يصل الى الحضره الربوبيه
والله سبحانه وتعالى ليس بمتحيز مكاني حتى يكون سلوك الطريق عباره
عن قطع مسافه معينه فلا يظن جاهل بالله تعالى ان محمدا صلى الله عليه
وسلم انما كان عروجه الى السموات لينقطع مسافه مقدره بينه وبين
الله تعالى وتقدس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكن الله عز وجل
خلق العالمين وهي مع كثرتها منحصره في جنسين عالم الغيب وعالم
الشهاده ولذلك قال الله تعالى حكايه عن صفه ذاته هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهاده هو الرحمن الرحيم فعبر بعالم الغيب
والشهاده عن كمال احاطه علمه بجميع الموجودات فلا مخلوق الا وهو
اما من عالم الغيب او من عالم الشهاده ثم انه سبحانه وتعالى خلق

والطريق م

الانسان مركبا من جميع حقايق الغيب والشهاده فقال عز من قايل
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسويه من الشهاده ونفخ الروح
فيه من الغيب فما من شي يتعلق بالشهاده الا وهو داخل في شهاده
الانسان وما من شي يتعلق بالغيب الا وهو داخل في غيبه ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه
والمراد بالنفس ههنا والله اعلم الذات لا النفس التي هي جاريه
في كلام القوم ومصطلحهم فان في معرفه حقيقه الانسان معرفه
حقيقه ما سوى الله تعالى ويلزم من معرفه ما سوى الله تعالى معرفه
الله عز وجل فكما ان الخالق جل ذكره خلق لعالم الاجسام منتهي هو
العرش وهو محل استوآء الرحمانيه عليه والواسطه بين عالمي الغيب
والشهاده فكذلك خلق لعالم الاجسام الانسانيه منتهي هو
القلب وهو محل استوآء الروحانيه عليه والواسطه بين غيب
الانسان وشهادته فكانه ذو جهتين احدى جهتيه تلي الاجسام
وهي المضغه المعينه في الجانب الايسر من الحيوان والانسان
التي عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في جسد ابن ادم

لمضغه اذا صلحت صلح بها ساير الجسد واذا فسدت فسد بها
ساير الجسد الا وهي القلب والجهه الاخرى تلي عالم الغيب
والروحانيه وكما انه سبحانه وتعالى خلق لنفسه كرسيا وسع
كرسيه السموات والارض هو محل ظهور الالهيه في قوله تعالى
الله لا اله الا هو الايه فاضاف الكرسي الى الله وهو فوق العرش
لان العرش محل ظهور الرحمانيه والكرسي محل ظهور الالوهيه فكذلك
خلق في عالم الانسانيه للروح الانساني كرسي السر فوق عرش
القلب فيتجلى في القلب سر عبوديه الروح التي من خصايصها مدبريه
القالب باذن الله تعالى وكمال تصرفاتها في القالب مده بقايه فيها
ويتجلى في السر سر ملكه الروح التي من خصايصها الفوز بالنعيم
المقيم وكمال تصرفاته في الاخره جوار رب العالمين كما قال تعالى
واذا رايت ثم رايت الايه ولا يتفاوت المعنى في القراتين جميعا
وحكى النبي صلى الله عليه وسلم عن عنوان كتاب الرب سبحانه
وتعالى الى العبد في دار البقآء من الملك الحي الذي لا يموت الى الحي
الذي لا يموت ثم انه ليس شي من عالم الاجسام اقرب الى حضر

الربوبيه من العرش لانه محل تعلق استواء الرحمانيه ومنتهى عالم
الاجسام وبعده السموات السبع وبعده الاثير والنار وبعده
الهواء وبعده الارض وبعده ما تركب من الاجزاء العنصريه
كاصناف الجماد والنبات والحيوان واذا اعتبرت الموجودات
وجدت ابعدها عن الحضره على الحقيقه عالم الاجسام واذا اعتبرت
عالم الاجسام باسرها وجدت ابعده عن العرش الذي هو حضره
الربوبيه بالنسبه الى عالم الاجسام اصناف المركبات من الجواهر
العنصريه التي منها قالب الانسان اقربها الى الاعتدال الحقيقي
فاذن هو ابعد عن حقيقه الجواهر العنصريه فصوره قالب الانسان
ابعد المركبات عن الحضره وهو على الحقيقه اسفل السافلين
اذ ليس تحته من هو ابعد منه عن الحضره ولذلك قال الله تعالى
موكدا بالقسم والتين الايه لقد خلقنا الانسان اي الانسانيه
الذي هو الروح قبل تعلقه بالقالب في احسن تقويم كما قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق الارواح قبل
الاجسام بكذا سنه ثم رددناه اسفل سافلين اي لمرتبة التعلق

الى القالب الذي هو اسفل السافلين فسبحانه من لطيف جمع بقهره
بين اقرب الاقربين وبين ابعد الابعدين ليبلوكم ايكم احسن عملا
وهو العزيز الغفور فبعزته بعد المقرب للابتلاء وبمغفرته
قرب المبعد للاصطفاء والاجتباء كما قال تعالى الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون الزمهم كلمه التقوى
وكانوا احق بها واهلها لكونهم اقرب الاقربين حتى امنوا
واعتصموا بحبل الله وعملوا الصالحات واستحقوا بها الاجر
غير الممنون نحن الاخرون السابقون باعتبار الزمان الابعدون
الاقربون باعتبار المكان ولا نسبه لهم لا الى المكان ولا الى
الزمان ولا الى المكان فالحكيم سبحانه وتعالى حين ابتلى الروح
بعالم القالب شغله بتربيه القالب في ذلك لانه انشاه الحضره
وقربه منها فاستولت عليه الغفله ليتم له امر التصرف في الولايه
فانه لو كان ذوقه وانتباهه باقيين معه لما كان يمكنه رعايه
امر القالب حق رعايته ولذلك رفع التكليف عنه في ابتداء
النشو والنمو الى ان يتم له امر التربيه ويحصل له العبوديه

فكان وجهه الناظر الذى كان به ناظرا الى الحضره انصرف الى
جهه تربيه القالب الذي هو اسفل السافلين حتى صار
بالاعتبار مقبلا على القالب وحظوظه مدبرا عن الحضره وحقوقها
فاذا اظهر الحق سبحانه اثار الطافه وعنايته في حال العبد
اسمعه قوله ارجعي الى ربك وان كان هو شعر بسماعه فرزقه حسن غير صح
الانابه التي هي الرجوع الى الحق بعد التمادي في الباطل وانما قولنا والتوبه صح
لشيء اذا اردناه ان يقول له كن فيكون فاذا قال له ارجع رجع
ناكصا على عقبيه فيلزمه كلمه التقوى ليخرجه بها من الظلمات
الى النور فاذا خرج من زناد الفضل نار الشوق ظهر منها نور
الهدايه فيتمكن من حدقه الباطن فيرى الاشياء المودعه فيه
فيميز عليها وبعبرها معتصما بحبل الله مستمسكا بالعروه الوثقى
ويطالعها ويراها فمبدا سلوكها ارضيات عالم الانسانيه
فيرى حقايق الارضيات على الترتيب من اصناف الحيوان
والنبات والجماد اذا كوشفت له الصفات البهيميه وغيرها
ثم يرتقي امر سلوكه الى نفس العناصر حتى يبلغ الى حقايق اثير

الباطن الذي هو منتهى صفات النفس ويرى حقايق الصفات
النفسانيه تاره في هذه الصوره وتاره في صوره المستقبحات الحسيه
اذا كوشفت بحقايق المذمومات وتاره في صوره اصناف الخصوم
والاعداء كالحيات والعقارب وغيرها اذا كوشفت بسر قوله عليه
السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وتاره في صوره
الكفار والملاحده اذا كوشفت بحقيقه تمرد النفس وجحودها وتاره في
صوره الجحيم ودركاتها اذا كوشفت بحقيقه الم البعد عن الحضره
وصوره غضب الحق والسالك في اثناء هذا السير بين نظرين
احدهما النظر الى ما فيه وثانيهما النظر الى ما هو فوقه فاذا نظر
الى ما هو فيه راي حقايق الارضيات على صفاتها المختلفه واذا
نظر الى ما هو فوقه راي العلويات من السموات والكواكب
فيكون رويه السفليات من خصايص مقامه ورويه العلويات
لاجل التشويق وازاحه ثقل القبض عن باطنه فاذا وصل الى
عالم القلب وزال عنه ثقل الارضيات اطمانت نفسه وصارت
الى امر الله تعالى وبرزت من مضيق مكابده المجاهده الى متسع

المشاهده وتنسم نفحات الطاف جذبات الحق من مهب العنايه
ووجد نفس الرحمن من قبل وانس نار العرفان من جانب طور ه واطلع
علي حقيقه الطواره ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطـوارا
فان الله سبحانه وتعالى كما خلق السموات طباقا خلق سموات القلب
اطوارا فاذا انتهى سيره في اطوار القلب ظهر عروجه الى طبقات السموات
هذا اذا كان السير بعد في اطوار القلب وجهته التي تلي عالم القلب
فاذا ارتقى الى جهته الاخرى يكاشف له حقايق استواء الروح
علي عرش القلب وحقايق استواء الرحمن على العرش فيشاهد
القلب في صوره القمر ليس له نور في نفسه بل له صفا له يقبل بها
نور الشمس فكذلك اذا صقل عن طبع الشهوات والميل الى المحسوسات
ظهر له قبول نور استواء الروح عليه وتحلى صفات الروح وعزه
جبروته وملكه وحينيذ لا يخاف عليه افات انا الحق وسبحاني
فانه قد جاوز تلك المنزله وسياتي شرح خطر هذه المنزله في
باب احتياج المريد الى المراد بل لا يخاف عليه خطرات البنوه
والابوه الذي ابتلي به النصارى على التقليد في قولهم المسيح ابن الله

واذا ارتقى الى عالم السر كشف بصفات [illegible] جلال الروح

المنزله

13 فاذا تمكن في هذا المقام تبدل تحلي صفات الروح وتحلي صفات الحق
سبحانه وتعالى فيصير القلب عرش الحق والسر كرسيه وينقطع
السلوك ويفنى السير بل يتبدل السير بالجذبه ويخلص لب الجذبه
عن قشر السير حتى يحقق عند المطالب ان جميع تكلفاته في المجاهده
والطلب في الابتداء انما كان بالعنايه الازليه وعن جذبات الحق
ولكنه ما كان ينظر بدرك حقيقه الجذبه من وراء قشر العمل
فاذا تخلص عن عالم البشريه وتحقق لحقايق التجلي والوصول الى الحضره
وتيقن انه لا اله الا الله قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي استغفر من رؤيه
معاملات الربوبيه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لن
ينجي احدكم عمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله بفضله فاذا تجلت صفات الالوهيه امحت اثار العبوديه
واندرست اطلالها فانها لا تبقى ولا تذر جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا واذا تبدل السير بالجذبه كان السفر
في عالم صفات الالوهيه وهو السير لانه لا نهايه له

فان صفات البشريه متناهيه فيكون السير فيها متناهيا
وصفات الالوهيه غير متناهيه فيكون السير فيها غير
متناه في الدنيا والاخره وفي هذا المقام يمتاز النبي عن غيره
فان وجوب السير في عالم البشر مشترك بين جميع
السايرين الى الله تعالى ولن يبلغ احد مرتبه الرجال البالغين
في العبوديه الى ههنا فاذا بلغ العبد هذه المرتبه والمنزله
يكون من الله تعالى ومن عباده بمنزله القلب من الغيب
والشهاده ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق رجال لا تلهيهم
تجاره ولا بيع عن ذكر الله وكما ان الاطفال اذا بلغوا مرتبه
البلوغ يختلف احوالهم بتقدير العزيز الحكيم كما قال
عز من قايل لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن
يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير فيجعل الله بعضهم عقيما ويخرج
عن صلب بعضهم الذريات فكذلك البالغون الواصلون يختلف
احوالهم فيجعل الله بقدرته النافذه في الاشياء بعضهم عقيما فينقطع

نسله ولا يظهر له تصرف في غيره من جهه التوالد والتناسل 14
وان كانت له تصرفات في غير هذه الصوره ويجعل بعضهم فا نسل
وعقب وهولاء صنفان الانبياء والاولياء الذين هم خلفا الانبياء
وورثتهم فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغ هذه المرتبه صار
ماموراً من جهه الحق بالنبوه والدعوه فكذلك الشيخ اذا بلغ هذه
المرتبه صار ماموراً من جهه الحق بالشيخيه وتربيه المريدين ويكون
اذن حصا نيه الصفات العشر التي ذكرها الشيخ ابو سعيد
رضي الله عنه فان اسم المريديه يطلق عليه مادام سيره في عالم
البشريه فاذا انتهى السير في عالم الانسانيه وجذبته العنايه
الى سرادقات العزه تبدل المحبيه بالمحبوبيه والمريديه بالمراديه
واذا كان سالكا للطريق بالغا الى المنتهى عارفا بحقايق المفاوز
والمهالك والمعابر والاحوال والمقامات والمرات والفترات والوساوس
والهواجس يمكنه ان يكون دليلا لغيره ومحذرا للمريد عن القواطع
والاخطار وههنا دقيقه يجب ان تعرفها وهي ان لكل شخص من
الاشخاص بحسب خصوصيته طريقا خاصا وان كان هذه الطرق المختلفه

داخله في مطلق عبوديه الانسان فلكل مريد وقايع تخصه ووقايع
يشترك فيها ساير المريدين فيجب ان يكون للشيخ طريق خاص
وللمريدين بحسب اشخاصهم طرق ووقايع دونه مخصوصه لا يكون
الشيخ في طريقه لكن الله سبحانه اذا اظهر تعلق مريد بشيخ من الشيوخ
واحكم عقده ارادته في حقه وسع ولايه الشيخ حتى تحيط بجميع احوال
المريد ووقايعه الخاصه والعامه وكذلك حال الانبيآء عليهم
السلام الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الابتدآء مبعوثا
لانذار العشاير الاقربين ثم بعد ذلك اتسعت ولايه نبوته فصار
منذرًا لاهل مكه وما حولها قال تعالى لتنذر ام القرى ومن حولها
ثم ازدادت ولايه سعه فشملت الخلق كله واحاطت بالعالمين جميعًا
قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرًا ثم غلبت بشارته على انذاره
قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرا قال
الشيخ ابو سعيد ويكون مؤدبًا مهذبا قلت وهذا ايضا من لوازم هذا
المقام كما سئلت عايشه رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت كان خلقه القران كذلك اخلاق الورثه والخلفآء

15 فانهم قد تجردوا عن جلابيب صفات البشريه وتخلقوا باخلاق الله
فصاروا الحق سبحانه وتعالى قايما باموره كما جآء في الخبر لا يزال العبد
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعًا وبصرًا
ويدًا ولسانًا فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي ينطق الحديث
وكما اخبر في التنزيل من صفات النبي صلى الله عليه وسلم وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وما رميت اذ رميت ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وكما قال في شان الصحابه رضي الله عنهم اشداء
على الكفار رحمآء بينهم فان هذه عباره عن كمال فنايهم في الله
ومحوهم عن الصفات البشريه وقيامهم بالحق حتى يكونوا حربا
على اعدآء الله سلما لاوليايه لا يزيغهم الطبيعه البشريه والرافه
الجنسيه عن جاده العبوديه فيكون رفقهم بالله وعنفهم به
فرضاهم به وسخطهم واتصالهم بالخلق به وانقطاعهم عن الخلق
به وقبولهم به وردهم به وعلى هذا الاصل يمكنك ان تستخرج
باقي الصفات العشره فلا نطول بها الكلام ن

الباب الرابع في المسله الرابعه

ما قوله في حد الاراده وحقيقتها واحتياج المريد الي المراد والترابط
الماخوذه علي المريد ابتدآءً وانتهآءً وما يلزمه من حقوق الشيخ
وهل يجب عليه متابعه اوامره ونواهيه وان كانت تخالف ظاهر
الشرع وحسن الظن به فيما شاهد منه محظورًا كان او مشروعًا
الجواب نقل عن الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير رضي الله عنه
وارضاه وقد سيل عن المريد المصدق انه قال اقل احوال المريد
ان يكون هذه الخصال العشر موجوده فيه حتي يصح منه الاراده
احدها ان يكون لبيبًا فهمًا حتي يفهم اشاره الشيخ الثاني
ان يكون نفسه مطيعةً له حتي يمكنه امتثال اوامر الشيخ الثالث
ان يكون حديد السمع ليدرك كلام الشيخ الرابع ان يكون
منور القلب ليري عظمه قدر الشيخ الخامس ان يكون صادق
اللهجه ليصدق فيما يخبر عن حاله السادس ان يكون صادق العهد
ليفي بما التزم السابع ان يكون سخيًا جوادًا ليمكنه ان يخرج عما في يده
الثامن ان يكون حافظًا للسر ليكتم اسرار الشيخ التاسع
ان يكون متعظًا محبًا للنصيحه ليقبل مواعظ الشيخ

العاشر ان يكون عيارًا ليفدي بروحه العزيز في الطريق
قال فاذا كان المريد متهيًا بهذه الصفات فقد يمكنه قطع الطريق
ويحصل منه مقصود الشيخ في الطريقه علي اسرع الاحوال
هذا هو كلام الشيخ ق **فاقول** وبالله التوفيق قال الله تعالى
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخره روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال ما كنت اعرف ان فينا احدًا يريد الدنيا حتي
انزل الله تعالى هذه الايه فتهو شفقه وقال النبي منكم احد
يريد الله تعالى فالانسان في ابتدآء امره يريد الدنيا بحسب كما مر
تقريره فاذا ايقظه الله تعالى من سنه الغفله وذكره حب الوطن
الحقيقي والعش الاصلي واسمعه قوله ارجعي الي ربك راضيه مرضيه
تذكر الميثاق وعرف الوثاق وظهرت في قلبه حسره ما فرط في جنب
الله فرجع الي الحضره وتاب ثم تختلف حينئذٍ احوال الاشخاص
فمنهم من يظهر منه طلب الاخره والذي هو من خصايص القلب مع بقاء
طلب الدنيا الذي هو من خصايص النفس فيكون بين داعيين مختلفين
فلا يطلق عليه اسم الاراده وان كانت له اراده الدنيا والاخره

بل يقال له المتمني فلا يصح منه الطلب فان الذين ليس بالتمني فلا
يهنا عيشه ولا يطيب قلبه ولا يستريح نفسه فانه كلما اقبل على
الدنيا ينغص تمني الاخره عليه عيشه وكلما اقبل على الاخره كدر
عليه تمني الدنيا مشربه فيبقى لا في العير ولا في النفير مذبذبين
بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ومنهم من يظهر في قلبه طلب الاخره
ظهورا ينقلع عن باطنه ساير الدواعي المختلفه الظاهره فلا يكون
له هم الا هم الله تعالى والدار الاخره كما ظهر لنسآء النبي صلى الله
عليه وسلم حين انزلت ايه التخيير قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك
الى قوله اجرا عظيما فبدا عليه السلام بعايشه وقال اني مخبرك
خبرا فعليك ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك ثم تلا عليها الايه
فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخره
ثم فعلت ساير هن مثل ما فعلت فاذا غلبت عليه هكذا داعيه طلب
الحق والدار الاخره صح ان يطلق عليه اسم الاراده وحينيذ يحصل
له حسن استعداد وقبول تاثير الشيخيه فان الله تبارك وتعالى
كما قدر بحكمته ان يكون بقا النوع في جميع الحيوانات موقوفا على ازدواج

الذكر والانثى لحقيقه تصرفه الذي هو حمل نقطه النطفه في الرحم
واستحكامها في مستقرها وهذا الازدواج والاستنتاج موقوف
على ظهور كمال كل واحد من الزوجين وبلوغهما مبلغ حد التفريع والتوالد
والتناسل بثمراته وان كان حقيقه قدره الباري سبحانه وتعالى غير
مفتقره في الخالقيه الى صوره هذه الازدواج كما كشف الغطآء عن
هذا في خلق ادم وعيسى عليهما السلام لكن السنه الالهيه جرت
على هذا النمط اعني الازدواج بين الذكر والانثى فكذلك قدر
بحكمته البالغه ان يزدوج بين حقيقه الشيخ والمريد اذا بلغ كل
واحد منهما كمال مرتبه بلاغه فالشيخ اذا بلغ مبلغ الرجال وهو ظهور
صلاحيته لبقآء نوع الشيخوخيه والمريد اذا بلغ مرتبه كمال القبول
وهو تسليم نفسه الى تصرف همه الشيخ وفنا ارادته في اراده المراد
فحينيذ صلح لتصرف همه الشيخ فيه وهو استنتاج حقيقه سر
السالك وان كانت القدره الالهيه غير مفتقره الى صوره هذا
الاتصال والازدواج في افاضه اثار الكمال على بعض عباده كما قد
ظهر في بعض حق المجذوبين فكما لا يتوقف ظهور الجنين من غيره

من غير صوره ازدواج الذكر والانثى وان كانت تحت القدره فكذلك
لا يتوقع ظهور الكمال في المريد ما لم يتعلق بخدمه المراد وان كانت
تحت القدره فعلى المريد ان لا يعتد برؤيه حال من الاحوال فيظن ان
كمال السالك هو الوصول الى الحضره فحسب فان الوصول مبدا
الكمال لا الكمال ولذلك قال ابو تراب النخشبي في الحكايه المشهوره
لبعض مريديه ان في حقك في هذا المقام ان تستسعد بخدمه الشيخ
ابي يزيد فابى المريد وما قبل النصيحه حتى تكرر كلام الشيخ وعاد الى
النصح مره بعد اخرى فقال المريد من يتجلى له الرب في كل يوم وليله
اربعين مره كيف يحتاج الى خدمه ابي يزيد فقال له ابو تراب رؤيه
ابي يزيد في هذا المقام خير لك من رؤيه الحق في حقك الحكايه
بطولها ولا تستغرب هذه السنه في ازدواج المراد والمريد لاستخراج
حقيقه السالك فان مثل هذه السنه ايضا ثابت في النخل وتابيره
وتلقيحه فانها لا تتم الثمره ما لم تؤبر كما ورد في الخبر الصحيح عن انس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على قوم كانوا يابرون
النخل فقال عليه السلام لو تركوها لصلحت فتركوها فصارت شيصا

فاخبر فقال انتم اعلم بما يصلحكم في دنياكم واما امر اخرتكم فالي
ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم النخل بالرجل
المسلم في حديث عبد الله بن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال ان
من الشجر شجره لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي
فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله فخطر ببالي انها النخله
قالوا حدثنا يا رسول الله قال هي النخله فاذا اتصل المريد بالمراد
واحكم عقد الاراده وظهرت فيه اثار تصرف المراد لخرجه ذلك التصرف
من عالم الطبع الى عالم العبوديه التي هي مراه الربوبيه وسر قوله
تعالى كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف فكما ان البيضه لها قشر
صلب خارجي وفي داخله بياض ومن وراء البياض المح ولكل واحد
من اجزائها الثلاثه صفه تخصه فاذا وضعت البيضه تحت
الطير الذي يمكنه قبولها والتصرف فيها طوق ذلك التصرف
ينفذ فيها حتى اذا بلغ الاجل المعلوم ابطلت حقيقه ذلك التصرف
خاصيه كل واحد من البياض والمح وصورتها فصورها المصور سبحانه
وتعالى صوره اخرى هي الصوره الفرخيه ثم اعطاها خاصيه اخرى

هي استعداد قبول الطيران فاذا تمت هذه الصوره ازيل عنه القشر
الخارجي فخرج الفرخ فكذلك الانسان له قالب هو بمنزله القشر
الخارجي وقلب هو بمنزله البياض وروح هو بمنزله المح ولكل واحد
من اجزايه خواص تلحقه وصفات تخصه فالقالب دنياوي والقلب
اخروي والروح الهي فما دام المريد على حاله وطبعه وحقيقه بقاء
خواص نفسه وقلبه وروحه فهو بعد خال عن صوره العبوديه
عاطل عن حليتها وان بلغ غايه المقامات الروحانيه فالعبوديه
اذن لا تحصل الا بتصرف تربيه الشيخ لتصرفها لحرجه عن خواص
مفردات اجزايه الا ترى الى عيسى صلوات الله وسلامه عليه فانه
وان بلغ غايه المرتبه الروحانيه الى ان رفعه الله باظهار خاصيه
مرتبه طبع روحانيه واستتباع الروح القالب الى السماء الرابعه
كيف احتاج في استكمال مقام العبوديه الى تربيه سر محمد صلى الله عليه
وسلم وشريعته على ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه ينزل فيكم
ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير فينزل ويتحلى بحليه
متابعته التي تخرجه من غلبات خواص الروحانيه الى حقايق

العبوديه عن شيمه الاراده فيثبت حكم الابوه والبنوه فلذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سلمان رضي الله عنه انا انا
لكم كالوالد لولده فالنبوه في هذا المقام محفوظه لا تضل بها احد
من الناس كما ضلت النصارى في قولهم المسيح بن مريم هذا هو مطلق
احتياج المريد الى الشيخ في انتهاء السير واما احتياجه في الابتداء
فلوجوه منها انه كان البيت المظلم اذا كان له باب واحد مفتوح
من جانب المغرب وطلعت الشمس من مشرقها فلا يستضي بنور الشمس
ولا تزول ظلمته لان بابه غير مقابل ضوء الشمس فطريق استضاءته
وتنويره بالشمس الطالعه من المشرق ان يوخذ مراه مصقوله فيحاذي
بها جرم الشمس لينطبع نورها في المراه ثم ينعكس منها الى باب البيت
فيستضي البيت به فكذلك باطن المريد في ابتداء الامر مظلم
بظلمات صفات البشريه وروزنه قلبه مفتوحه ولكن من جهه
عالم المحسوسات والصور فاذا تعلق بشيخ تحاذي قلبه قلب
الشيخ من جهه الاراده التي لها تعلق الى عالم صوره الشيخ وقلب
الشيخ كالمراه المصقوله المحاذيه للحضره فاذا انطبع نور الحق

في مراه قلب الشيخ انعكس الي باطن المريد فيستضي به وليقف المريد
بضوئه علي حقايق الاشيآء المختلفه المودعه في باطنه وربما يبلغ
هذا الامر الي ان يظن المريد ان ذلك النور له من غير واسطه
الشيخ فيفارق خدمه الشيخ قبل اوانه فيضمحل ذلك النور ويتلاشا
ويعود الظلمه كما هي كانت في الابتدآء انما هو في صفات النفس
فيحتاج المريد الي الشيخ في هذا المقام ليحفظه عن البدع في المعاملات
وان كانت تخالف هواه ويرغبه في السنن فاذا خاض في المجاهده
وشرع في نوافل العبادات لم يظهر له بعد في الباطن نور يطلع به
علي عيوب النفس وافاتها يعتريه العجب باعماله واحواله والازدرآء
بعباد الله فيحتاج الي الشيخ ليريه افات العجب ويعرفه بلسان
الحال والمقال ان المعتبر في الحضره الالهيه هو جوهر الروح التي
هو لب الانسان والارواح الانسانيه وان كانت هي مشتركه
في حقيقه الجوهريه وصفا النورانيه ومعرفه الربوبيه حتى
اذا خاطبهم الحق سبحانه وتعالي بقوله الست بربكم قالوا بلي
ولم يتلعثم احد في الاقرار ولكن تختلف احوالهم بحسب الكمال

والنقصان كالكواكب الظاهره في سمآء الدنيا فانها وان كانت
مشتركه في اصل الكوكبيه وحقيقه النورانيه ولكنها تختلف
احوالها بحسب الكمال والنقصان فان الشمس من الكواكب والسهي
منها ونشاهد كمال الشمس ونقصان السهي وكذلك حال المعادن
فمنها الذهب ومنها الفضه ومنها النحاس ومنها الحديد فانها وان
كانت يشترك كل واحد منها مع صاحبه في اصل المعدنيه ولكن
يتميز عنه في الكمال والنقصان بين يدي الحس ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضه واذا
كان جوهر الروح في اصل الخلقه والجبله كاملا مقبولا محبوبا فلا
يضره التلوث بالمخالفات في ابتدآء الامر واذا كان الجوهر ناقصا
خسيسا مردودا فلا ينفعه التزين بالمعاملات والعبادات
الا ترى الي عمر وساير الصحابه رضي الله عنهم كيف كانوا منغمسين
في الكفر متغرقين في بحار الضلاله متحيرين في تيه الجحود
لكنهم لما كانوا في اصل الخلقه من معادن الذهب واقمار سمآء السعاده
وصعاليك الطريقه استخلصتهم العنايه الالهيه لنفسها وبلغتهم

الي ذروه الكمال وسرادقات الجمال والي بلعام وبرصيصا وامثالهما
لما كانوا في اصل الخلقه من المردودين المبغضين فما اغنت عنهم
العبادات الكثيره وما نفعتهم الرياضات المستحسنه حتي ردتهم
يد التقدير الي مراتب البهايم والكلاب كما قال تعالي اوليك كالانعام
بل هم اضل فما شكر الله سعيهم واحبط اعمالهم فقال عز من قايل اوليك
الذين حبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمه وزنا وقدمنا الي ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا وكذلك قال النبي صلي الله عليه
وسلم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان الرجل ليعمل عمل اهل
النار حتي ما يكون بينه وبينها الا ذراعا ثم يسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل الجنه فيدخل الجنه وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنه
حتي ما يكون بينه وبينها الا ذراعا فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
فاذا كانت الاحوال هكذا فلا يغتر جاهل بعمله ولا تعجبه عبادته
ومجاهدته ويكون دايما علي يقين من عيوب نفسه وشك عن
عيوب الناس بل يكون حسن الظن بجميع الخلق الا بنفسه
ولذلك قال ابو يزيد من رجح نفسه علي فرعون فهو من المتكبرين

[illegible]

وقالت المشايخ الخوف والرجا بمنزله جناحي الطاير فلا يزيد احدهما
علي الاخر فان الطاير انما يتيسر له الطيران اذا لم يتفاوت جناحاه
كما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وارضاه انه قال يبلغ خوفي
ورجاي الي حد لو قيل انه لا ينجو الا واحد من العالمين لظننت اني
ذلك الواحد ولو قيل انه لا يهلك الا واحد من الناس لظننت اني
ذلك الواحد فالمريد اذا اشتغل بالمجاهده والعباده يعتريه
امثال هذه الافات في بدو الامر وذلك بسبب خبث النفس
وهواجسها وعداوه الشيطان ووساوسه فقلما يسلم عاجز
غلب عليه عدوان قاهران الا بمعاونه من يستخصنه ويستخلصه
ويربيه وهو قلب الشيخ فيحفظه عن شر الاعداء الثلاثه النفس
والشيطان والدنيا فكثيرا ما يشاهد الشاير ان الشيطان يغلبه
ويعجزه فاذا تذكر الشيخ واجري اسمه علي لسانه خاب سعي الشيطان
وبطل كيده وهرب واضمحل ويغني كما اخبر النبي صلي الله عليه وسلم
عن هذا المقام في صفه عمر رضي الله عنه بقوله ان الشيطان ليفر
من ظل عمر ولذلك سمي فاروقا لانه كان يفرق بين الحق والباطل

فكذلك الشيطان يفر من ظل الشيخ فاذا وقع ظله على ولايه باطن
المريد خر الشيطان لا محاله او هلك وكما انه يحفظه عن شر الاعداء
بمدد جنود الاولياء وهم الملايكه والانبياء والاولياء والروح
والقلب حتى اذا جاء الحق وزهق الباطل فيتخلص باطنه ضروره
عن تصرف الشيطان وغلبات سلطان النفس ودواعي الهوي
الميال الى الدنيا ومنها ان خلاصه امر السلوك هي الخروج عن
صفات الطبع واعني بالطبع ههنا ما جبله الله تعالى عليه في بدو
الامر فان الله سبحانه وتعالى كما اودع كل حقيقه من الحقايق خاصيه
تخصه فكذلك اودع في كل جزء من اجزاء الانسانيه خاصيه
فمن خواص اجزايه النفسانيه المستخرجه من العناصر الظلمه ومن
خواص الاجزاء الروحانيه المستخرجه من اللطف والنور فان لله
سبحانه وتعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمه هو هذه الانوار
الروحانيه والظلم الجسمانيه فالمريد ما لم يخرج من هذه الحجب
النورانيه والظلمانيه فهو بعد في السلوك واسر الطبع ولن
يتخلص احد من اسر الطبع بالطبع بل بالافعال الطبيعيه يزيد

22 في اسره وقيده ولذلك كان ابو يزيد يناجي ربه في اخر عمره ويقول
بالفارسيه كاردي ودشني اي هب لي سكينا اقطع به زناري وهب
لي يدا هي تستعمل السكين لئلا اشوب بتصرف الطبع كما قال الله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وانما يخلص من الافعال
الطبيعيه بامتثال الاوامر والنواهي الصادره عن الحضره القدسيه
فيقوم اوامر الشيخ ونواهيه في حقه مقام اوامر الحق ونواهيه في
عالم الصوره فلا يفعل فعلا باختياره وارادته بل باختيار الشيخ
واختياره على الحقيقه التي لا تشوبه شي من اوله الاعمال تصرف
الطبع وارادته ظهرت في باطنه اثار محبه الله جل ذكره فيفنى الاعمال
ويميز بين سره وصورته حتى يظهر في افاعيله افاعيل الحق سبحانه
وتعالى كما قال جل ذكره لا يزال العبد يتقرب الى الحديث ومنها ان
يحفظه من ملاحظه الكونين فان الله تعالى خلق الدنيا للابتلاء
وهي ابعد الموجودات عن الحضره وزبد بحر الوجود فزين ظاهرها بزينه
هي في الحقيقه زخارف بالنسبه الى حقايق الاخره ليتم بها حقيقه
الابتلاء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ما نظر الى

الدنيا منذ خلقها بغضًا لها وقال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضةٍ ما سقى منها كافرًا شربة ماءٍ فمع انها كانت بغيضة الحق
جل وعلا في نهاية البعد عن الحضرة اشتغلت بها الانبياء والاوليا
والخلق اجمعون حتى صبا اليها في الابتداء طاهر النبي صلى الله عليه
وسلم فادب الحق سبحانه وتعالى بسر العصمة طاهره بقوله تعالى
ولا تمدن عينيك الاية وحفظ باطنه عن الركون اليها والى ابنايها
كما قال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن الاية هذا حال الدنيا
البغيضة التي نهى الخلق عنها فكيف حال الاخرة المحبوبة التي امر
الخلق بطلبها وبعث الانبياء عليهم السلام لارشاد الخلق اليها
فاذا كوشف بشي من حقايق الاخرة السالك تعلق به قلبه واستانس
به وعكف عليه كما حكى الاستاذ ابو القسم القشيري في الرسالة
ان واحدًا من الفقرا راي واحدة من الحور العين فعشقها وكان
دايم الغم والفكر لا يتكلم فاذا اراد ان ينبسط اليه ساله عن
الحور وجمالها وكمالها فياخذ يتكلم وينبسط فالمريد يحتاج الى الشيخ
لينجيه من مزلات الطريق ومضلات النفس فان الهوى يميل الى الدنيا

23 وشهواتها وزخارفها والنفس اذا تخلصت عن افات الهوى وتركت
تميل الى شهوات الاخرة واحوالها ودرجاتها ولذاتها كما قال الله
تعالى ولكم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فيشوق الشيخ قلب
المريد الى قرب الحضرة وجوار رب العالمين حتى اذا اشتاق عبر
عن المضلات والمزلات من حيث يدري ولا يدري فطار بجناح الهمة
الى مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر واما احتياج المريد الى الشيخ
في اثناء السلوك ووسط الطريق فمن وجهين اخرين احدهما ان
المجذوب يعتريه افات روية الكمال فاذا ظهرت له من الله الحسني
لا يتوقع الزيادة بل يقنع بالشي وان كان الشي من الله غير يسير
بل يعجب بما وجد ويغتر بما راي وانما مثله مثل العين التي نبعت
من الارض فيظن الجاهل انه ليس وراه شوي ما نبع عنها ولا يعلم
ان المياه التي هي تحت الارض لا تحد ولا تحصى فيقنع بما ظهر من
الارض ولا يجد في اخراج زيادة جوهر الماء واذا ظهر له المعنى الذي
رزقه الله تعالى معرفة المياه التي تحت الارض تيقن ان نبعات
ذلك الماء انما كان من كمال قوته فجد في الامر وفي عمله حتى يجعله

قناه ولا يزال يشتغل بعمارته وحفر الابار الى ان يبلغ الماء حد الكمال
فكذلك مثل المجذوب الذي ظهر له من الله نور في القلب فيغتر به
ويظن انه هو الكمال وليس وراءه غاية الا ان قربه اذ كمال البشر والمقصود
منه الوصول الى الحضرة ولا يعرف ان حظوظ العباد من الحضرة الالهية
غير متناهية وان السير في الله لا ينقطع لا في الدنيا ولا في الاخرة
فاذا استسعد المجذوب المغرور بكماله بجذبته وقلما يكون عرفه
الشيخ النقصان وبصره بالحرمان فيتدارك جذبته بالسلوك حتى
يحل عقدته ويفتح سدته وثانيهما ان السالك اذا جاءه الحق في منامه
او غيبته وتجلى لسره وقلبه وهو بعد في غلبات تصرف الخيال البس
الخيال مدارك القلب عن الحضرة لباس صورة مناسبة له فيظن السالك
ان الحق سبحانه وتعالى صورة وهو متحيز مكاني ذو صورة فيكفر نعوذ
بالله فاذا كان في ارادة شيخ محقق انقذه عن ضلالة التشبيه
واخرجه عن هذه الشبهة وفرق عنده بين تصرفات الخيال
في مدركات العقل ومشاهدات القلب ومعاينات الروح هذا
هو بيان احتياجه الى الشيخ في بدو الامر واثناء سلوكه الى ان
يتجاوز

24 حد النفس ويترقى الى عالم القلب فحينئذ يبتلي باشياء اخر لا يخرجه
عنها الا همة الشيخ وارشاده فمنها ظهور العلم اللدني فان روزنة
القلب اذا انفتحت الى عالم الغيب يرى الاشياء الغيبية والهم
بحقائق العلوم ودقائق الحكم قال الله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كما كان الخضر عليه السلام قال
تعالى حكاية عن موسى وفتاه يوشع فوجدا عبدا الاية فيفرح باطن
السالك ويستانس به ويعجبه شانه فيشتغل به فلو لم يزعجه
الشيخ وينغص عليه ويقلعه منه ويخرجه عن هذا المقام لوقف
واستغرق به ومنها ظهور منبع شبهة اهل الحلول فانه اذا كملت
صقالة مراة القلب عن طبع النفس وهواها وشهواتها وترغبه
بالهمة عن الجهات والاكوان ويصيبه الشوق الى الحضرة في
محاذاتها المقدسة عن الجهة كما حكى ابرهيم عليه السلام عن نفسه
عند استخلاص نفسه عن الالتفات الى الكواكب والاكوان بقوله
اني وجهت وجهي الاية اشرقت بنور الحق سبحانه وتعالى كما قال
تعالى الله نور السموات والارض الاية فحينئذ يظهر سلطانه بانا

الحق سبحانه وغير ذلك فيجد القلب ذوق الحق فيظن الجاهل
بالحق وسنته انه سبحانه حل في قلبه وباطنه جل جلال الله تعالى
عن ذلك علوا كبيرا فان المراه المصقوله اذا حاذت جرم الشمس
ينطبع فيها نور الشمس لا محاله فلا تكون النور المنطبع فيها نفس الشمس
اذ نفسها لا تحرق القطن ولا يشتعل بها الحراقه عكس شعاعها
المنطبع في المراه ربما تحرقها فيشتعل منه النار فكذلك نور الصفات
او الذات اذا ظهر في مراه القلب لا يكون نفس الصفات او الذات
ولا غيرهما وان كان تاثير سطوته اظهر فلولم يحفظ الشيخ قلب المريد
ويلهمه الحق لوقع في الباطل وتيه الكفر والضلاله وكذلك اذا
ارتقى المريد الى تجلي صفات الروح يبتلى باشيا احدها المكالمه فيظهر
له شرف مكالمه الروح فيظن انها مكالمه الحق فيزل قدمه بعد
ثبوتها فلولم ياخذ الشيخ بيده لا يقوم من عثرته ولقد رايت
جماعه وقعوا في هذه الورطه واغتروا بها حتى ال امرهم الى
المراجعه والعود الى ما خرجوا منه فلعمري قد يقع هذا الابتلا
عند مبادي ظهور اثار القلب فيكلمه قلبه فيظن انه كلام الحق

25 والمغرورون بهذا المقام اكثر ومنها تجلي الروح في صفه المدبريه والربوبيه
فيظن انه الحق سبحانه وتعالى ولا يكون كذلك بل يكون تجلي ربوبيه
الروح للبشريه وخلافه الله تعالى في ارضه ولا يتخلص عن هذه المنزله
والابتلاء الا بتاييد الهي وتصرف همه الشيخ حتى يخرجه منها من غير
شعوره بابتلايه وخروجه منه فلولم يكن الشيخ لوقع وبقي في هذه
الورطه ويودي ذلك اذا تجلي ببعض صفاته الاخري الى نفي الخالق
وادعا الربوبيه والخلافه مقترنا بتجلي صفه ابداع الحق ومبدعيه
الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرف الخيال
حتى تثبت الابوه والنبوه بين الله وبين العبد اذ البنوه اخص
التعلقات بالوالد اذا تحققت الابوه وهذا الكشف والابتلا
هو مبدا ضلاله اليهود والنصاري في قولهم عزير ابن الله والمسيح
ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبهذا السر ازال الحق سبحانه
وتعالى هذه الشبهه في سوره الاخلاص بقوله لم يلد ولم يولد بعد
بيان كمال توحيد الصمديه ومنها انه كثيرا ما يتفق للسالكين في
السلوك رويه صفات الكمال لتجلي صفات الحق من حيث المشابهه

ومكالمه الحق من غير شوبه بمكالمه الروح وغير ذلك مع بقاء النفس
وذلك لانه اذا واظب علي الخلوه والعزله وداوم على الذكر احيا الله
تعالى روحه ويتجلى له في صفاته عند فقدان حجاب النفس كما انه
يشاهده في ابتداء البوارق في ظلمه سحاب النفس ويشاهد كواكب
القلب اذا جن عليه ليل النفس وليس ذلك الا لقوه نور القلب
عند وجود ظلمه النفس فيخرق الظلمه بقوته ويظهر ولكن لما كانت
الظلمه ايضا قويه لا تبقي زمانا له قدر بل يكون برقا يومض ويختفي
او كوكبا يظهر ويستتر فكما انه اذا تمكن النور في القلب وغلب يخرق
النفس احيانا فكذلك اذا اشتاق الروح الي الحضره ربما ادركته
الروحيه فيتجلى له الصفات وتفنى صفات النفس ثم يحتجب فيظهر
صفات النفس يمحو الله ما يشاء ويثبت فيكون العبد بين التستر
والتجلي فيظن الممكور به نعوذ بالله انه قد استخلص من شوم النفس
وحجبها وبلغ اعلي مراتب السالكين واستغنى عن الشيخ وتربيته
بل ربما يبلغ هذا المكر والابتلاء الي ان ظن انه استغنى عن النبي
صلي الله عليه وسلم فيؤدي ذلك الي ترك المجاهده والرياضه

والاشتغال بملاذ الدنيا وشهواتها على انها غير ضاره في حقه
لانه فان عن الصفات البشريه باق بالله تعالي ويودي ترك المجاهده
والركون الي الشهوات قليلا قليلا الي ان يستولى عليه الشيطان
ويسول له ويزين احواله في عين نفسه فان الشيطان انما يتوسل
بالنفس الي اغواء الخلق ولذلك قال الله تعالي لنبيه صلى الله عليه
وسلم واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وكان احب الاعمال الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما داوم عليه صاحبه ولذلك كان عليه
السلام يمنع اصحابه عن مباشره الاعمال الكثيره ويقول تكلفوا من
العمل ما تطيقون لا يمل حتى تملوا ولهذا كانت الصحابه رضي الله
عنهم اذا اشتغلوا بعمل واظبوا عليه وما نبذوه وراء ظهورهم
كما ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص حين اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بانه يصوم الدهر كله ويختم القران في كل يوم وليله
فقال له قم ونم صم يوما وافطر يوما وذلك افضل الصيام واختم
القران في كل اسبوع فلما بلغ عبد الله سن الشيخوخيه وعجز عن
العمل الكثير قال ليتني كنت قبلت رخصه النبي صلي الله عليه وسلم

وهذه والله هي المصيبه العامه التي ابتلي بها اكثر السالكين الا
من ايده الله تعالي بروح منه وبصره بعيوب نفسه وادركه التوفيق
حتي لازم العبوديه وواظب علي قهر العدو وخلافه فلا يامن مكر
الله فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون واما قوله في
السوال وما يلزمه من حقوق الشيخ فاقول حقوق الشيخ تضاهي
حقوق النبي وتزيد علي حقوق الوالدين وذلك لان الوالد شرط
ايجاده الذي هو يتعلق بالدنيا والشيخ شرط ايجاده الذي هو
عين الاصطفاء والاجتباء في الدنيا والاخره بل الملائكيه في الاخره
علي صفه البقاء والكمال كما مر تقريره والولد يستغني عن تربيه
الوالدين عند تمييزه الحق عن الباطل والنافع عن الضار والخبيث
عن الطيب والمريد لا يستغني عن الشيخ البته من حيث الحقيقه
وان بلغ حد التمييز بين الحق والباطل والفرق بين الالهام وغيره
بل الوصول الي حضره الربوبيه وذلك هو سر احتياج الولي
الي النبي في طلب الكمال فانه لا ينقطع البته لا في الدنيا ولا في
الاخره لان الكمال غير متناه والطلب الذي ينتسب اليه كذلك

غير متناه ولا يتصور الطلب الا عند رويه المريد ولا يري المريد
الا في مرآة باطن من هو اعلي درجه واوفر نصيبا واوفي نصابا وهو
الشيخ او النبي فلو ابتلي المريد برويه الاستغناء عن الشيخ والاستقلال
بنفسه كان ذلك فطاما وعلامه وقوف فليحذر من ذلك
وليبادر في قهر النفس والتضرع والانابه الي الحضره والاستعاذه
بالله من ايده فان قيل علي هذا الاصل يجب ان لا يبلغ احد مقام
الشيخيه والاستقلال ولا شك ان السالك اذا لم يبلغ حد
الكمال لا تسلم له الشيخيه واذا بلغ حد الكمال استغني عن الشيخ
قلنا قد بينا فيما سبق المقام الذي اذا وصل اليه السالك عليه
ارشاد المريد وتربيته فيما سبق المقام ويصح منه الشيخيه ولا يعاتب
اذا خاض في التربيه عن الحق سبحانه وتعالي وهو العبور عن
صفات البشريه والوصول الي حضره الربوبيه وبينا ان ذلك وان
كان نهايه السير لكنه بدايه ظهور الجذبه وان السير بالجذبه في
الله غير متناه وان المقام الذي يتصرف فيه السالك بتربيه
الشيخيه مشترك بين الانبياء والمشايخ صلي الله عليهم ورضي عنهم

وان الفرق بين مقام الانبياء في رتبتهم وبين مقام المشايخ في درجاتهم
انما يظهر بعد التمكن في المقام المشترك الذي هو حد الوصول او
البلوغ فاذن يكون السالك كاملا بالنسبه الى من هو تحته من
جهه الشيخيه الاراده وناقصا بالنسبه الى من هو فوقه من جهه
الشيخيه يستفيد عن شيخه ويفيد المريد وهذا الامر بين غير
مشتبه في حال النبي والولي فان الولي يفيد غيره ويستفيد من
النبي ولن يبلغ في الدنيا مرتبه يستغني بها عن متابعه النبي ظاهرا
وباطنا والعجب انه ربما يبلغ قوه المريد فوق قوه شيخه حتى يصير
ولايته ابسط من ولايه الشيخ ومع ذلك لا يستغني على الحقيقه
عن متابعه الشيخ سنه الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنه
الله تبديلا اللهم الا ان يوقع القدر شيئا غير متمكن في وهدات
النفس فخذله بذلك الحجاب وابتلاه من غير فوز بالنعمه بآفه الاباء
نعوذ بالله من الحور بعد الكور واداب الصحبه على وفق رعايه
حقوق الشيخ في الحضور والغيبه يكاد لا تحصى ولا يحتمل هذا
المختصر شرحها بل المريد الصادق لا يحتاج الى تعلم تلك الاداب

فان نفس الاراده الحقيقيه لثبوته على ما هو رضا قلب الشيخ
وما اشار اليه الشيخ ابو سعيد رضي الله عنه يغنيك عن بعض
التفاصيل واما قوله هل يجب على المريد اوامر الشيخ ونواهيه
وان كانت تخالف ظاهر الشرع فاعلم ان الشيخ هو الذي يعز الدين
والشريعه في قلوب المريدين فلا يامر بمخالفه الشرع لكن الاحكام
على قسمين احدهما ما اجمعت عليه الائمه والعلماء فليس لاحد بعد
الارشاد ان يامر بخلافه فان ذلك معصيه ولا طاعه لاحد في
معصيه الله وثانيهما ما اختلفت فيه اقوال المجتهدين وقد قال
صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمه فربما يامر الشيخ على مقتضى
نظره بما يخالف قول احد المجتهدين عملا بقول مجتهد اخر فيلزم
المريد قبول ذلك الامر وامتثاله ولا يسوغ له الاعتراض في هذا
الباب على الشيخ لان نظر الشيخ على ما كشفنا الغطاء عن مقامه
فوق نظر المجتهد واولى بالاصابه فان حكم المجتهد على غلبه الظن
وحكم الشيخ على وفق اراده الشيخ واشاره النبي صلى الله عليه وسلم
اوحكم قالب المواقع بمنزله صوره اشاره الحق الا ترى الى النبي صلى

متابعه

الله عليه وسلم كيف رخص لوابصه في استفتاء القلب بقوله
استفت قلبك ولو افتاك المفتون وهذا انما ياتي عن القلب
الذي تخلص عن هواجس النفس وتصفى عن كدوره الطبع قال
رضي الله عنه سمعت شيخنا الصديق محمد اللوني يقول سال الشيخ ابو
طاهر العطاردي الامام الرباني ابا القسم عبد الرحمن الاكافي
فقال مالي اراك تتوقف في جواب مساله تسال عنها لو كان المسول
غيرك لا يتوقف فيها فقال مجيبا لان بين القلب واللسان بونا
بعيدا وفيه تصرفات النفس والشيطان فاجتهد ان استخلص
الجواب عن هواجس النفس ووساوس الشيطان فالشيخ الذي
بلغ مرتبه الشيخيه وسلم له امر التربيه لا يامر المريد الا بما يوافق
رضى الله تعالى ويشتمل على مخالفه الهوى وقهر النفس وما يوافق
رضا الله عز وجل لا يخالف حقيقه شريعه النبي صلى الله عليه
وسلم ولا يخدعنك قول من زعم ان اسرار الطريقه تخالف الشريعه
واحتج بوقايع موسى والخضر عليهما السلام فان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اختص بصفات كمال حرمها غيره من الانبياء عليهم السلام

 منها انه عليه السلام كان مبعوثا الى الثقلين وكافه الخلق وموسى
عليه السلام كان مبعوثا الى طايفه مخصوصه هم بنو اسرايل وفرعون
وهامان وقومهما ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم ختم به النبوه
ونسخت بشريعته الشرايع كلها قال الله تعالى ليظهره على الدين
كله وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الايه
فانطوت اسرار الطريقه باسرها على وفق تقدير الحكيم الى منقرض
العالم في شريعته الناسخه للشرايع كلها فعلى هذا يجوز ان يغترف
الولي من بحار علومه اللدنيه دررا مخصوصه لا يطلع عليها النبي
المبعوث الى طايفه مخصوصه من الخلق وهذا لا يوجب ترجيح
مقام الولي على النبي فانه قد يطلع التلميذ اتفاقا على مسله
يغفل عنها الاستاد العالم النحرير الذي يستولي على اكثر المسايل
وذلك لا يوجب ترجيح التلميذ مطلقا على الاستاد ولا يجوز
ان يدعي ولي بعد النبي مثل هذا فان شريعته العامه قد حوت
الطرق كلها وهذا مما لا يتنبه على الفطن المحق الناقد المحفوظ

الباب الخامس في المسله الخامسه

وهي قوله ماكيفيه الخلوه والوحده والغروب عن الناس ومايلزمه
من الاذكار فيها على اختلاف الاوقات وهل يلزمه ان يصوم
ويتحرى الحلال من المطعوم والملبوس وهل يضره الاستغال بالعلوم
الشرعيه كتابه ومطالعةً وقراءةً وتلاوةً **قال** الشيخ رحمه الله
العزله والخلوه من لوازم هذه الطريق في اوايل ظهور انوار الاراده
وتباشير صبح السعاده وعنفوان الطلب روت عايشه رضي الله عنها
عن بدو الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت في حديثها حبب اليه
الخلا فكان يتحنث الى جبل حرا اسبوعا واسبوعين وروى
جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان
اول ما انزل عليه من القران قال جاورت بحرا فلما قضيت جواري
واستبطنت الوادي فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني
وعن شمالي فلم ار شيا فنوديت فنظرت فوقي فاذا اما به قاعد
على عرش بين السماء والارض قال فجثت منه الى خديجه فقلت
دثروني دثروني وصبوا علي ماءً باردًا فانزلت علي يا ايها المدثر
قم فانذر وربك فكبر فسر الطلب كان مشغوفا في النبي صلى الله عليه وسلم

في ابتداء الامر حتى امكنه الاشتغال بغير هذا الامر فكان اخبر 30
خديجه ثم الممشى تزوجها فنكحها فكان ذلك فصاري همه وهمته
في ذلك الوقت الى ان اظهر الله تعالى في قلبه سر طلب الحق فرغب
عن مخالطه الاغيار واستبشع ملاذ الدنيا ونعيمها وحبب اليه
الخلا ففارق الاهل والبلد وقنع بما يسد رمقه ويسكن جوعته
وواظب بعد التجريد على التفريد وداوم على التوجه الى حضرة
الربوبيه حتى اغناه الله تعالى عن طعام الخلق وشرابهم فقال
صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فايده الله بروح
منه واكرمه بانزال الوحي عليه وتجلى له جبريل فقال له اقرا فقال
لست بقاري وكان ظهوره فجاءةً فما شعر بحقيقه الامر وخاف
على نفسه وترك الخلوه وذهب الى خديجه وقال زملوني زملوني
فزملته حتى ذهب عنه الروع فاخبر بواقعته خديجه وقال
خفت على نفسي فقالت خديجه كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوايب الحق

فما استقر قلبه حتى انطلقت به خديجه الى عمها ورقه بن نوفل فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر ما راى فقال ورقه هذا الناموس
الذي انزله الله تعالى على موسى فاطمان قلبه عند ذلك فتر الوحي
الى ان جاور في حرا على ما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم فاتصل به جبريل عليه السلام وما كان
يعرفه فامره بالقراه فحسب دون الابلاغ والانذار الى ان بالغ
في الرياضه وزاد في مده الخلوه فاستعلى امره وعظم شانه
واستاهل للتبليغ والانذار وترقى الى ذروه الكمال فهذه هي سنه
الالهيه في هدايه العباد وتربيه الطالبين فالمريد اذا هبت في
قلبه لواقح العنايه واخضر شجر طلبه وانفتحت انواره وازهاره
استبشع شهوات الدنيا ولذاتها واستقبح نعيمها وزخارفها
واستوحش من الخلق ورغب عن مخالطتهم وغلب عليه هم الاخره
وتحري رضى الحق حتى ضاقت عليه الارض بما رحبت اختار الخلوه
واثر العزله فان استسعد بخدمه شيخ عارف بحقيقه الامر

سالك لطريق الحق واقف على دقايق التربيه يلقنه ذكرا ويعوده
التخلي والمواظبه على الذكر ليزيد بذلك طلبه وشوقه فيستانس
في الخلوه ويستوحش عن الخلق فيجلسه في الخلوه وطريق الخلوه
على ما لخصه الجنيد قدس الله روحه ورتبها اقرب الطرق الى حصول
المقصود وقاعدتها مبنيه على ثمان شرايط احدها دوام الخلوه
فلا يخرج عن خلوته لتفرج ولا لازاله قبض ولا لسامه وملاله ولا
لداعيه من دواعي الهوى والنفس بل يكون خروجه عن ضروره في
الدين كالتوضي وصلاه الجماعه الثاني دوام الوضو فيحافظ على
الوضوء ولا يمكث ستوليه على الحدث قال النبي صلى الله عليه
وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان افضل اعمالكم الصلوه
ولا يحافظ على الوضوء الا مومن واذا غلبه النوم واستيقظ عاد
وجدد الوضوء ويستحب تجديد الوضوء عند غلبه النوم وان كان
على وضع لا ينقض النوم طهارته على بعض المذاهب فان الوضوء
على الوضوء نور على نور فاما اذا توضا من غير غلبه نوم بل من كسل
النفس وطلب الاستراحه فذاك مكروه يجتنب عنه الثالث

دوام الصوم التقليل مستحب للمريد وغيره فانه ما ملي وعاء شرا من
بطن ادمي قال عيسى بن مريم للحواريين اجيعوا بطونكم لعلكم
ترون ربكم بقلوبكم ولا شك ان القالب يستمد من الغذاء والقوى
الطبيعيه المودعه في الكبد لامرار الغذاء هي جند الشيطان وحزبه
واذا وجد حظا وافرا استولت ظلمتها على القلب واستتبعت
القوى الطبيعيه القوى النفسانيه فيلزم منها استيلا النوم
وظهور كلاله الحواس وكدورتها واذا قلل الغذا ذبلت قوى النفس
ودواعيها ولا تحتاج القوى الطبيعيه في هضمها الغذاء الى
استتباع غيرها فلا يمنع الفكر والعقل عن التصرف في مدركاتها
والسر في ذلك ان الامرار المغذيه للانسان هو مرتبه النباتيه
والاشتغال بالشهوات هو مرتبه الحيوانيه فالمقبل على الغذاء
لاجل الزياده في البدن هو الغالب عليه النباتيه والمقبل على الغذا
والشهوات لاجل قضا الوطر هو الغالب عليه الحيوانيه فكلاهما
اندرجا تحت قوله تعالى اوليك كالانعام بل هم اضل قال الله تعالى
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون والعاقل
الطالبه

الذي خاض في هذا الامر ودام نحو الكمال لا ياكل الا الضروره سد الرمق
وبقاء المهجه فاذا سكن كلب جوعه بتخاله اغتذي بها واقتصر
عليه وما التفت الى شي فيه حظ النفس وشغل الباطن واذا علمت
ان تقليل الطعام هو الاصل المعظم في هذا الباب فاعلم ان الافراط
في التقليل ايضا مضر جدا فانه يودي الى ضعف يمنعه عن مزاوله
الاعمال ووظايف العبادات والذكر القوي وان التقليل اذا كان
مقرونا بنيه الصوم كان احسن فان الصوم قد اختص من الله تعالى
بفضيله امتاز بها عن سائر اركان الاسلام والعبادات قال الله
تعالى الحسنه بعشر امثالها الى سبع مايه ضعف الا الصوم فانه
لي وانا اجزي به ولخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك
الرابع دوام السكوت عن غير الذكر فلا يتكلم البته الا مع الشيخ
ويقتصر فيما يكلمه على حكايه الوقايع التي يريد حلها واحوال قلبه
في القبض والبسط وما ابتلي به في الخلوه وما فتح عليه من المواهب
قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر
فليقل خيرا او ليسكت الخامس دوام الذكر فان من شرايط الخلوه

المداومه علي الذكر المعين بحيث لا يفتر عنه البته ولا يتركه الا عند غلبه
النوم وفي اثناء الصلوه وفي المبرز فانه يكره ثمه ذكر اللسان فيذكر
الله بقلبه ولا يذكر علي غفله عن حقيقه معني الذكر فان الذكر المعتبر
هو الذي يوافق فيه القلب اللسان ولا يذكر ايضا كيف اتفق بل بقوه
يظهر اثره في جميع الاعضاء لان ذلك اقوي علي نفي الخواطر وتحصيل
الجمعيه ويخفي الصوت فيه ويجتنب الالحان ويبالغ في التعظيم فانه
اذا واظب علي الذكر اللساني مده علي حضور تام وتعظيم وافر يودي
الذكر اللساني الي الذكر القلبي فيطمين القلب بالذكر قال الله
سبحانه وتعالي الا بذكر الله تطمين القلوب ويستانس بالله وذكره
ويستوحش عن الخلق كلهم وعن مخالطتهم المانعه عن الخلوه
واذا تمكن في الذكر القلبي وعرف الشيخ ذلك منه امره بترك
الذكر اللساني وشغله بمجرد التوجه الي الله والحضور ومراقبة الحق
او القلب الي ان يتبدل الذكر الانسي بالذكر القدسي ويشغله الفكر
الحقيقي بالمذكور ويلهيه عن صوره الذكر ويعرف حقيقه قول
الساده ان ذكر اللسان هذيان وذكر القلب وسوسه السادس

نفي الخواطر باشرها بمراعايه صوره الذكر ومعناه فلا يلتفت الي تمييز الخواطر
من قبل النفس وبعضها من القاء الشياطين وبعضها من القاء الملايكه
وبعضها من قبل الالهامات لانه بعض الاشتغال بتمييز الخواطر مضره
ظاهره ومضره الشيطان من جمله وساوسه وخواطره بل الواجب
اجتناب الخواطر كلها ولا يتيسر ذلك الا بمراعايه ظاهر الذكر ومعناه
والمبالغه في تعظيمه وتعظيم جليسه مع الله قال الله تعالي انا جليس
من ذكرني ومراقبه القلب ومحافظه وظيفه الاحسان فان الاحسان
وعلي ما قال النبي صلي الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فاعلم انه يراك فان التجريد يتيسر لمن ايد بصدق الاراده
والطلب في طرفه عين ولن يتيسر التفريد الا بعد مده مديده ومشقه
تامه بواسطه نفي الخواطر فان جميع الاشيا المحسوسه التي
استانس بها المريد في ابتداء امره وجاهليته والتي شاهدها ولم
يستانس بها المريد في ابتداء امره يرتسم في خياله فاذا جلس في
الخلوه واشتغل بالذكر شوشت عليه الامر والوقت تاره بنسخ
الخواطر وانشايها وتاره بمخالطتها بالمشاهدات الغيبيه

ومزاحمتها اياها وكذلك هواجس النفس ودواعيها ودواعي هواها
على كثرتها ووساوس العدو على اختلافها وكثرتها بوسيلة القوي
تكدر ينبوع القلب ويفرق حقيقة جمعية الباطن وتسلب المريد
حلاوة الذكر ولذة مناجات قلبه فاذا واظب على نفي الخواطر وهو
المهم الاعظم والشرط الاكبر بل هو خلاصة امر الخلوة وزبدة حقيقة
المعاملة وصل الى حقيقة التقريب والانس بالله بتبدل القاء الشيطان
بالهام الرحمن وحديث النفس بمكالمة القلب والروح والحق سبحانه
وتعالى او بمناجات القلب مع الله تعالى على اختلاف المراتب
السابع ربط القلب بالشيخ هو عبارة عن تعلق قلب المريد بالشيخ
من جهة الارادة التامة الكاملة حتى يتيقن انه هو الذي يوصله
الى الله تعالى وان هذه المرتبة والخاصية اعني ايصاله الى الله غير
ثابتة لاحد من مشايخ وقته وان كان كل واحد منهم موصوفا بهذه
الخاصية في حق غيره فانه لو خطر ببال المريد ان في العالم احد يوصله
الى الله تعالى غير شيخه تصرف فيه الشيطان وازعجه عن الخلوة
لا سيما عند ظهور القبض والابتلاء واشتداد رعونة القلب وربما يبلغ

هذا التصرف الى ان يتمثل بصورة شيخه ويريه اشياء ليفسد بها 34
اعتقاده وارادته فاما اذا استحكمت ارادته في حق شيخه كما قلنا
يستحيل الشيطان التمثل بصورة الشيخ فان الشيخ في قومه كالنبي
في امته كما ان الشيطان لا يمكنه التمثل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم
على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني
فان الشيطان لا يتمثل بي فكذلك لا يمكنه التمثل بصورة الشيخ
فيبقى المريد محفوظا فاذا تعلق المريد بشيخه على هذا الشرط وجب
عليه ان يتيقن ايضا ان روحانية الشيخ غير متحيزة وكل ما لا يكون
متحيزا استوى اليه نسبة الامكنة كلها ففي اي موضع يكون
المريد لا يفارقه روحانية الشيخ وان كان يفارقه شخصيته والبعد
انما يتعلق بالمريد فاذا تذكر المريد بقلبه قرب الشيخ قرب اليه فتعلق
به قلبه فاستفاد منه وهذه الزيادة يطلع عليها المريد في اوقات
ثلاثة احدها ان ما يريه الله تعالى شيئا من اياته فيشاهده
بعين القلب ولا يقف على حقيقة معناه فيحتاج الى الشيخ ليحل
واقعته فيستحضر الشيخ بقلبه ويسأله عن حقيقة معنى الصورة

المشاهدة لا باللسان الظاهر بل بلسان القلب فيلهمه روح الشيخ
بحقيقة معنى الواقعة ونحوها عقيب السؤال وانما يتيسر له الاستمطار
بواسطة ربط قلبه ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب وينفتح
له طريق القلب الى الحق انفتاحا يجعله محدثا قال النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان في الامم محدثون وان كان في هذه الامة فعمر بن
الخطاب وثانيها عند ما يقصده الشيطان اما ظاهرا من حيث
الصورة واما ان يلقي في قلبه الرعب من غير ان يظهر نفسه ففي هاتين
الحالتين اذا تذكر من الشيخ واستعاذ به كالطفل اذا استعاذ
بوالديه عند رؤية شي خاف منه او يجري اسمه على اللسان فيشاهد
اضمحلال صورة الشيطان عند ذكر اسمه او زوال الخوف والرعب
من قلبه وبطلان كيد الشيطان وثالثها اذا استسعد المريد
لفيضان انوار الغيب عليه وتوجه الواردات اليه وجد في المجاهدة
ربما يبلغ امره الى ان يفيض عليه الوقت اكثر من مقدار قوته وتحمله
فان زاد على قدر استطاعته يعجز عن قبولها فيستمد حينئذ عن
ولاية الشيخ فيفيض عليه قوة يمكنه قبول الواردات ولا يمكن

ان يقول قايل انا قد راينا المشايخ قد استفادوا عن غير شيخ واحد مثل
ابي عثمان الحيري فانه كان في الابتداء متمسكا بحبل متابعة يحيى بن
معاذ الرازي ثم بعد ذلك رغب في صحبة شاه الكرماني ولازم عتبته
الى ان قبله ثم بعد ما ودع الشاه نيسابور وراى الشيخ ابا حفص
الحداد وقع على سمله فاحتال الى ان استوهبه ابو حفص عن الشاه
فوهبه منه فصحب الحداد واستمسك بالعروة الوثقى وبلغ مبلغ
الرجال فانت تحجرت واسعا اذا خصصت تعلق الارادة بشيخ
واحد لانا نقول كما ان الولادة والتربية على الحقيقة بالوالدين لكن
يتفاوت حال الولادة والتربية تفاوتا فاحشا فان تعلق الولادة تعلق
لا يشارك الوالدين فيه غيرهما فانه كثيرا ما يتفق ان يربي الصبي غيره غير الوالدين
وترضعه الظير لا الوالدة فكذلك حال جنين العبودية في رحم ارادة
المريد يتعلق ظهوره وانعقاده على حسب تقدير الحق سبحانه بشيخ
معين لا يشاركه فيه غيره الى ان يموت الشيخ فاذا تولد الجنين
الذي هو السالك حقيقة وصلح التربية غير يمكنه ان يسترضع عن
شيخ هو كالظير التي تقوم مقام الام وهذا ايضا من خفيات لطايف

الحق ودقايق رازقيته وحينيذ يتولى تربيته شيخ اخر اما بسبب وفاة
شيخه كما كان حال الشيخ ابي النجيب السهروردي رضي الله عنه فانه لما
مات شيخه الشيخ احمد الغزالي رضي الله عنه استفاد باشارته بعده
عن الشيخ حماد الدباس واما بسبب رزقه عن تربيه الشيخ اخر ساقه
التقدير اليه كما كان حال الشيخ ابي عثمان الحيري اما اذا كان جنين
العبوديه بعد الانعقاد وما تم تولده فلو اتصل بشيخ اخر فسد حاله
وسقط الجنين سقطا فلا يصلح منه شي ويبقى مع تصرفات النفس
فان غلبت عليه اهلكته وان لم تغلب عليه بل انقادت لغلبه دخل
الجنه وصار من اهلها واشتغل بنعيمها وفاز بالذي اشتهت نفسه
قال الله تعالى ان اصحاب الجنه اليوم في شغل فاكهون وقال تعالى
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون فان مات
الشيخ وهو بعد في ارادته وما تم الانعقاد فان ساعده القدر
وادركته العنايه لزم خدمه شيخ ملازم الولايه لولايه شيخه من غير
فتره فيتصل تصرفه بتصرف شيخه فيستتجه كالبيضه التي كانت
مده تحت دجاجه فاذا اخذتها ووضعتها تحت دجاجه مثلها

36 من غير فتره اخرجت الفرخ وان وقعت فتره بردت البيضه فيها
وفسدت فاما اذا كان المريد تحت تصرف شيخ فازاغه الشيطان
الى ارادة شيخ اخر حتى انقطع عنه واتصل بالاخر فيابى الحق سبحانه
ان يكمله بذلك الاخر سنه الله التي قد خلت من قبل ولن تجد
لسنه الله تبديلا ويستحيل ان يبقى مع ذلك الاخر الا بحظ النفس
فيصير ضحكه للشياطين وعبره للسالكين اللهم الا ان يرى الشيخ
بعد الانعقاد فيه صلاحيه تربيه غيره فيدفعه اليه او يرى قبل
الانعقاد ان الله تعالى يحجبه من غيره ويرزقه الكمال من اخر فلا ينصرف
فيه بل يشير اليه قبل التصرف ليستسعد بخدمه من رزق منه كما يحكى
عن الشيخ الكبير ابي القسم القشيري انه اشار ابي علي الفارمدي
بملازمه خدمه الشيخ ابي القسم الكركاني قدس الله ارواحهم
الثامن ترك الاعتراض على الله تعالى فان من لوازم امر المريد اذا
جلس في الخلوه ان يغتسل وينوي في الغسل انه غسل الميت فيكون
بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل ويسلم لرب العالمين
الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوا كل ليله عندما يصبح

جنبه لاستراحه النوم ويقول اسلمت نفسي اليك وفوضت امري
اليك والجات ظهري اليك الحديث فكذلك المريد يسلم نفسه الي
الله فلا يعترض عليه تعالى البته فان رزقه بسطا شكره عليه ويتيقن
ان الباسط هو الله وان ابتلاه بقبض شكره عليه او صبر فيه ويتيقن ان
القابض هو الله فان مثل المريد مع الله كمثل المريض مع الطبيب فاذا
تيقن المريض ان الطبيب عالم بدقايق الطب مشفق على حاله فوض
امره الى رايه وترك الاعتراض عليه فاذا اسقاه الحلو قبله وشرب
واذا سقاه المر قبله وشرب وعلم ان الحلو في وقته انفع من المر
والمر في وقته انفع من الحلو فكذلك المريد اذا تحقق ان الله لطيف
بعباده رحيم عليهم روف بهم وانه لا يعزب عن علمه مثقال ذره
في الارض ولا في السماء ويتيقن انه ظالم لنفسه ساع في هلاك قلبه
وروحه جاهل بما فيه فوزه او هلاكه فوض امره الى الله تعالى واستسلم
لقضايه فاذا طيب وقته ورزقه البسط شكره ويتيقن ان شفا
قلبه وعلاج مرضه في ذلك الوقت مستور فيه شعر

وكلت الى المحبوب امري كله فان شاء احياني وان شا اتلفا

قال الله تعالى عسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاذا استسعد بالتسليم
في الابتداء ابلغه التسليم الى كمال العبوديه في الانتهاء نقل
عن الشبلي رضي الله عنه انه قال لو خيرني الحق سبحانه بين الجنه
والنار لاخترت النار لما فيه من خلاف النفس فنقل هذا الحديث
الى الجنيد فقال هذا كلام الاطفال فقيل عنه ماذا تقول انت
قال لو خيرني لقلت انا العبد وليس للعبد خيره فسبيل المريد في
الابتداء ان يوثر كلما يخالف نفسه على ما يوافقها ولا يسكن الى ما
فيه شرب النفس كما كان حال الشبلي وسبيل البالغ في العبوديه
ان لا يختار الا ما يختاره الله تعالى كما كان حال الجنيد ولن يبلغ احد
هذه المرتبه الرفيعه الا على سبيل التدرج ومبدا التدرج هو ترك
الاعتراض والله اعلم هذا كيفيه الخلوه واما قوله وما يلزمه
من الاذكار فيها على اختلاف الاوقات فاعلم ان خلاصه فايده
الخلوه هي قهر النفس ومخالفه دواعي الهوى وتربيه القلب والروح
بمخالفه الهوى وقهر النفس انما يحصل بالعزوب عن الخلق وبالانقطاع

عن تعلقات الدنيا وهذه الوظيفه هي بمنزله الاحتما في ازاله المرض
فان سو المزاج اذا غلب علي البدن فعلي المريض ان يجتنب كل ما
يوافق ذلك المزاج السوء والخلط الفاسد والمريد في ابتداء الامر
كالمريض لانه غلب علي باطنه الركون الي شهوات الدنيا ولذاتها
واعتاد النظر في المحسوسات وقنع بما استحسنته القوه الوهميه
فاوردته هذه المعاني في البهيميه الصرفه والحيوانيه المحضه اوليك
اوليك كالانعام بل هم اضل ولعمري ان هذا هو المرض الحقيقي
الذي اشار اليه الحق سبحانه بقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
فان الصحه الحقيقيه هي التلذذ بالمعاني العقليه ثم الشعور
بحقايق الصفات القلبيه والتمتع بالنعيم الاخروي والدرجات
الفردوسيه ثم الاستغراق في مشاهدات السر من اثار قرب
جوار رب العالمين وملاحظات سرادقات العز ثم السكر عن رحيق
الاستيناس بتجلي انوار الجمال ثم الوله فيما يعاينه الروح من تجلي
صفات القرب ثم المحو عما يذوق من تجلي صفات الجلال ثم المحو والطمس
عما يصادمه من تجلي صفات الجمال فاذا غلبت عليه اثار المرض

فلابد من احتماء صادق هو الاجتناب عن مشتهيات النفس ودواعي
الهوي وملاذ الوهم بالخلوه وذكر الموت ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات فالانقطاع عن الخلق ومشتهيات
النفس وكثره ذكر الموت يكسران سوره النفس ويعدان المريد
كتربيه القلب التي هي المعالجه فكما ان ذكر الموت هو راس الاحتما فكذا
ذكر الله هو راس المعالجات والترياق الاعظم فاذا اشتغل بالخلوه
وقلع بذكر الموت تعلقات القلب وواظب على الذكر تبدل الذكر
سوء مزاج القلب يظهر فيه علامات الصحه والاذكار الصادره
عن الحضره المصطفويه زادها الله كمالا كثيره جدا وانما تكثرت
تلك الاذكار لمعنيين احدهما وهو السر ان كل ذكر آلة للعبد في
دفع العدو فكما ان الاسلحه في الظاهر مختلفه كالسيف والرمح
في موضعه فكذلك كل ذكر من الاذكار آلة تختص بدفع حرب مخصوص
من احزاب الشيطان فالحزب الذي يندفع منهم بالصلوه على النبي
صلى الله عليه وسلم لا يندفع بالتسبيح والذي يندفع بالتسبيح صح لا يندفع بالتحميد والذي
يندفع باية الكرسي لا يندفع بغيرها وثانيهما ان الانسان خلق

خلق عجولا سريع الملاله يميل طبعه عن المواظبه علي نوع واحدٍ
من الاذكار والعبادات فاذا ابدل نوع الذكر او نوع العباده
تجدد نشاط الطبع في مزاولته والتحلي به ومع هذا فالواجب علي
المريد في الخلوه ان يقتصر علي ذكرٍ واحدٍ وهو الذكر الذي لقنه الشيخ
فان دفع الشيطان لا يتيسر له الا بواسطه ذكر الشيخ كما ذكر ان
طايفه ارادوا سفرا وازمعوا على الذهاب فخافوا علي انفسهم
واموالهم قطاع الطريق فذهبوا الى خدمه الشيخ ابي الحسن الخرقاني
رضي الله عنه وقالوا عزمنا علي السفر وازمعنا على الرحيل ونخاف
في الطريق من قطاعها فعلمنا شيا من الاذكار نحترز بها من كيد الاعداء
فقال الشيخ سيروا علي اسم الله تعالى فاذا ظهر الخوف فقولوا ابو
الحسن الخرقاني تنجوا فانكرت طايفه منهم وقالوا اسم الله تعالي
وقوارع القران وايه الكرسي وامثالها اولي من اسم واحد من المخلوقين
وقبلت طايفه وانصرفوا طالبين الي السفر فلما ادركهم الخوف
وقطاع الطريق تخلص من تخصص باسم الشيخ وهلك من ذكر اسم
الله وتمسك بالدعوات والايات واغير علي امواله فازداد

39 تعجب الطائفتين فلما رجعوا سال واحد منهم الشيخ عن هذه الواقعه
وقال الست اسم الله تعالى اعظم من اسم عباده قال نعم قال فكيف
هذه الحاله فقال الشيخ انكم ذكرتم اسما لم تعرفوا مسماه فما ذكرتموه
علي الحقيقه وانهم ذكروا اسم من عرفوه وهو عارف بالحق وهذه الحقيقه
لا يومن بها ولا يصدقها الا من ذاق الحقيقه وشاهد الامر فالمواظبه
علي الذكر الذي لقنه الشيخ اولى من الاذكار المختلفه والملاله التي
تحصل فسببه غلبه ظلمه النفس وتصرف الشيطان لا يزيله الا
المواظبه على الذكر فاذا علم المريد انه في مجاهده النفس والشيطان
وتيقن ان مراد النفس منه والشيطان ترك المجاهده والمعامله
في هذا الوقت واختار الدعه والرفه والكسل فلا تزيده السامه
النفسانيه الا جدا في الامر وشرها في الجهاد والرياضه ولذلك
يستحب للمريد الذي لا يكون في الخلوه المرتبه اذا جلس للذكر ان لا يقوم
عن مجلسه عند ظهور قبض او سامهٍ فان هذه الحاله انما تحدث
من تصرف الشيطان في الباطن وغلبه حزب الشيطان علي حزب الله

فلو ترك الذكر بسبب غلبه سلطان الشيطان وقام عن مجلسه استولى
عليه العدو فكلما اراد ان يجلس شوشه بالخواطر المختلفه المزعجه
وقلبه عن موضعه فيجب على السالك الصادق ان يخالف النفس
والشيطان ويتكلف في زياده الذكر مقرونا بالتعظيم التام والالتجا
الي ولايه الشيخ ليمدّ بها جنود الله في الباطن اذا ظهرت اثار غلبه
حزب الله بالبسط وانشراح الصدر وطلب القلب ولين الجلد
ونفوذ الذكر في الاجزا قام على فتح ونصر وتمكن وانما اشار النبي
صلي الله عليه وسلم بقوله تكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله
تعالى لا يمل حتى تملوا الي ملاله القلب لا ملاله النفس فان القلب
اذا استانس بالله وذاق طعم الحضور ولذه الجمعيه ربما كرهت
كثره الاعمال فاما اذا ملت النفس من العمل مال القلب اليه يستحب
الزياده في العمل على خلاف النفس وهواها قهرا لها وقمعا لهواها
الا ترى الي النبي صلي الله عليه وسلم كيف صلى حتى تورمت قدماه
اما سمعت قوله عليه السلام انما اجرك على قدر نصبك لان تطن

ان يورم القدم على موافقه النفس وملاله طبعها ام نصب الانسان
على وفق رضا هواه لا والله ما ثبتت التكاليف الا على خلاف
النفس وملاله طبعها وهواها لهلاك النفوس وحيوه القلوب
وخرق الحجب وتنسم نفحات الرب واما الحقيقه التي قررناها بان
الاذكار على اختلافها بمنزله الاسلحه المختلفه ولكل حزب من الاحزاب
الشياطين ذكر خاص به يمكن دفعه فهي الحق الا ان الاسلحه المختلفه
يستعملها المحارب اذا واجه العدو وشاهده وعرف دقايق
المحاربه وكيفيه استعمال كل اله في وقتها كان قادرا على استعمالها
على وفق العرفان لكن المريد ليس كذلك فانه لا يعرف احزاب الشيطان
ولا حقايق قدره كل حزب منها ولا خواص الاذكار وتصرفها وكيفيه
اختصاصها بدفع كل حزب مخصوص واذا كان الامر كذلك فلا يزيده
تبدل الاذكار الا جبنا وضعفا وعدم يقين ولا يزيد جبنه وضعفه
وقله يقينه الا جراه الشيطان واستيلا سلطانه فان مورد تصرف
الشيطان هو الشك وقله اليقين وكذلك يتفق للمريد كثيرا في اثنا
الذكر ان يوسوسه الشيطان بتبديل الذكر وذلك بان يزين بعض

بعض الاذكار عنده ويذكره الفضايل الماثوره في ذلك الذكر فيظن
المريد الجاهل بمكايده ان امثال هذه الخواطر التي فيها الاشاره
الي العبادات ملكيه او رحمانيه ولا انها شيطانيه صرفه يريد
العدو بذلك اخراجه عن امتثال اوامر الشيخ ليظفر به اذا اخرجه عن
الحصن فان اوامر الشيخ هي سور ولايته فاذا خالف المريد امر الشيخ
خرج عن السور بغير سلاح والعدو منتهز الامثال هذه الفرص مترصد
لهلاكه فيظفر به ويلقيه في المهالك واعلم ان المشايخ رضي الله عنهم
اتفقوا علي اختيار الذاكرين المشهورين في تربيه المريدين وهما لا اله
الا الله والله ثم اختلفوا فبعضهم اختاروا لا اله الا الله وهم طبقه
الشيخ ابي يعقوب يوسف بن ايوب الهمداني والشيخ ابي النجيب السهروردي
وغيرهما والذي عليه هذا الفقير واصحابه لا اله الا الله لمعان ثلاثه
احدها ما ورد في الحديث الصحيح كما اورده الحاكم عبد الله في المستدرك
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعا الحمد لله وثانيها متابعه المشايخ رضي الله عنهم فان هذا الذكر
ذكر مشايخنا ووصل منهم الينا ومتابعه الشيخ اولي فانها كالفرض

41 اللازم وثالثها ان المشايخ اتفقوا علي ان المريد ما لم يسلك طريق
لا اله مده قريبه من اربعين سنه لا يصل الى حقيقه الا الله فالمقصد
الله والطريق لا اله والسلاح الذي به يدفع شر الاغيار لا اله الا الله
فان دفع شر الاغيار هو التبري عنهم والتولي الى الله تعالى الا ترى
الى كلمه لا حول ولا قوه الا بالله التي هي من كنوز العرش والمخصوصه بدفع
الشياطين كيف حاصله التبري والتولي فما دام الطالب في السلوك
ومشاهده الاغيار فلا بد له من دفع ما يواجهه من اهل الشر
والخير بالتبري عنه والتولي الى الله وذلك في حقيقه معنى لا اله الا
الله حتى اذا جاوز عالمي الخلق والامر ببدرقه لا اله الا الله ووصل الي
الحضره استغنى عن الذكر وصارت وظيفته مراقبه المذكور فاذن
ذكر لا اله الا الله اتم في تحصيل المقصود من ذكر الله وايضا فان
حقيقه السلوك في الابتداء مبنيه علي امرين احدهما قهر النفس
وثانيهما تربيه الروح وهذا الذكر جامع للامرين جميعا فبالنفي يقهر
النفس ويقلعها وبالاثبات يغذي الروح ويقويه واعلم ان
طائفه من المشايخ اختاروا الخلوه علي الدوام الى ان يتم الامر وامره

الله تعالى يدعو الخلق الى الصراط المستقيم ودين الحق ومتابعة
النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ يوسف الهمداني قدس الله روحه
ومن انخرط في سلك متابعته واستسعد بالاقتداء به وبعضهم
اختاروا الاربعينيات والاستراحة فيما بين الخلوتين كالشيخ ابي
النجيب السهروردي قدس الله روحه ومن استضاء بنوره واغترف
من بحره وللقايلين بالدوام ان يحتجوا بما روت عائشة رضي الله عنها
انه كان احب الاعمال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما داوم عليها
وبما قالت رضي الله عنها انه كان عمله دائما وبما روي عبد الله بن عمرو
بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لا تكن مثل فلان
كان يقوم الليل وترك قيام الليل وبما قالت عائشة رضي الله عنها وقد
سيلت عن السجدتين اللتين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصليهما بعد العصر قالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه شغل عنهما
او نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما فكان اذا صلى صلاة اثبتها
قال الراوي يعني داوم عليها وبما قال عبد الله بن عمر في الحديث
المشهور لما التزم عملا ولم يقبل رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكبر سنه ورق عظمه ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رضي من نفسه الركون الى الرخصة بعد اباية قبولها في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم فدلت الاحاديث على كراهية ترك العبادات
التي شرع العبد فيها مدة وعلى استحباب المواظبة على الاعمال الموظفة
المرتبة فانه من واظب على الخلوة ثم تركها مدة كمن واظب على قيام
الليل مدة ثم تركها وايضا ان المريد اذا تخلى بالعبادة مدة وتعود النفس
ذلك شانا ثم ابت لازدحام القلب على معاملته ولا تكدر عليه مشربه
فاذا خرجت وعادت الى مالوفاتها ازدادت حرصا على اقتناصها كالسمكة
التي اخرجت من الماء حتى اذا قرب موتها طرحت في الماء كان وقوفها
على الماء وغوصها فيه حينئذ اكثر وكالطير الذي وقع في الفخ ثم وثب
منه وانفلت كان اشد فرارا واكثر احترازا ويحتاج الصياد في
اصطياده الى زيادة تعب ونصب بل ربما يصير بحيث لا يمكن اقتناصه
من شدة احترازه وغاية نفاره فكذلك النفس ان اصطادها المريد
وقوي عليها ثم حفظها وراضها حتى تعودت العبودية ووفات الى
امر الله وانقادت لاحكام الحق واستسلمت لقضاياه فاز وبلغ الغاية

العصوي وان تركها وهواها قبل ثبات قدمها في العبوديه عادت
الي شوم طبعها وقويت وشمست وربما يودي ذلك الي فساد يتسع
خرقه علي الراقع ويستحيل تداركه وتلافيه للقايلين بالمجاهده
في الايام المعينه والاستراحه بين الخلوتين ان يحتجوا بان النبي صلي
الله عليه وسلم كان يتحنث في جبل حرا اسبوعا واسبوعين وجاور
بحراء شهرا فكان يخلي ويتحنث مده ويخالط اخري وهذا الترتيب
اولي من وجوه احدها ان هذا موافق لمجاهده النبي صلي الله عليه
وسلم ورياضته فهو اولي بالاعتبار وثانيها ان النبي صلي الله عليه
وسلم قال في حديث عبد الله بن عمرو ان لنفسك عليك حقا فقم
ونم وذلك لان جميع اصناف العبادات انما يتيسر بواسطة النفس
فانها كالمركب والالة فمن داوم الخلوه والتضييق عليها عيل صبرها
وكلت ملالتها وسامتها فتظهر الشماسه والجموح ويعينها علي
ذلك الشيطان بوسوسته فربما يودي ذلك الي ازعاج السالك
عن الخلوه وقلعه ولو ابتلي بذلك ينفر عن الخلوه ولا يمكنه المراجعه
الي الخلوه اللهم الا ان يدركه التاييد والعنايه الازليه وان جلس

اياما وارتاض مده ثم استراح اسبوعا اشتدت رغبته وتجددت
ارادته وازدادت دواعيه فاذا عاد الي الخلوه والرياضه تدارك
افه الفتره بسرعه ويكون خلوته وجلسته بعد ذلك علي شوق
وطمانينه ورغبه صادقه ولا تنازعه النفس فيقل الخواطر المذمومه
واذا قلت الخواطر ومنازعه النفس وزاد نزاع القلب تيسر له من
السلوك وفتوح السالك باسرع الاحوال ما لا يتيسر لغيره
في مده مديده وثالثها ان من اعتاد الخلوه واستانس بها ينتقص
جمعيه باطنه علي اوان الخلوه والعزله ويتشوش بادني شي فيكون
حكمه كالاطفال الذين يتاثرون عن اضعف الاشيا فاذا اختلي
مده وخالط مده ويراعي حال باطنه في المخالطه كما كان يراعي
حاله في الخلوه تحصل له قوه وتمكن يصير بها قادرا علي حفظ
الجمعيه مع المخالطه فيحصل له الخلوه مع المخالطه فيستفيد
من الحق ويفيد الخلق ويكون من ورثه الانبيا عليهم السلام قال
النبي صلي الله عليه وسلم المومن الذي يخالط الناس ويصبر علي اذاهم
فهذا هو نموذج من الكلام الذي يتعلق بشتي طائفتين واما قوله

هل يضره الاشتغال بالعلوم الشرعيه كتابةً ومطالعةً وقراءه
وتلاوةً القران فالكلام فيه كالكلام في الاذكار المختلفه بل نزيده
بيانا ونقول هذه معاملات مستحسنه مرضيةٌ تخرج العبدُ
بمداولتها والتحلي بها من سخط الله الى رضاه فيختص بالعلماء والصلحاء
والابرار وليس بشان المقربين ولذلك قال بعض المشايخ كن
محدثا صوفيا ولا تكن صوفيا محدثا فان الاشتغال بالعلوم
يستحسن قبل الاشتغال بحقايق المعرفه والاستغراق في التاله
فانه كالمرقاه لحقايق المعرفه ولقد سبق منا القول بان المريد يبلغ
مقاماً يفتح عليه العلوم اللدنيه فيتشبث بها ويتلذذ بها ولولا
قوه الشيخ وتصرفه وارشاده لبقي فيها فانظر اذا كان من شان
المريد اذا تحقق بالعبوديه وادى حق صدق الطلب وما انحرف
عن الجاده ان يبلغ درجه يستنكف عن الاشتغال بالعلوم
اللدنيه التي من ثمرة المتابعة الحق ولا ينحرف عن جادة العبودية
فكيف يجوز له الاشتغال بسور طايفه وما اوتيتم من العلم
الا قليلا بلى لا بد له من تحصيل ما هو فرض العين قبل الخوض

44

في الطريقه فاذا تعلم ما هو فرضه وخرج به عن عهده الشرع وخاض
في الامر حرّم عليه الاشتغال بغير الله تعالى ولو طرفه عين الا ان يتم
له الامر ويشار اليه بما هو وظيفه اوقاته اللهم الا ان يحتاج الى مسئله
واقعه قد اشتبهت عليه والتبست على خاطره فحينيذ يجب عليه
ان يطالع الكتاب الذي في تلك المسئله او يسال شيخه حكى الشيخ
ابو سعيد بن ابي الخير رضي الله عنه انه من بعد ما دفن الكتب في
الارض وظهرت اثار لطف الله تعالى في احواله راى يوما كتابا بين
يدي امام قال فاردت ان انظر اليه فنودي في سري اترجع الى ما
خرجت منه تريد ان ادفعك اليه فهبت من ذلك الخطاب وتبت
الى الله قال رضي الله عنه سمعت من الغيب انه يكفي الشيا
ما تحلى به الشيخ محمد الكوفي وبضاعته في العلوم الظاهره لا يبلغ
حد النصاب والمشايخ كانوا يامرون المريدين بتحصيل العلم ولا
يجيزون لهم تركه الى ان يستغلقهم الحال عن العلم لئلا يبقى في باطنهم
داعيه لتحصيل تجرهم اليه بعد الخروج منه وهذا هو حال اصحاب
الهمة والذين لا يقنعون من الامر باسمه ولا يسكنون دون الكمال

فاما الذين قنعوا بمقام الابرار ورضوا بان يكونوا من الفايزين بالجنه
ونعيمها فلهم ان يطالعوا الكتب ويدارسوا العلم في الخلوه وغيرها
وكذلك القول في قراه القران فان الله تعالى انزله لتعملوا بحكمه
وتومنوا بمتشابهه وتتخلقوا به سيلت عايشه رضي الله عنها
عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم الذي مدحه الله تعالى بقوله
وانك لعلى خلق عظيم فقالت كان خلقه القران وسيل بعض
الصحابه عما اوصى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصى بكتاب
الله تعالى الا ترى ان المراد به قراه كتاب الله لا والله ولكن المراد
به العمل بكتاب الله الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كيف
قال رب تال القران والقران يلعنه يعني والله اعلم الذي يتلوا
القران ولا يعمل به والقول في قراه القران كالقول في الاذكار المختلفه
فكما ان الاذكار اسلحه اعدت لقهر عدو الدين وهلاكه ولكن المحارب
يجب ان يكون عارفا بانواع استعمالها في اوقات محاربته فكذلك
القران شفا لما في الصدور وفيه حقايق الادويه التي بها تزال
امراض الصدور ولكن يجب ان يكون القاري واقفا على حقايقه حتى

يتلوه حق تلاوته كما يجب ان يكون المعالج واقفا على استعمال الدواء
الذي اختص بازالة مرض معين حتى يستعمله ولا يعالج في ذلك المرض
بغيره فانه ان لم يكن واقفا بماهيتها عالما بالحقيقه استعمال الادويه
المختلفه التي اختص كل واحد منها بمرض وجمعها وعجنها ثم استعملها
في الامراض المختلفه لا تورث معالجته الا هلاك المريض فلذلك القاري
يجب ان يكون مطلعا على معاني القران وانواره واسراره حتى يستفيد
من كل ايه الشفا المودع فيها فلو تلاه على عمي من قلبه وغفله من باطنه
لا تورثه التلاوه الا البعد والطرد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
رب تال القران والقران يلعنه وتحقيق هذا الكلام ان يعلم ان الله تعالى
هو الضار والنافع والقران الذي هو كلامه المجيد الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد تضمن اثار صفتي النفع والضر
قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمه للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا فاظهر الله تعالى صفه ضرره في حق
الاعدا عند استعماله واظهر صفه نفعه في حق الاولياء عند استعماله

كما قال جل ذكره يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل ويفسدون في الارض فعلى هذا مثله كمثل الترياق الاعظم
الذي الهم الله تعالى عباده اجادة وصنعته ثم اودع فيه اثار النفع
والضر فلو عالج الطبيب به مريضاً معالجة على شرط اصولهم وقوانينهم
اظهر الله سبحانه اثر نفعه في ذلك المريض وهو الشفا العاجل
والصحه الكامله وان عالجه به لا على الشرط والقانون اظهر الله
اثر ضرره في ذلك المريض وهو الداء العضال والاشراف على الهلاك
لكن طريق استعماله على قانون الحكماء ان ينقي البدن عن الخلط
الفاسد فالترياق يزيد في تهييجه فكذلك القران هو الترياق
الاعظم في عالم الصدور والقلوب والارواح قال الله تعالى
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمومنين فلو استعمله من استولى على قلبه حب
الدنيا الذي من لوازمه نقض عهد الله تعالى من بعد ميثاقه وقطع

ما امر الله به ان يوصل والفساد في الارض على ما قال النبي صلى الله
عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وهو بمنزلة الخلط الفاسد
في الصدور والقلوب نبت حب الدنيا بما يتلوا من القران فاظهر
الله تعالى ضرره الذي هو البدعه والكفر والنقض والقطع والفساد
في صدره وقلبه كما قال تعالى يضل به كثيراً ثم بين صفه من اضله به
قال وما يضل به الا الفاسقين اي الذين استولى عليهم حب الدنيا
فاوردهم بواسطه الشهوات بحر المخالفه حتى نقضوا عهد الله
وقطعوا ما امر الله به ان يوصل واظهروا الفساد في الارض ولو طفق
يخرج بالمجاهده والرياضه حب الدنيا ومواد المعصيه عن صدره
ويخلص عن وحشه الشهوات وكدوراتها اتاه الله تعالى الكتاب
فحينئذ يتلوه حق تلاوته قال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته اولئك يومنون به واظهر الله تعالى حقيقه نفعه وشفاه في
الصدور وهدى في القلب وحقيقه رحمته في الروح فان اظهار شفايه
الذي هو بدايه الهدايه مشروط بشرط الايمان كما قال تعالى وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمه للمومنين وحصول نور الايمان في

القلب شروط بشرط العبودية التي هي ثمرة العناية ولذلك قال
جندب البجلي كنا فتيانا حزاورة مع نبينا صلى الله عليه وسلم
فتعلمنا الايمان قبل ان نتعلم القران فازددنا به ايمانا وانكم اليوم
تتعلمون القران قبل الايمان ثم اعلم ان المريد لم يحفظ من القران الا
فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص ولا يقراهما الا في الصلوة ثم تجافى
عن دار الغرور واناب الى دار السرور واخلص لله تعالى في العبادة واثر
التاله والعبودية على شهوات النفس وهواها الى ان ياتيه اليقين
كان من الفائزين والمرائي ان حفظ القران وختمه في كل يوم وليلة ثم
كان قلبه مشحونا بحب الدنيا ملوثا بالحقد والحسد والاخلاق الذميمة
كان من الهالكين واعلم ان الخلوة تختلف عند الطالبين كما سبق
ذكره فان كانت الخلوة مدة معينة فلا يشتغل فيها الا بالذكر ومراقبة
القلب ونفي الخواطر فاذا خرج من الخلوة ايام الاستراحة بين
الخلوتين يجب ان يوظف لنفسه وظيفتين وظيفة الذكر ووظيفة
قراءة القران فانه لا شي بعد الذكر انفع للمريد من قراءة القران لا سيما
اذا كانت القراءة عن تدبر وتفكر وان كانت الخلوة على الدوام فلا يضيق

عليه الامر جدا بل يرخص له في قراءة القران وصلوة النافلة خصوصا
صلوة التسبيح فان هذه الصلاة من انفع الاشياء ايضا بعد الذكر
لكثرة ما فيها على النسق الواحد لكن المريد المخنث اسبوعا او اسبوعين
او اربعين ليلة ان كان حافظا للقران ثم جلس في الخلوة واشتغل
بالله فلا يسوغ له ترك القراءة ونسيان القران بل الواجب عليه ان
يوظف فيقرا اجزاء القران على الترتيب في الصلوات وبعد تمام الاربعين
او المدة المعينة يواظب على القراءة ويتدارك الخلل الواقع ولكن يجب ان
تكون تلاوته على الشرط المتدبر في الايات والاجتناب عن الغفلة ونفي
الخواطر حتى يصير كانه ينظر الى اجزاء القران على لسانه وبالله العون
والعصمة والتوفيق

الباب السادس في المسئلة السادسة

التي هي ان ما يختلج في صدره ويخطر بباله في مشاهداته
وحالاته كيف يفرق بين الحق فيها والباطل حاصل السؤال يؤول الى
تحقيق الخواطر وتمييز بعضها الى بعض والى تحقيق المشاهدات وتحقق
الخيالية منها التي لا طائل تحتها عن الحقيقة التي هي من مدركات
القلب والروح فنقول وبالله التوفيق اما الخواطر فتنقسم الى نفسانية

وشيطانيه وملكيه وقلبيه وروحيه وشيخيه والهاميه والمشايخ
ما فرقوا بين الخواطر القلبيه والروحيه والالهاميه الا من حيث
التلويح في اثناء الكلمات وجعلوا كلها الهاميه فالخواطر النفسانيه
التي هي حديث النفس قالوا الفرق بينها وبين الخواطر الشيطانيه مع اشتراكهما
في المطالبه ان النفس تصبر على شهي هواها وتلح فلا ترضى ولا تسكن
الا عند استيفاء حظها او يشكلها اخلاص الطالب المجد بصمصام
الصدق كما روي عن بعض السالكين انه قال اشتهت نفسي منذ اربعين
سنه ان اغمس جزره في الدبس والشيطان لا يصبر على القاء خاطر
معين بل ارادته شغل قلب المريد بغير الله ووقوعه في الفتنه فلا
يزال يزين الاشياء في نظره ويدعوه اليها فان لم يلتفت الى شي زين
شيئا اخر لان جميع المخالفات عنده سواء وانما يريد ان يكون دائما
ابدا الى زلله ما ولا غرض له في تخصيص واحد هذا معنى قول الجنيد
رضي الله عنه والفرق بين الخواطر الشيطانيه والملكيه ان الشيطان
يدعوه الى مخالفه امر الحق ومخالفه امر الشيخ وان كان غير مخالف
في الظاهر لامر الله لانه اذا عجز عن ازعاجه من امر الحق فبوسوسه

حتى يخرجه عن امر الشيخ ليظفر عليه ويخرجه عن امر الحق وربما
تقتصر وساوسه على ازاغه قلبه الى جانب الافراط في المعامله
فانه اذا ترسخ العبد في حقيقه التوبه والانابه وايس العدو
عن دعوته الى ما يخالف ظاهر الشرع طفق يجره بالوسوسه الى
افراط المكروه كما ورد في الحديث ان للوضوء شيطانا يقال له
الولهان فيدعوه الى الاسراف في صبه الماء وهذا ما يبتلي به
المريد كثيرا في ابتداء امره وكذلك الوسوسه في نيه الصلوه
وتنظيف الثياب حكي ان سليمان الداراني ابتلي في ابتداء
السلوك بالوساوس فروي يوما في صميم الشتاء انه كان يتوضا
ويعيد غسل الاعضاء ويوذي نفسه ويقول العفو العفو فسمع
هاتفا يقول العفو في العلم فاشتغل بالعلم فروي بعد ذلك وهو
يصلي على فضله الغنم فقيل له انصلي على النجاسه فقال هذا
مما اختلف العلماء فيه والخواطر الملكيه هي ما يتعلق بالترغيب في
العبادات على وفق اوامر الشرع والنهي عن المخالفات واللوم على
ارتكاب المحظورات والتكاسل عن بذل المجهود في المعاملات والفرق

بين الخواطر الملكيه والخواطر الالهاميه ان الخواطر الملكيه قد
يزعجها النفس والشيطان ويدفعانها بالهواجس والوساوس
والخواطر الالهاميه لا يردها شي من الاشيا ينقاد لها النفس والشيطان
طوعا وكرها فلها سلطان اذا ظهر في الباطن اضمحل ساير الخواطر
كلها جاء الحق وزهق الباطل سيل الحسين بن منصور عن البرهان
فقال واردات ترد علي القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها والخواطر
القلبيه هي التي اشار اليها النبي صلي الله عليه وسلم بقوله استفت
قلبك ولو افتاك المفتون وبقوله صلي الله عليه وسلم واعظ
الله في قلب كل مسلم والخواطر القلبيه والروحيه والملكيه
يكاد لا تتميز بعضها عن بعض في الابتدا من حيث الظاهر وانما
يتميز في النهايات واعلم ان هذه اشارات الي علامات الخواطر
ولا يومر المريد بتمييز الخواطر فانه يشوش الباطن ويزيل الجمعيه
ويبطل فايده الذكر ولكن يومر بتمييز خواطر الشيخ عن خواطر
الشيطانيه وذلك لانه يحتاج ضروره الي تمييزه عن ساير الخواطر
في حل الوقايع وجواب الاسوله فخاطر الشيخ والقاؤه ما يقع في

القلب عقيب السوال وساير الخواطر التي تنازعه وتخطر بعده
شيطانيه او نفسانيه وخواطر الشيخ في الحقيقه هي قشر الخواطر
الالهاميه فانها في الانتهاء تصير الهاميه ضروره وانما لا يعتمد
علي هذه الاستدلالات علي تمييز الخواطر بعضها عن بعض لانه ما
دام في ظلمه صفات النفس غلبت علي احواله الخواطر النفسانيه
والشيطانيه فلا يتحقق الخواطر القلبيه والروحيه والالهاميه الا
علي سبيل الندره وللشيطان قدره تامه في تزيين الاشياء واراءة
الباطل في صوره الحق لاسيما وقد صدرت الاحاديث عن الحضره
النبويه المصطفويه زادها الله جلالا علي اختلاف مقاماته واحواله
كما قال عليه السلام المومن الذي يخالط الناس ويصبر علي اذاهم فاذا القي
الشيطان مثلا هذا الحديث في صدر السالك وقد تعب عن تحمل
المجاهده وظهر في نفسه توقان الي المخالطه ظن المسكين ان هذا
خاطر ملكي او من الهامات الحق واستدل عليه انه خاطر حق
بانه من الاحاديث الصحيحه ولا يدري انه كلام حق استعمله الشيطان
لتحصيل مرامه وهو ازعاجه عن الخلوه فيقلعه بالحديث الصحيح عن

خلوته ويرده الى البطاله والمخالطه ويودى مخالطته الى مصاحبه
احدان السوء ويودي صحبه الاحدان الى الخوض في المخالفات وارتكاب
المحرمات نعوذ بالله منه واذا ايده الحق بروح منه وادركته العنايه
وساعده التوفيق اوجب على نفسه الاشتغال بذكر الله تعالى ونفي
الخواطر مطلقا حتى اذا استضا قلبه وصدره بالانوار الروحانيه
فحينيذ لا تخطر الا وهو عارف به وبمنشايه فبنور الاسلام الذي
هو في الصدر يعرف خواطر النفس والشيطان وبنور الايمان الذي
في القلب يعرف خواطر الملك فانه اذا كمل نور الايمان في القلب يصير عين
القلب به فيشاهد انوار الخواطر الملكيه والروحيه وينطق لسانه
به فيتكلم مع صاحبه بما فيه صلاحه ويسمع اذنه به فيدرك الخواطر
الملكيه الروحيه الالهاميه ويميزها عن الخواطر الروحيه والتحقيق
في هذا البيان ان تعرف ان تمييز الخواطر بعضها عن بعض يتوقف على
معرفه ينابيع الخواطر فالسالك ما لم يعرف حقيقه النفس لا يعرف
حقيقه خواطرها وما لم يعرف حقيقه الشيطان ومكايده وتصرفاته
في باطن الطالب لا يعرف حقيقه خواطره وكذلك ما لم يعرف حقيقه القلب

لا يعرف كلامه وخواطره وكيفيه اعانته له وما لم يعرف الروح لا يعرف
كلامه والخاطر الذي يتعلق به وما لم يعرف الحق سبحانه لا يعرف حقيقه
الهامه ولذلك اورد الشيخ ابو القسم القشيري رحمه الله في باب
تفسير الخواطر حكايه عن بعض السالكين ان نفسك لا تصدق
وقلبك لا يكذب ولو اجتهدت كل الجهد ان تخاطبك روحك لم تخاطبك
وعندي ان هذا القايل عرف النفس فعرف كذبها وعرف القلب
فعرف صدقه وما عرف الروح بعد حتى حكم انه لا يخاطب بل الروح
يخاطب صاحبه كما يخاطبه القلب واذا بلغ في العبوديه سر المتابعه
نزع عن نفسه الكذب الا ترى الى قوله تعالى يا ايتها النفس المطمينه
ارجعي الى ربك راضية مرضيه فلا تصير النفس راضية مرضيه الا بعد
نزع الصفات الذميمه عنها وذلك من خواص اكسير الروحانيه
في حقايق اسرار المتابعه المستحيله للطايف المحبوبيه وكمال معرفه
حقايق عالمي الخلق والامر لن تحصل الا بعد العبور عليها والترقي الى
ما فوقها فالسالك ما دام في حقيقه صفات النفس وحقيقه صفات
الشيطان فيعرف خواطرهما المنفيه واذا ترقى الى عالم الروح فبنور

وما لم يتخلص القلب ولم يعرف لا يعرف خواطره

الروح عرف حقيقه القلب وكماله فعرف خواطره وعرف حقيقه
جواهر الملايكه فعرف خواطرها وحقيقه اتصالها بالارواح البشريه
وحقيقه شغفها باعانتها لها باذن الله تعالي واذا رقي الي عالم
صفات الالوهيه وسرادقات العزه فبنور الحق عرف صفات
الربوبيه وتجلت له علي قدر استناره قلبه وروحه به حقايق
صفات الجمال والجلال والعزه والكبريا ويلزم من معرفه صفات الحق
سبحانه معرفه صفات الروحانيه واختصاصها بالحضره وكمال
قربها واستحقاقها مسجوديه الملايكه والملكيه في العبوديه
ويلزم من معرفه صفات الحق والروح معرفه خواطر الحق والروح
وتمييز بعضها عن بعض فانك اذا سمعت صوت انسان من وراء جدار
حايل بينك وبينه عرفت ان ذلك الصوت صوت ذلك الرجل
بعينه فاذا لم يكن ذلك الانسان معروفا عندك لا يمكنك ان تحكم
بانه صوت فلان الا علي سبيل الظن الذي هو نازل عن عالم العلم
واليقين فاذا كمال معرفه الخواطر وتمييز بعضها عن بعض موقوف
علي معرفه مبادي الخواطر وتمييز بعضها عن بعض والله اعلم واما

تحقيق المشاهدات وتمييز الحق منها عن الباطل فهو ان الله تعالي
كما خلق للانسان الحواس الخمس في الظاهر ليدرك بها المحسوسات
البصريه والسمعيه والذوقيه والشميه واللمسيه فكذلك
خلق في باطن الدماغ قوه تجتمع فيها صور المحسوسات كلها تسميها
الاطبا والحكما الحس المشترك ولهذا الحس خزانه هي الخيال اذا
غابت المحسوسات عن حواسه الظاهره يستحضرها في باطنه كانه
يشاهده وينظر اليه وذلك لان القوه الخياليه تحفظ الصور
المحسوسه وتضبطها فاذا نام الانسان وعطلت الحواس الظاهره
لو عرضت عليه وهجمت عليه من الامور الغيبيه ما لا تزيله عن
عالم الشهاده قويت القوه الخياليه فيحكي عما هو الغالب علي الباطن
من الخواطر النفسانيه او الشيطانيه وكسبت القوه المتخيله بتصرف
الوهم كل خاطر منها لباس صوره من المحسوسات تناسب معناها
معني ذلك الخاطر فذلك اضغاث الاحلام ولا اعتبار لها في عالم
الرؤيا فان كان القلب ميتا لانهماكه في الامور الدنيه الدنيويه
واستغراقه في الشهوات الحسيه والوهميه وذهوله عن حقايق

الامور الاخرويه فلا يكون الرويا الا من هذا النوع وان كان القلب
حيا ولكنه مغلوب في تصرفات النفس والهوي فربما يتخلص
احيانا عن اسرها وقيدها فيطالع الغيب ويدرك بعض حقايقه
والقت العنايه الازليه بينه وبين بعض الارواح الملكيه والانسانيه
والجنيه فيلقي فيه ذلك الروح ليعينه علي الحق ويزيل عنه شر الاعداء
وبعض الاشياء المنبهه له عن الافات والنفس والشيطان
فتكسوا المتخيله ذلك المدرك من الغيب والملقي فيه من الارواح
لباس صوره من المحسوسات تناسبه فتاره تكون خاليه عن هواجس
النفس ووساوس الشيطان وان كانت علي سبيل الندره فتلك هي
الرويا الصادقه التي هي جزء من ستة واربعين جزءا من اجزاء النبوه
فيحتاج المعبر في تعبيرها الي معرفه المناسبه المعتبره التي رعتها
القوه الخياليه بحسب كما حكي ان موذنا راي في منامه انه كان يختم
الفروج وذلك في رمضان فجاء الي ابن سيرين واستعبره فقال انك
توذن لصلاة الصبح قبل اوانه وانفجار الصبح وكان الامر كذلك
فهذا هو شعوره وقلبه من منفعه المسلمين عن المجامعه بواسطه

52
اذانه فكسته القوه الخياليه باذن الله تعالي لباس صوره الختم علي
الفروج لانه انما يختم الشي لينقطع عنه تصرف الغير وتاره تكون
مشوبه بتصرفات الهواجس والوساوس فيعبر بما هو من تصرفات
الهواجس والوساوس عن حقيقه مدرك القلب والملقي فيه
فيطرح البعض الذي هو من قبيل الاضغاث ويعبر الباقي الذي هو
من قبيل الرويا الصادقه فاذا خاض المريد في المجاهده وعكف علي
باب الخلوه واعتزل عن الخلق وواظب علي الذكر واجتهد في تعطيل
حاسه السمع التي هي نلوها في الشغل بالجلوس في البيت المظلم
الذي لا يحتاج فيه الي تكلف اطباق الجفون والاغماض حصلت له
في اليقظه رويه الاشيا كما يراها النايم في نومه وحينيذ يختلف
حال المريد لانها تكون تاره صوره الخواطر النفسانيه او الشيطانيه
التي كستها القوه المتخيله فتكون من جنس اضغاث الاحلام وان
كانت في اليقظه والمشاهده وتاره تكون صوره مدركات القلب
او الروح من عالم الشهاده فان الروح يستفيد من الحواس الظاهره
قوه تدرك بها الصور المحسوسه من غير استعمال آله الحس فانه

والغيبه التي هي عبارة عن الحاله التي تتوسط بين النوم واليقظه صح

وربما يري السالك في النوم او الغيبه او اليقظه وهو مطبق اجفانه
شيئاً من المبصرات ثم يشاهد ذلك الشي بعينه بعد ذلك عياناً
ولا شك انه لم تكن تلك الرويه مما تعلق بحاسه العين لانها كانت
معطلة فاذن هي من مدركات الروح من القوه المستفاده من الحواس
ولا يكون في مثل هذه الواقعه تصرف متخيله البته ومنها ما هو مدرك
القلب والروح من عالم الغيب فان كان ذلك من قبيل رويه الملائكه
فربما يكون الصور المشاهده من الملك في النوم او اليقظه من تمثل
الملك له بصوره كما كان حال جبريل عليه السلام فانه كان ياتي النبي
صلى الله عليه وسلم في صوره دحيه الكلبي في الاكثر وياتيه احياناً
في صوره غيره كما روي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره في الحديث
المشهور الذي اشتمل علي السوال عن حقايق الاسلام والايمان
والاحسان فقال صلى الله عليه وسلم في اخره يا عمر هل تدري من السايل
قال الله ورسوله اعلم قال جبريل اتاكم يعلمكم معالم دينكم فالنبي
صلى الله عليه وسلم والصحابه رضي الله عنهم باسرهم راوا جبريل
عليه السلام في صوره اعرابي ولا شك ان تلك الصوره ليست من

قبيل تصرف المتخيله فان تصرفات القوه المتخيله في الاشخاص المختلفه
الطباع لا يكون علي نهج واحد بل يختلف اختلافاً بيناً واذ ذلك فلما يتفق
ان يري جماعه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام علي صوره واحده اللهم
الا ان يتخيلوا قبل منامهم صورته وهيانه وشكله علي ما هو المثبت في
واحده
الكتب فلما اتفقت رويه الصحابه علي صوره واحده ورويا وما اختلفت
احوال مدركاتهم علمنا ان تلك الصوره لم تكن من جنس اختراع المتخيله
بل من قبيل تمثل الملك وهذا كمال مرتبه الروحانيه وتصرفها في عالم
الاجسام وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم من حصول هذه المرتبه
لجنس البشر روي ابو عيسي في جامعه باسناده عن علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنه لسوقاً ما فيها شرا ولا بيع
الا الصور من الرجال فاذا اشتهي الرجل صوره دخل فيها فهذا هو
تمثل الارواح البشريه في الصور المختلفه اذا طهرت عن شوايب الصفات
الجسمانيه فالروحانيون يحتاجون الي التمثل في التقرب الي عالم
البشر ويحتاجون الي نزع صفه الروحانيه في التقرب الي الحضره
الربوبيه وربما تكون الصوره من التصرف في القوه الخياليه باذن

الله تعالى كما يرى في صورة الحنبات عند رعاية معنيين متناسبين
فيهما احدهما نزع آلة الشهوة منه وقطعها عنه والاخر حقيقة قربته
الى الحضرة وكونه واسطة بين الخالق سبحانه وبين الخلق وكما يرى
الملائكة في صورة الاتراك والشياطين في صورة السود لرعاية حسن
افعال الملائكة وطاعتهم وقبح افعال الشياطين ومخالفتهم فاما
اذا لم تكن من قبيل روية الارواح فان كان هذا صورة في الغيب كالجنة
والنار وغيرهما فربما تكون ادراك الروح خاليا عن تصرف القوة الخيالية
وربما يكون ادراك الروح مشوبا بتصرف الخيال ولذلك يرى السالكون
حقيقة الجنة والنار على تفاوت في الصور المدركة عنها فالحاصل
ان القوة الخيالية المخزونة المودعة في عالم البشر آلة يستعملها الغالب
على الولاية البشرية فان كان الغالب سلطان النفس او سلطان الشيطان
يستعملانها على وفق طبعهما فتكون المشاهدات الحاصلة لها من
جملة اضغاث الاحلام غير المعتبرة وان كان الغالب عليها سلطان
الروح وخليفة الله تعالى في ارضه يستعملها على ما يريد فيخبر السالك
بها عن عالم الغيب وان كان الغالب عليه سلطان الحق كما قال الله

54 تعالى في قصة يوسف عليه السلام والله غالب على امره فيستعملها
الحق سبحانه وتعالى ويصيرها واسطة الغيب والشهادة فيرى
العبد بها حقايق الاشياء الغيبية فما دامت في تصرف سلطان
الروح يحتاج المريد الى الشيخ في معرفة حقيقة المشاهدة واذا
استولى سلطان الحق لا يحتاج الى معرفة سواه فكلما يراه شاهده
يلهمه حقيقتها والله اعلم

الباب السابع في المسئلة السابعة

وهي قوله الخرقة التي ياخذها المتصوفة عن الشيوخ ويدركون بها
ما اصلها واسنادها وسببها وهل يراعي جهة العلو فيها ومتى يتاهل
المريد لها **قال** رضي الله عنه ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان
من صلصال من حماٍ مسنون ثم اذا سواه ونفخ فيه من روحه جمع فيه
بهما حظوظ الدنيا والاخرة وحقايق عالمي الغيب والشهادة
فالناس على اربع طبقات طبقة منهم فازوا بحظوظ الدنيا وحقوق
الاخرة جميعا وطبقة منهم نالوا احسن ثواب الاخرة وحرموا نعيم
الدنيا وطبقة منهم على العكس تمتعوا بنعيم الدنيا وحرموا سعادة الاخرة

ولا شك ان افضل الطبقات الطبقه الاولي الذين اتاهم الله تعالي
ورزقهم حسن ثواب الاخره ومنحهم النعيم المقيم وهم السعداء
علي الاطلاق واشقي الطبقات الذين خسروا الدنيا والاخره
ذلك هو الخسران المبين وهم الاشقيا علي الاطلاق ثم طبقه تلي
طبقه السعداء علي الاطلاق وهم الذين نظروا الي الدنيا والاخره
وتيقنوا ضعف باطنهم ان لا يفي بضبط الدارين والجمع بين الضرتين
الا القوي من الرجال والثانيه الذي تحوم علي نفسه بالجمع بينهما
التمتع باحديهما فاذا استيقنت انفسهم لحقيقه الضعف اثروا
الذي يبقي علي الذي يفني وهم السعداء الاضافيه ثم الطبقه التي
تلي طبقه الاشقياء وهم الذين غلبت عليهم البهيميه حتي استدرجتهم
من حيث لا يعلمون الي انكار الغيب والاخره واطمانوا بالحيوه الدنيا
ورضوا بها فبقوا في تيه الجهوليه وحضيض الظلوميه اوليك
كالانعام بل هم اضل لحرمانهم عن المراتب الروحانيه مع تيسر الروحانيه
وهم الاشقيا الاضافيه فسيد السعدا علي الاطلاق نبينا محمد
صلي الله عليه وسلم الذي خاطبه الحق سبحانه وتعالي بقوله لولاك

ماخلقت الافلاك واخبر هو صلي الله عليه وسلم بامر الحق عن كمال
ولايته وسيادته فقال صلي الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائي
وقال فضلت علي الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت
بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وارسلت الي الخلق كافه وختم بي النبيون وسيد الاشقياء علي
الاطلاق من جحده وخالفه وضل من هداه فان قيل ليس كمال الجمع
بين الدنيا والاخره لسليمن عليه السلام اكثر فان الله سخر له الريح
والجن والانس وقال نبينا صلي الله عليه وسلم الفقر فخري وقال
صلي الله عليه وسلم خيرت بين ان اكون ملكا نبيا وبين ان اكون عبدا
نبيا فاخترت ان اجوع يوما واشبع يوما وقال صلي الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم اضاف الدنيا الي غيره وهذا يخالف الجمع بين
الدنيا والاخره قلنا للملك صوره وحقيقه فاذا اعتبرت حقيقه
الملك وجدت ملك نبينا صلي الله عليه وسلم اعظم فان حقيقه
الملك هي الاستغنا والقدره ولا شك انهما كانا في نبينا اتم

لان سليمن عليه السلام طلب الملك بالتضرع والابتهال بقوله هب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ونبينا صلى الله عليه وسلم استنقذه
مباشرة صورته بعد ان خيره الله تعالى واتاه من غير التماسه اما
بلغك حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلوة فقال ان الشيطان عرض علي نفسه علي ان
يقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فاخذته ولو اردت ان اوثقه
الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان بن داود
هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا وزاد ابو الدرداء
في روايته لولا دعوة اخينا سليمن لاصبح موثوقا يلعب به ولدان
اهل المدينة فانظر كيف استنكف من ملابسة صورة الملك بعد
كمال قدرته عليها واما قوله الفقر فخري فحاشا ان يظن به احد
ان المراد به الفقر العرفي الذي يحتاج صاحبه الى كسرة خبز فانه
عليه السلام ما التفت الى الكون حتى اثنى الله تعالى بقوله ما زاغ
البصر وما طغى وكان في جيشه يوم فتح مكة نيف وثلثون الف رجل

حتى اعجبت كثرته ابا سفيان بن حرب فقال للعباس عم النبي صلى الله
عليه وسلم ورضي عنه لقد امر امر ابن كبشة وقد سال عنه اعرابي
وقال اعطني ما اعطاك الله فاعطاه ما بين لابتي المدينة غنما
فقال الاعرابي والله لقد يعطي محمد عطاء من لا يخشى الفقر واما قوله
حبب الي من دنياكم فاضاف الدنيا اليهم لانهم كانوا من ابنائها
وما اضافها الى نفسه لانه صلى الله عليه وسلم ما كان من بنيها
فهو مالك الدنيا وغيره مملوكها الا من خلصه الله بنور متابعته
عن ظلمة الدنيا وافاتها ثم هب ان ملك الدنيا كان لسليمن ابسط
واعظم ولكنا نقول الكمال الذي يتعلق بالجمع بين الدنيا والاخرة
ينقسم احديهما الى قسمين احدهما ما يكون طرف اخرته ارجح على طرف
دنياه وثانيهما ما يكون طرف دنياه ارجح على طرف اخرته فكلاهما
اعني نبينا وسليمن عليهما الصلاة والسلام كانا من الذين جمعوا بين
الدنيا والاخرة لكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يرجح طرف اخرته
على طرف دنياه وسليمن عليه السلام يرجح طرف دنياه على طرف اخرته
فكلاهما جميعا يتيسر لهما فتيسر النبي صلى الله عليه وسلم كان في جانب

الاخره اقوي ولذلك صار سيد ملوك الدنيا ولا يمكن ان يتصور مع
كمال مرتبه الاخره ملك في الدنيا فوق ما كان للنبي صلي الله عليه وسلم
ثم ان سليمن انما اتاه دنياه على تبعيه النبي صلى الله عليه وسلم فان
الله تعالى خلق الدنيا لاجل نبينا صلى الله عليه وسلم يدل على قوله
لولاك لما خلقت الافلاك وانما عبر عن كمال الدنيا بجزوه الاعظم
الاولى بالاعتبار كما قيل الحج عرفه واذا كانت الدنيا مخلوقه لاجله
كان ملك سليمن في الدنيا على سبيل التبعيه لا على سبيل الاستقلال
فاذا بلغه الله تعالى بكمال عنايته هذه المرتبه الرفيعه في الاخره
فالاولى خلعه عند الكمال لباسا يختص بقالبه ولباسا يختص
بحقيقته ولذلك خلع كل جزء منه لباسا فلباس بشريته الشريعه
ولباس قلبه الطريقه ولباس سره الحقيقه ولباس روحه العبوديه
ولباس حقيقته العبوديه ولباس صورته الخرقه فكما ان حقيقه
الشريعه هي الاوامر والنواهي الصادره عن الحضره الرافعه للعادات
البشريه ورسوم الطبيعيه فكذلك حقيقه الخرقه هي اللباس
الذي كساه الله تعالى وباد ننه بتصرفات الطبع والعاده ولذلك

57 كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الثياب المختلفه فيلبس القبا
والجبه الواسعه الكم والضيقه الكم والقميص الارديه والفاخر والخشن
فمن تمسك بعروته واكرمه الله تعالى بحسن متابعته خصصه في كل
مقام بلباس ولما كانت اثار عنايه الحق سبحانه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم انما يبدو اولا من باطنه ثم يتدرج الى الظاهر كما اخبر هو
صلى الله عليه وسلم وقال كنت نبيا وادم بين الماء والطين
وكان مبدا ظهور نور النبوه في ظاهره على راس اربعين سنه فحظي
اولا بالعبوديه التي هي لباس روحه ثم بالحقيقه التي هي لباس سره
ثم بالطريقه التي هي لباس قلبه ثم بالشريعه التي هي لباس بشريته
الى ان تم له الامر وقيل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
وكان تربيته للمصطفين من امته وصحابته على هذا النمط الاترى
الى قوله ما صب الله في صدري شيا الا وصببته في صدر ابي بكر
فاختص الخلفاء الراشدون المهديون في متابعته بكمال مراتب
قصر عن ادراك ماثرهم وشق غبارهم غيرهم ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان الخلايق لرجح ثم اختص كل

واحد منهم بصفة مخصوصة على حسب استعداده واستحقاقه
فغلبت الصديقية على ابي بكر والفاروقية والصلابة على عمر والحياء
على عثمان والشجاعة والرجولية والعلم على علي رضي الله عنهم وهذا
كما خصص الله تعالى كل واحد من انبيائه بصفة مخصوصة من صفاته
القديمة فاخبر عن صفة ابرهيم عليه السلام بقوله واذكر في الكتاب
ابرهيم انه كان صديقا نبيا واخبر عن صفة موسى عليه الصلاة والسلام
بقوله انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا واظهر صفة احيائه من صفة
موسى عليه الصلاة والسلام كما قال واحيي الموتى باذن الله واظهر صفة لعله عيسى
رحمته ورافته من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وليس هذا على معنى
ان الاخلاص صفة موسى وليس هو صفة ابرهيم وان الصديقية صفة
ابرهيم وليست هي صفة موسى بل على معنى ان الصديقية كانت غالبة
على كمال ابرهيم والاخلاص كان غالبا على صفات كمال موسى
فكذلك في حق الصحابة رضي الله عنهم وكان يربي النبي صلى الله
عليه وسلم بواطن الصحابة وظواهرهم فكانت امارة كمال باطنهم

على معنى ان الاخلاص

من حيث الصورة الاستفادة والرجوع الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم
واتصافهم بالصديقية والفاروقية والحياء والرجولية والعلم
والامارة كمال ظاهرهم ان شرفهم بخرقته ولباسه كما صح من ذلك بحكم
النقل انه البس عليا رضي الله عنه وهو البس الحسن البصري وهو
البس كميل بن زياد وهو البس عبد الواحد بن زيد وهو البس ابا يعقوب
السوسي وهو البس ابا يعقوب النهرجوري وهو البس ابا عبد الله
بن عثمان وهو البس ابا يعقوب الطبري وهو البس ابا القسم بن رمضان
وهو البس ابا العباس بن ادريس وهو البس داود بن محمد المعروف
بخادم الفقرا وهو البس محمد بن مانكيل وهو البس شيخ الورى اسمعيل
القصري وهو البس شيخنا ابا الجناب احمد بن عمر الصوفي قدس
الله ارواحهم وهو البس هذا الفقير واسناده من الحسن البصري
فهو اكثر شهرة فان اكثر الخرق تنتمي الى الجنيد وهو ينتمي الى خاله
السري وهو ينتمي الى المعروف الكرخي وهو ينتمي الى داود الطائي
وهو الى حبيب العجمي وهو الى الحسن البصري الا اني رايت بخط
الشيخ الامام شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد السهروردي متع الله

المسلمين يطول بغايته وهو احد المعتبرين في هذا الشان فيما كتب
لواحد من مريديه وقد البسه الخرقه فذكر الباس الخرقه الي الجنيد
وبعد ذلك اقتصر علي الصحبه وغيره من المشايخ يثبتون الخرقه
ويذكرون عنعنتها متسلسلة الي النبي صلي الله عليه وسلم والله اعلم
ولقد اعتمد السهروردي في تحقيق لبس الخرقه علي حديث ام
خالد انها قالت اتي النبي صلي الله عليه وسلم بثياب فيها خميصه
سودا صغيره فقال من ترون اكسوا هذه فسكت القوم فقال
صلي الله عليه وسلم ايتوني بام خالد قالت فاتي بي فالبسنيها
بيده وقال ابلي واخلقي يقولها مرتين وجعل ينظر الي علم في الخميصه
اصفر واحمر ويقول يا ام خالد هذا سنا والسنا هو الحسن بلسان
الحبشه ولعمري ان اسناد الخرقه علي ما ذكرناه اصح واولي بان يعتمد
عليه من حديث ام خالد فان رجالهم كلهم من الاولياء والاوتاد
وعباد الله الصالحين الذين لهم وراء العزله التي عليها مدار الصحة
مراتب ومقامات واحوال ولا ينبغي ان يستغرب الباس الخرقه
من النبي صلي الله عليه وسلم اما من حيث النقل فلشهرة هاتين

الطريقتين الحسنيه والكميليه واتفاق جمهور المشايخ المحفوظين
المعتبرين علي الباس الخرقه ومباهاتهم بها واولاء يليق بشأنهم مع علو
درجتهم في الدين المباهاه بشي ابتدعوه وما وجدوا له اصلا في
السنه واما من حيث الحقيقه فلانه قد جرت السنه الالهيه
بان لا يخرج شيا من الاشياء الغيبيه في عالم الشهاده الا بواسطه
الصور الغيبيه كرامة للاوليايه كما ثبت في حديث ابن مسعود رضي
الله عنه انه قال كنت غلاما يافعا ارعي غنما لعقبه بن ابي معيط
بمكه فاتي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو بكر فقال يا غلام
اعندك لبن تسقينا فقلت اني موتمن ولست بساقيكما فقال
هل عندك من جذعه لم ينز عليها الفحل فاتيته بها فاعتقلها ابو بكر
واخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم الضرع فدعا فحفل الضرع فحلب
وشرب هو وابو بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص فاتيت رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقلت علمني من هذا القول الطيب فقال
صلي الله عليه وسلم انك غلام معلم فما استخرج عليه الصلاه والسلام
اللبن الا بواسطه الضرع مع ان الله تعالي قادر علي ابداع اللبن

من غير صوره الصنع وقد ثبت في حديث ابي هريره حين ما انكروا عليه
كثره الروايه عن النبي صلى الله عليه وسلم مع قله الصحبه بالنسبه
الي المتقدمين من الصحابه فانه اسلم زمن حنين ولازم حضره النبي
صلى الله عليه وسلم ثلث سنين وقد زادت روايته على روايه
من لازمه مده نبوته فقال انكم لتقولون ان ابا هريره يكثر الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولولا ايتان في كتاب الله ما حدثت حديثا
ثم قال ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات الا ان اخواني من المهاجرين
كان يشغلهم الصفق في الاسواق وكان يشغل اخوتي من الانصار
عمل اموالهم وكنت امرا مسكينا من ساكني الصفه الازم النبي
صلى الله عليه وسلم ملء بطني فاحضر حين يغيبون واعي حين
ينسون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يحدثه يوما انه
لن يبسط احد ثوبه حتى اقضي مقالتي هذه الا وعى فبسطت نمره
علي حتى اذا قضى صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها الى صدري فما
نسيت من مقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شي فانظر
كيف قيد العلم والحفظ في باطن ابي هريره بواسطه صوره النمره

فاذا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي هريره هكذا فما تقول
في حاله مع الخلفاء الراشدين لاسيما وقد اشار النبي في حق علي رضي
الله عنه بقوله انا مدينه العلم وعلي بابها فكيف ينكر على من اودع
العلوم في كساء ابي هريره حتى صار بذلك احفظ الصحابه لصور
الاحاديث سر باب المدينه بالخرقه التي تحفظ عليه حقايق اسرار
النبوه والولايه وقد تحقق قوله عليه الصلاه والسلام بانه مدينه
العلم وعلي بابها فان انتساب جميع المحققين والمكاشفين من الاولياء
والاصفياء الى علي رضي الله عنه بالصحبه والخرقه وقد اورد
الحاكم ابو عبد الله رحمه الله في فضايل فاطمه رضي الله عنها باسناده
المشهور ان عايشه رضي الله عنها قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم
غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله معه
ثم جاء الحسين فادخله ثم جات فاطمه فادخلها ثم جاء علي فادخله
معهم ثم قال عليه الصلاه والسلام انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فانظر كيف تعلق على الشنه
الالهيه اذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم بادخال النبي صلى الله عليه

وسلم اياهم تحت مرطه وهي حقيقة الحقيقة الخرقة التي اذا تعلقت
بمطهر صيرها الله تعالى مطهرا لمن لبسها وتشرف بها فاعلم ان
الباس الملوك الحقيقية الاخروية الخرقة لمريديهم المنتسبين الى
ولايتهم يضاهي سيرة الملوك المجازية الدنياوية فقد جرت عادة
ملوك الدنيا بانه اذا خدمهم عبد مدة ونال حظا وافرا من حسن
تربيتهم وشاهدوا فيه اثار النجابة وصلاحية الايالة فوضوا اليه
حكم ولاية وولاية رعية ثم اذا اذنوا له في المسير الى ولايته شرفوه
بخلعة شاهدها الاقاصي والاداني وعاينها العدو والصديق
فاستدلوا بذلك على كمال رضاء الملك عن عبده وخليفته فكذلك
ملوك الاخرة الذين هم المشايخ اذا صحبهم المريد وخدمهم مدة وتفرسوا
فيه الرشد والنجابة اقبلوا على تربيته وتاديبه وتهذيبه حتى اذا
كمل حاله وبلغ مبلغ الرجال وصلح ان يكون خليفة شيخه في الولاية
البسه الشيخ خرقة ليستدل بها ارباب الظاهر وعوالم الطريقة
على كمال قبول الشيخ اياه وهي على الحقيقة تحفظ اثار الغيب في
الشهادة وتخرجه عن شوايب البشرية ولذلك كانت سنة المشايخ

وعادتهم ان يهذبوا المريدين ويودبوهم ثلاث سنين فيشغلوهم في
السنة الاولى بخدمة الخلق وفي الثانية بخدمة الحق سبحانه وتعالى
وفي السنة الثالثة برعاية القلب ومراقبته وشرطوا عليهم في خدمة
الخلق بان لا يميز بينهم البتة في الخدمة وان يفضلهم مطلقا على
نفسه وفي خدمة الحق بالاخلاص في العبادة ولن يتحقق الاخلاص
لاحد الا بعد الخروج عن حظوظ الدنيا والاخرة وفي رعاية القلب
ومراقبته بجمعية الهمة وعدم ملاحظة الاغيار قال النبي صلى
الله عليه وسلم طوبى لمن جعل الله همومه هما واحدا فان من تشعبت
به الهموم لا يبالي الله في اي اودية اهلكه فاذا اخرج المريد عن
عهدة الاخلاص في العبادة شرفه الله واكرمه بجمعية القلب
والانس بالحضرة فيراقب القلب ويلازم عتبة بابه ويحرسه ان
يخطر بباله غير الله او يستانس بغير الله فاذا تمت هذه المعاني في
المريد استاهلوه للبس الخرقة ووثقوا باهلية المريد لها فاما
بعض المشايخ فقد البسوا الخرقة لبعض مريديهم قبل استكمالهم
حين ما تفرسوا فيه النجابة حتى ينصرفوا بذلك من حيث الظاهر

فانه قد جرت سنه الله تعالى في تربيه عباده ان يبتدوا من الباطن
الى الظاهر فيكون رعايه آداب الظاهر اخرا مرهم وهذه هي طريقه
الانبياء والمجذوبين المصطفين من الاولياء الا ترى ان كمال الشريعه
التي تتعلق بالظاهر انما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في اخر عمره
لقوله تعالى اليوم اكملت لكم الايه اذ يبتديون من الظاهر الى الباطن
وان كان ذلك ايضا بمعاونه الباطن قال الله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تومنوا الايه فكان التزين بالاسلام قبل التزين بالايمان
في حقهم وكذلك حال اكثر المسلمين فعلى هذا السنه يلبسونهم
الخرقه قبل استكمالهم ويقيدون بها ظواهرهم ويحرضونهم بها
على المعامله حتى ان رويما قدس الله روحه قال اجزت بعد اوقت
الهاجره ببعض السكك وانا عطشان فاستسقيت من دار ففتحت
صبيه بابها ومعها كوز فلما راتني قالت صوفي يشرب بالنهار فما
افطرت بعد ذلك قط فهذه كانت بسبب بركه الخرقه التي
عرفتها الصبيه بها فلو لم يكن رويم على زي القوم وهيئتهم
لما صادفه الاشاره بلسان الصبيه وهذا انما يسلم للمشايخ

62 البالغين الذين يمكنهم ان يحكموا على عباد الله بالسعاده والشقاوه
بما اعطاهم الله تعالى من نوره واظهر في قلوبهم ينابيع علومه فاما
لغيرهم الذين نبغ في زماننا امثالهم فيحرضون على الباس الخرقه لاثبات
الشيخيه وحب الجاه والحرص على كثره المريدين فلا والله بل سنه
الله تعالى ان يظهر اثار الشقاوه على مريديهم في الدنيا وعليهم
وعلى مريديهم في الاخره كما قال الشيخ ابو الحسن علي بن
عثمن الغزنوي في كتاب كشف المحجوب بينا كنت اسير في خدمه
شيخي باذربيجان اذ رانا طايفه من اصحاب الخرق قايمين على
بيدر في الصحراء بين يدي الحراثين اخذين باطراف مرقعتهم يلتمسون
شيئا من الحنطه فالتفت اليهم الشيخ وتلا اولئك الذين اشتروا
الضلاله بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فقلت
ايها الشيخ بترك اي خدمه ابتلاهم الله تعالى بهذا حتى افتضحوا
على رووس الخلايق فقال لمشايخهم حرص على كثره المريدين ولهم حرص
على جمع الدنيا وليس احد الحرصين اولى من الاخر والدعوه الى
الحق بغير امره تربيه الهوى واما العلو والنزول في الخرقه

روايته

فاعلم ان المعتبر في الحديث الاسناد العالي لئلا يقل فيه احتمال الكذب
لانه كلما يزداد الرجال يزداد احتمال الكذب والمعتبر في الخرقه
كثره المشايخ ليكثر بهم انوار الحق في الطريق خطر ببالي في اثنا خلوه
انه لو صار سلوك الطريق في زماننا اسهل مما كان في زمن مشايخ السلف
المتقدمين من سادات الامه فاراني الله تعالى طريقا فسيحا انقلب
البصر عن ادراك كنهه خاسيا وهو حسير فاذا هو مملو بالمشاعل
والانوار هي انوار المشايخ فكلما يزداد الانوار في الطريق يقل
الظلمه فيسهل السلوك على هذا كلما كان الشيوخ بين المريد
وبين النبي صلى الله عليه وسلم اكثر كان استمداده من ارواحهم
اكثر واتم وان كان هذا يتعلق بقبول شيخ حقيقي فانه لو قبله قلب
شيخ يصدق عليه اطلاق الشيخيه قبله المشايخ والاوليا باجمعهم
بل قبلته الانبيا عليهم الصلاه والسلام باسرهم ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم المومنون كنفس واحده ولهذا السر كانت
شريعه نبينا صلى الله عليه وسلم اسمح واسهل كما قال عليه السلام
بعثت بالحنيفيه السمحه السهله فانه اذا كان اخر الانبيا فكل

من اكرمه الله تعالى به وشرفه بكمال متابعته حظي بانوار جميع الانبياء
عليهم الصلاه والسلام

الباب الثامن في المسئله الثامنه

وهي قوله اذا نال الدرجه العليا وبلغ المقصد الاعلى وظهرت له
حالات وحدثت له مشاهدات وانكشفت له الحقايق وثبتت له
الدقايق هل يمكن ان يري في واقعاته ان عوفي عن التكليفات
واريح عن المشقات وهل يجوز ان يعتقد انه بعد الرياضات والمجاهدات
يصير بحاله يرتفع عنه الخطاب ويحذف عنه العتاب قال
رضي الله عنه اوامر الله عز وجل ونواهيه تختلف اعتبارها باختلاف
احوال العباد فاذا كان المخاطب بها من الذين رضوا بالحيوه الدنيا
واطمانوا بها ويعلمون ظاهرا من الحيوه الدنيا وهم عن الاخره هم
غافلون وغلبت عليهم شقوه الهوي ودواعي النفس واستغرقوا
في بحار الشهوات وظلمات الطبع وتاهوا في مفاوز الشقاء فلا
بد ان يستبشعوا احلوا الخطاب ويستثقلوا احمل اعباء الامانه
شعر ومن يك ذا فم مر مريضا يجد مرا به الماء الزلالا

الا ترى لما عرض الحق سبحانه وتعالى امانته على السموات والارض
والجبال كيف ابين ان يحملنها واشفقن منها لانهن ينظرن الى صوره
التكليف وثقل الامانه المغيبه وضعف حقيقه عالم الصوره وقبولها
للفنا والزوال وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا بصوره الاعمال
لظلمه البشريه ظلوما لنفسه بحمل الامانه عليها عارفا من حيث روحانيته
بان الامانه من عند الله وذلك لان الروح كان بعد دخيلا في عالم
الشهاده فعرف ان الامانه امانه الله ولم يعرف الظلوميه
والجهوليه اللاحقين اليه من عالم القلب اعبا الامانه فكل من
استولت عليه صفات النفس وغلبت عليه ظلمات الظلوميه
والجهوليه وانقطعت عنه تصرفات الروح اعني الروح الانساني
لا الحيواني فلا يرى من الامانه الا صوره اعبايها فيعد لطايف
الحق في حقه كلفه التكليف وحقيقه الجذبات شقه العباده
فاما اذا كان المخاطب بالاوامر والنواهي من الذين شاهدوا ان
الحيوه الدنيا لعب ولهو وان الدار الاخره لهي الحيوان فتعرضوا
لنفحات الطاف الرب في ايام دهرهم حتى اذا هبت عليهم تلك

اللوايح من مهب العنايه فاظهرت اثار رحمه الله تعالى في رياض باطنهم
وابرزت نور الهدايه من كمام معاملاتهم طاشوا في طلب قرب المولى
وعاشوا في العبوديه واستهلكت تصرفات نفوسهم فاشرقت اراضي
بواطنهم بنور ربها واضات اقمار قلوبهم بشموس ارواحهم حتى
انشرحت صدورهم وتنورت قلوبهم وتمكنت ارواحهم التي جعلها
الله تعالى خلايف الارض في سلطنتها وملكتها ففازوا بالنعيم
المقيم نقدا ووجدوا ما وعدهم ربهم حقا واشتعلت نايره
باطنهم شوقا فاذا امروا بامر واكرموا بعبوديه استراحوا بها عن
وصف ما يشغلهم عن الحق وتنسموا منه لطايف عنايه المحبوب
الا ترى الى النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان يقول ارحنا يا بلال
فكان اشتغاله بصحبه جبريل عليه السلام والوسايط كلفه ومشقه
في حقه ومباشره اعمال الصلوه وان كانت شاقه على النفس استراحه
له لتضمنها حقايق لذه المناجاه كيف يستغرب امثال هذه الاحوال
من الرجال ونحن نشاهد ان الشاب اذا علق قلبه بصوره
جميله وشغفه حبا فاذا ارسلت المراه اليه تستدعي حضوره لا

يعد ذلك مشقة وكلفة فالحب المجازي اذا تعلق بالشغاف
صار الرجل بحيث لا يبالي ببذل مهجته وخسران ماله ويقطع المسافة
ويتحمل المشاق ولا يعد ذلك كلفة بل يحسبه زبدة اللذات
وفائدة العمر وخلاصة المقاصد والاغراض فكيف الحب الحقيقي
المثمر لسعادة الدارين اذا تمكن في سويداء القلب واشرب الفواد
به واستولى على السر والروح وخالط الدم واللحم فامره المحبوب
بالتوجه اليه والمناجات معه وقهر الخصوم المانعين عن استيفاء
لذة الوصال أتظن ان يعد ذلك كلفة ومشقة فرب تلك الكلف
والمشقة شتان بين من تكون العبادة في حقه كلفة وبين من تكون
ترك العبادة في حقه كلفة روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم دخل ذات ليلة معها في الفراش حتى الصق جلده بجلدها
قام متهجدا فتوضأ وصلى الى الصبح قالت فانتبهت ورايته باكيا
يصلي وقد اخضلت لحيته بالدموع وانتفخت قدماه فقلت يا رسول
الله بابي انت وامي أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال أفلا اكون عبدا شكورا قيل للحصري قدس الله روحه سمعنا

انك تقول بسقوط التكليف وكيف يصح منا القول بسقوط التكليف
وما واظبت على عبادة ما في ابتداء امري وعنفوان شبابي وقوة
جوارحي الا وانا اواظب عليها الآن والسالك الصادق المحفوظ
كلما ازدادت منزلته عند الله وقربته الى حضرته يزداد شغفه بالعبادة
وولوعه عليها وهذا هو احد امارات القبول والمجاهدة في حق المبتدي لعله وعلوقه
قطع تعلقات النفس بالخلوة ونفي الخواطر المتشعبة عنها الى ان
يصير سلسلة القياد فيستعملها المريد كيف شاء في العبودية
والمجاهدة في حق المنتهي اذا ظهر له وقت لا يسعه فيه ملك مقرب
ولا نبي مرسل واشتد حرصه على استيفاء لذة الوصال واستغرق
روحه في شهود الجمال والجلال فطامه عن مراقبة الوقت على
وفق الامر واشتغاله بالخلق على قضية حكم الحق فهذا هو النبي
صلى الله عليه وسلم اذا استولت على باطنه هذه الحالة وتجلى
سلطان الجمال فترك الخلق والخليقة جانبا واقبل على شانه حتى
سكر عن رحيق الوصال واستغرق في عين الكمال قيل ان محمدا عشق
ربه فحبب اليه الخلاء والتحنث الى ان فطمه الحق عن رضاع اللطف

وشغله بهم مخالطه الخلق دعوتهم الي الحق فقطع علايق البشريه
بالخلق اذا استحكمت يشق علي الطالب فكيف قطع علايق الانس
بالحضره فحق له ان يقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت فان رسمت
في قلب المريد اشاره من الحق سبحانه الي ترك عباده معينه مفروضه
ووافقها النفس كان ذلك ابتلا وفتنه يجب عليه الاستعاذه بالله
من الله قال صلي الله عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وسمعت شيخنا
ابا الجناب الحافظ يقول سمعت روزبهان بمصر يقول قيل لي مرارا
اترك الصلاه فانك لا تحتاج اليها فقلت يارب اني لا اطيق ذلك كلفني
شيا اخر هكذا حال المحفوظين فاما المغرور بحاله ومن لم يهذبه
شيخ محقق اذا اعتريه مثل ذلك يغتر به ويترك العمل فيستدرجه
الحق من حيث لا يعلم قال الله تعالي سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال تعالي وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال تعالي ولا
يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولقد رايت بعض جهال الطريقه
ترك الصلوه من غير اشاره وقال السالك تجب ان يكون دايما في

في الصلوه فما عرف ذلك المسكين ان للصلوه قالبا وروحا فقالب
الصلوه صورتها المركبه من الاركان والسنن وروحها الحضور
والشهود على نعت الخشوع والخضوع فقالب الصلوه كقالب الانسان
وروحها كروحه فكما ان روح الانسان لا يكون انسانا بل يكون جزءه
فما دامت الحيوه باقيه وتعلق الروح بالقالب باق تجب ان يتزين
القالب بقالب الصلوه والروح بروحها حتي تخرج العبد بها عن عهده
ما كتب الله عليه قال الله تعالي لنبيه عليه الصلوه والسلام ومن الليل
فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم وقت
اوان انقطاع العمل فقال تعالي واعبد ربك حتي ياتيك اليقين واتفق
المفسرون علي ان المراد باليقين ههنا هو الموت لان من كانت مرتبه
احد متبعيه ان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لا يتعدي هو
عن كمال عين اليقين واذا كان سيد الانبياء عليه وعليهم السلام
مامورا برعايه النوافل الي اخر العمر فكيف حال من غيره مع الفرايض
نعم ربما يبلغ المريد مبلغ الرجال ويصل في السلوك الي حد الكمال
ثم يضعف عن المعاملات البدنيه فيقتصر حينيذ علي الفرايض

ويتدارك تقصير الاعمال البدنيه بتكاليف الباطن من المراقبه وغيرها
ولقد اشتهر من حال لقمان الدرسنجردي السرخسي رحمه الله ما حكى
الشيخ ابو سعيد في نتائج انفاسه بانه قال عند ظهور آثار الضعف
في قوته مناجيا يا رب ان احدا من المخلوقين اذا اشترى عبدا فاخلص
العبد في خدمته الى ان كبر سنه وظهر شيخوخته رحم عليه واعتقه
وانا عبدك الضعيف قد وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا
ولست برحمتك رب شقيا فاعتقني فاعتقه الله تعالى عن العبوديه
فاذهب عقله الذي عليه مدار التكاليف فكان بعد ذلك من عقلاء المجانين
وليس هذا من مدارج الكمال ولكنه من جمله محافظات الحق سبحانه وتعالى
حكى الاستاذ في الرساله ان واحدا من الفقراء كان يستغرق في
وله واستغراقا يشغله عن الخلق ويذهله عن الشعور باحوالهم فاذا
دخل وقت الصلوه افاق وصلى ثم عاد الى ما كان فيه فهذه نهايه الحفظ
وتاثير العنايه المحضه ولعمري كلما يظهر على العبد السالك اثر القبول
تزداد تكاليفه فان تكاليف ظاهر الشرع محصوره اتظن ان يخاطب
السلطان شوقيا بما يخاطب وزيره او نديمه لا والله بل يعاتب النديم

61
على مجرد الالتفات الى الغير ولا يتسامح السوقي لشيء من خطابه
قال الله تعالى في حق الخواص الذين يخاطبهم على الخواطر ان تبدوا ما
في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فظن بعضهم ان هذا خطاب
عام يتعلق بالعوام والخواص فاضطربوا وتحيروا وراجعوا الى حضره النبي
صلى الله عليه وسلم حتى وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تقولوا
سمعنا وعصينا كما قال الذين من قبلكم وقولوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فانزل الله تعالى في حقهم لا يكلف الله نفسا
الا وسعها فحكم اهل التفسير بان هذه الايه ناسخه لها لظنهم
بان ضبط الخواطر مما ليس في وسع البشر وتحقق هذا عند الخواص
ان الله تعالى يخاطب السالك على خطرات قلبه بل يعاتبه عليها
ولا يبالي بافعال العوام ويقول لو اتاني حبيبي بقراب الارض خطايا
غفرتها ولا ابالي ومع هذا فلا تكون هذه التكاليف شاقه عليهم
بل هي التي تشتعل منه نيران المحبه وتدق القلوب وتهيج
الاشواق الكامنه المستكنه فاياك وان يخطر بالك ويختلج
في صدرك ان حاصل الرياضات والمجاهدات هو رفع الخطاب

ورزوال العتاب فنعوذ بالله من رياضة ومجاهدة تثمر هذه الحالة
في الدنيا والاخرة فان قول الله تعالى اعملوا ما شئتم في حق الكفار
الذين سلب عنهم حسن استعداد قبول الاسلام والتزين بامتثال
اوامر الحق وادركتهم الشقاوة الازلية فاماتت قلوبهم بعد طول
مرضها كقول الطبيب اذا ايس عن برء المريض وصحته وتيقن ان
المعالجة غير منجية اتركوه والطبيعة واعطوه ما شاء وانما فايدة
الرياضة اذا كانت على وفق الشريعة في شرط المتابعة قبول الحق ومن
اثار قبول الحق تواتر الخطاب وتواصل العتاب فان منها تظهر لطايف
مكنونات المحبة وبزوال غيم البشرية عن سماء العبودية شعر

لا بدون العتاب يخلص ودّ صداء الود ينجلي بالعتاب

ولا كل احد يستاهل للخطاب ويعز بالعتاب الا ترى انهم اختلفوا
في حال من يدخل الجنة بغير حساب ومن يدخلها بعد الحساب فابن
عطاء رجح حال جماعة استحقوا لذة معاتبة الحق اياهم وهذا مما لا
يليق بالعقول فهمه انما يذوقه الارواح المحترقة بنار الشوق
والمحبة ويدلك على صحة قول ابن عطاء تخصيص النبي صلى الله عليه

وسلم هذه المرتبة بالمتوكلين الذين هم بعد ما سلكوا بساط الوصول 68
واستاهلوا لكمال القبول فانه عليه السلام لما قال يدخل من امتي سبعون
الفا الجنة بغير حساب قيل ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون
ولا يسترقون ولا يكوون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
والتوكل من مقامات المتزينين بصفات الروحانية حكي ان
ابن منصور الحلاج وصل في البادية الى ابرهيم الخواص رحمهما الله فقال
له في اي مقام انت يا ابرهيم فقال اروض نفسي في مقام التوكل فقال
اذا افنيت عمرك في عمارة الباطن فمتى يكون الفناء في الله وعكاشة بن
محصن يدخل الجنة بغير حساب والانبياء والخلفاء والسادات
والكبراء يسالون عن امتهم وعن رعيتهم لقوله صلى الله عليه وسلم
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فمقام الشفاعة يتفرع على هذه
المسئولية ومن يدخل الجنة بغير حساب بمعزل عن هذه المرتبة والله اعلم

الباب التاسع في المسئلة التاسعة

وهي قوله انه اذا راي شيا هذا مرة بعد اولى وكرة بعد اخرى هل يسوغ
له ان يحيد عن التكليفات ويميل عن المفروضات واذا راي انه امر ونهي

او نهي عن مامور شرعاً يتبع الشرع او يمتثل ما يري قال رضي الله عنه
استخير الله تعالي واقول هذه الافات قلما يبتلي بها السالك الصادق
الذي قد استنذر من افات الشياطين بطل ولايه شيخ محقق واستعصم
بحبل متابعته فاستمسك بالعروة الوثقي اللهم الا اذا ابتلي اولا بمخالفه
امر الشيخ واعتاد سترو اقعه من الوقايع او حاله من الاحوال عن الشيخ
وانما هي فتنه يمتحن بها بعض المخذولين المغرورين او من انقطع عن تربيه
شيخه فيظهر هذه الخواطر ويلوح هذه الاشارات ويكون شيطانيا
صرفاً ولا يسوغ له الخروج عن ربق الشريعه وان كوشف به الف مره
فان للشيطان في اضلال العباد حيلاً وللمريدين في اغواء المريد مكايد
قال الجنيد رضي الله عنه وما وصل احد الي الله عز وجل الا
بالله ومن جعل السبيل الي الله غير متابعه المصطفي صلي الله عليه
وسلم ضل وقال ابو بكر الدقاق كنت في تيه بني اسرايل فوقع في
قلبي ان علم الحقيقه يخالف علم الشريعه فاذا شخص تحت شجره
ام غيلان فصاح بي يا ابا بكر كل حقيقه تخالف الشريعه فهو كفر
فان ابتلي به بعد الوصول فامر بنهي او نهي عن مامور فان كان ذلك

بمجرد اشاره او كلام او هاتف او ظهور خاطر فلا يعتبر البته ولا يلتفت
اليه قال ابو سليمن الداراني رضي الله عنه ربما تنكت الحقيقه قلبي
اربعين يوماً فلا اذن له يدخل قلبي الا بشاهدين من الكتاب والسنه
فاما ان كان من عند الله وتيقن بكلام الله تيقناً لا يحتمل الشك البته
كما تيقن موسي بكلام الله تعالي فحينيذ يجب ان يستعيذ بالله منه
ويتضرع بين يديه ويسال له العفو والمعافاه في الدنيا والاخره
ويفزع الي الصلاه علي النبي صلي الله عليه وسلم ويلوذ الي روحه
المقدسه المطهره الي ان تنجلي عنه تلك البليه وينجيه الله تعالي
ويخلصه بفضله ويعافيه بجوده كما حكينا عن واقعه الشيخ روزبهان ن
قدس الله روحه فان امثال هذه اخبارات والمساكنه اليها مكر
فليحذر السالك الصادق عن ملاحظتها سمعت الشيخ
محمد الكوفي يقول سمعت الامام الرباني عبد الرحمن بن عبد الصمد
الاكافي يقول لا ينبغي في الوهيتك وابغني في متابعه سيد المرسلين
قال الشيخ فقلت له هل يمكن ان يسال و يقال لم قلت لا تبقني مع
الوهيتك قال نعم لا ينبغي ان يكون العبد عند الوهيه الحق تعالي

واستغنايه فوق العرش او تحت الثرى وانما المحفوظ الامن مكر الله
تعالى من قاده التوفيق الى كمال المتابعه ورتبه العنايه في حجر
الشريعه كلام هذا معناه فانه قال بالفارسيه وفي الجمله ابى الحق
سبحانه وتعالى ان ينسخ دين الاسلام وشريعه المصطفى صلى الله
عليه وسلم بشريعه نبي لما ختم به النبيين قال الله تعالى في وصفه
صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين فلان لا ينسخه بهوى سالك
كان اولى ويجب ان تعلم ما قد علمت ان الله تعالى خلق الانسان
وركب فيها جميع خصايص الكونين من الغيب والشهاده فله اربع
جهات من حيث الاعتبار فمنها جهتان جهه بها يشارك الاجسام
السفليه وجهه بها يشارك الاجسام العلويه ومنها جهتان جهه
بها يشارك الغيبيات وجهه بها يشارك الخلقيات في عالم
الشهاده ولكل جهه من هذه الجهات خواص وصفات فالجهه
التي بها يشارك الاجسام السفليه هي النفس في اصطلاح محققي
الصوفيه فانهم قالوا مطلقا بل الصفات المذمومه الاضافيه
فان الصفات المحموده المستحسنه التي هي من خصايص هذه الجهه

من الصفات المذمومه اذا اضفته الى الصفات الروحانيه فان
حقيقه الصفات الذميمه هي الصفات الظلمانيه التي صارت
حجابا للصفات النورانيه الروحانيه وهي الصفات الناشيه من
هذه الجهه سواء كانت مستحسنه كالسخاء والشجاعه الحيوانيين
او مذمومه مستقبحه كالحرص والحسد الحيوانيين فان في الاسد
شجاعه وفي الديك سخاوه والسخاوه الحيوانيه في الانسان نفسانيه
مذمومه والشجاعه الحيوانيه فيه نفسانيه مستقبحه ومن هذا
نعلم قصور نظر الفلاسفه عن ادراك الحقايق اذا طلقوا العقول
في التزكيه والتحليه بانه ما لم تتزكى النفس عن الصفات المذمومه
لم تتحلى بالصفات الحميده وما فضلوا الصفات الحميده فان لها منبعين
فما كانت منها ينبع من الصفات الحيوانيه والخواص النباتيه
والجماديه التي في الانسان فهي مذمومه وما كان منها ينبع من الصفات
الروحانيه فهي مستحسنه وما عرفوا ان من الصفات ما هي ذميمه
في الظاهر غير ذميمه في الحقيقه كالغضب فانه اذا تخلص العبد
عن النفس وصفاتها وتحلى بانوار الروح وجمالها وغلب عليه التقرب

الى الله فلا يزال يتقرب اليه بالنوافل حتى يحبه فاذا ظهرت محبة الحق
سبحانه كان له سمعا وبصرا كما جاء في الحديث الصحيح فحينئذ يغضب
بغضب الله ويرضى برضا الله كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء
بينهم فذلك الغضب خير من جميع الصفات الروحانية فثبت ان من
الغضب ما هو محمود ومن السخاوه ما هو مذموم فصفات النفس
باسرها حجب الروح فبعضها بمنزله السبل الحرقه عين الروح وهو
حب الدنيا والتزين بالشهوات فاذا اخذ السالك ينزع حب
الدنيا عن النفس ويقلع الشهوات عنها بالمجاهده والرياضه فعلى
ما يزيل المجاهده الغطاء السبلي عن عين البصيره ويكاشف مدركات
الروح وحقايق عالم الروحانيه الى ان يتم كشف الغطاء والسير
الى هذا المقام غير مخصوص بالحنيفيه او النصرانيه او اليهوديه
او المجوسيه فكل من جاهد حق الجهاد واجتهد في قطع علايق
هذه الصفات الذميمه وحسم مادتها بلغ الى هذه المرتبه الرفيعه
ولهذا السر قد يكاشف الراهبون من النصارى مع كفرهم وضلالتهم
بما لا يكاشف به اكثر ائمه المسلمين المغرورين الذين قنعوا باسم

71 الاسلام والايمان واستغرقوا في حب الجاه والمال والشهوات حتى
اختطفتهم الشياطين وغرهم بالله مع انذار الحق اياهم بقوله فلا
تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فاذا وصل السالك
الى صفات الروحانيه بنزع حب الدنيا عن القلب وقطع الشهوات
عن النفس وتجلى له بعض صفات الروح وكوشف بحقايق الوقايع
الغيبيه والحوادث الاستقباليه فحينئذ يمتاز المسلم السالك
عن الراهب الناسك فيقف الراهب على مقامه لكون دينه منسوخا
بشريعه سيد الاولين والاخرين صلوات الله عليه قال الله
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله فقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في
الاخره من الخاسرين فحقيقه غير مقبوليه دينه ووقوفه على استحسان
مدركات الروح واغتراره به فيظن انه على الحق من وقوفه على
الاشياء الغيبيه واطلاعه على ما لم يطلع عليه اكثر المسلمين
فيصير ذلك استدراجا له ومكرا من الله سبحانه في حقه فيكون
مكاشفا ببعض الحقايق محجوبا عن الحق سبحانه ببقاء حقيقه لب

صفات النفس وخصايص الهوي فيزيده كشفه العذاب يوم القيمه
لحرمانه الكمال الذي هو العذاب الروحاني واستيلا الصفات
النفسانيه ودواعي الهوي الذين من بينهما يتقدح نار السعير
ولتحقيق القول وتقريبه الي الفهم نضرب مثلا وان جلت الصفات
الالهيه والامور الربوبيه عن المثل والمثال اذا وضعت مراه في
بيت ولم تكن المراه مصقوله لا ترى فيها الصور من الاعيان المختلفه
الحاصله في البيت وان كانت المراه صافيه مصقوله ولكن هواء
البيت مظلم لا تنطبع الصور في المراه ولا يحصل الشعور بانطباعها
فيها فاذا استضاء هواء البيت وصقلت المراه ينطبع فيها الصور
المحاذيه لها فيراها الناظر فان لم يكن للبيت كوه ينطبع في المراه
صور الاشياء التي في البيت ولا ينطبع ما هو خارج منه فان كان
للبيت كوه من الجانب الشرقي وطلعت الشمس واتفق ان يكون
مدارها علي سمت الكوه فتحاذي المراه الكوه ينطبع لا محاله قرص
الشمس في المراه فاذا زال مدار الشمس من الكوه ولا انطبع الشمس
في المراه وان كانت محاذيه لعين الكوه التي تلي مدخل اشعه الشمس

72

من الكوه فتنورها فالبيت حقيقه اساس وجود الانسان والمراه
قلبه فما لم يكن القلب مصقولا من طبع الطبع وكدورات الهوي
وخصايص النفس لا ينطبع فيه صور الاشياء الغيبيه فلا ترى
به شيئا ما فاذا صقل القلب عن حب الدنيا واخواتها ولا يكون
الباطن منورا بذكر الله تعالى فنوره لا يري العبد شيئا البته فاذا
استنار الباطن بنور الذكر وصقل عن القلب الطبع يري الاشيا
كما هي ولا يجاوز ادراكه ورويته عن الاشياء التي تتعلق بباطنه
ما لم يظهر عليه كوه الي غيب الغيب فاذا حصلت الكوه يمكن ان
يري ما وراء البيت لكن مثل النبي صلى الله عليه وسلم ومن يقتدي به
او الشيخ ومريده بمنزله بيت في داخل بيت اخر فالبيت الخارجي
المحيط بما فيه بمنزله باطن النبي والبيت الداخلي المحاط به بمنزله
من اقتدى به فاذا كانت كوه بيت المقتدي في مقابله كوه النبي
ومراة قلبه في محاذاة كوته وتجلي الحق سبحانه علي وفق مشيته لقلب
النبي تجلى لا محاله القلب المقتدي الذي بلغ كمال المتابعه الذي هو
عباره عن محاذاة قلبه لقلبه لكنه كما ان الشمس كل يوم في مدار فالحق

سبحانه وتعالى كل يوم هو في شان فما دام النبي مبعوثا الى الخلق ولم ينسخ
اراده الحق شريعته كانت شمس الحقيقه على مدار مسامت قلب ذلك
النبي المبعوث فاذا نسخت الاراده دينه وشريعته فكان شمس الحقيقه
زالت عن ذلك المدار المسامته للكوه فلا تخلى المراه المحاذيه للكوه
عن الشمس ولا يجد قلب المبتدي البالغ كمال المتابعه ذوق التجلي وان
استضاء باطنه باشعته فلما قدر الله تعالى ان يظهر دين محمد صلى
الله عليه وسلم على الدين كله وينسخ بشريعته الشرايع ويختم به
النبيين ما اطلع شمس الحقيقه الا على مدار مسامته فلا يجد احد من
امهم ومتبعيهم حقيقه تجلى الحق وان وجد بنور باطنه حقايق
الاشيا الغيبيه فبقي قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم بارادة
الحق متوجها الى الحضره غير مايل الى احد جانب الطبع لا شرقيه ولا
غربيه كما بقيت عين الحربا في مقابله الشمس يميل مع ميل الشمس ما زاغ
البصر وما طغى فانه وان كان الرب تعالى كل يوم هو في شان فهو
معه وشانه اذا البسه لباس العبوديه فما ابقى له ارادة غير ارادته
فما زاغ بصره بارادة روحانيه وما طغى باختيار جسماني شعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متقدم عنه ولا متاخر
هذا اذا كانت مرتبه موسى وعيسى عليهما السلام في الرفعه مناسبه
لمرتبه محمد عليه الصلوه والسلام لكنهما ما بلغا في السير تلك المنزله
فحرم موسى الرؤيه اذ لم يكن لكونه مسامتا لمسامت الحق قال ارني انظر
اليك فاظهر الانانيه بقوله انظر قال لن تراني لان الانانيه اعظم
الحجب ولكن انظر الى الجبل لانك بعد ما تخلصت عن تصرف الجهات
الا ترى الى اختصاصك بالطور في الميعاد انما تسامت لسان من اتصف
بحقايق اللاجهتيه ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه وثبت
على حاله فسوف تراني مع الانانيه فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا فعرف موسى من صعقته التي هي مبادي فنا الانانيه
ان الرويه والانانيه ضدان لا يجتمعان فتاب وقال سبحانك تبت اليك
فلما عرف ان التجلي انما يتعلق برفع الانانيه والانانيه من لوازم المحبيه
ودفعها من خصايص المحبوبيه وكمال المحبوبيه انما نزل في شان محمد
صلى الله عليه وسلم تقرر ان لا سبيل الى موارد المحبوبيه الا بمتابعة
محمد صلى الله عليه وسلم فاشتد في المتابعه لنيل المحبوبيه وقال

اللهم اجعلني من امه محمد ليترقي المحبيه الي المحبوبيه قال الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وكذلك عيسى عليه السلام
غلبت عليه صفات الروحانيه فما استانس بالجسمانيه وما ابتلي
بشهوات النفس فرفعه الله الي مركز الروحانيه قال الله تعالى بل رفعه
الله اليه لكنه كما كانت الصفات النفسانيه الظلمانيه حجبا فلذلك
الصفات الروحانيه النورانيه حجبا فان لله سبعين الف حجاب من نور
وظلمه فعبر عيسى في سيره الصفات الظلمانيه النفسانيه وبقي في
الصفات النورانيه الروحانيه وذلك لانه لا يمكن الخروج عن الظلمات
النفسانيه بقوه نور الروح ولا يمكن الخروج عن نور الروح الا بجذبه الحق
سبحانه وتعالى التي تتعلق بالمحبوبيه وابي الحق تعالى ان يتصف احد
بكمال المحبوبيه الا بمتابعة المصطفى صلوات الله عليه فكذلك احتاج
عيسى في استكمال مقامه الي متابعه نبينا صلي الله عليه وسلم ورزقه
الكمال فابقاه في مركز الروحانيين منتظرا للوقت المقدر فينزله الله
تعالى علي ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروج الدجال
حكما عدلا لكسر الصليب ويقتل الخنزير وتتحلي نبوته بحليه ولايه هي
العبودية

الصرفه في متابعه المحبوب فاذا بلغ السالك الصادق المسلم مقام
الروحانيين استقبلته الطاف الحق فيتنسم نفحات الالطاف
من جهة العنايه فصار بين امرين طيران روحاني او اختطاف رباني
ومع هذه المرتبه الرفيعه والدرجه العاليه وصوره الكمال يبقي فيه
بعد كدورات صفات النفس وان كانت مغلوبه جدا فاذا تجلى له الرب
سبحانه وتعالى بصفه الجلال التي لا تبقي ولا تذر اضمحلت تلك
الكدورات الباقيه من صفات النفس ولكن ذلك التجلي في نورانيه
الروح بمنزله البوارق للمبتدي في ظلمات النفس ولا تبقي زمانا له قدر
فاذا ظهرت اثار البشر عادت صفات الروحانيه والكدورة
النفسانيه المغلوبه علي ما كانت قبل التجلي فلا يزال يفني ويتطهر
علي ما قال يمحو الله ما يشاء الي ان رقته العنايه الازليه الى عبوديه
مستخرجه من حقيقه عبوديه المصطفى صلي الله عليه وسلم فحقيقه
هذه الصفه العبوديه وصورتها المتابعه فيستخلصه الحق سبحانه
وتعالى بالعبوديه والمتابعه عن كدورات النفس ونورانيه الروح
فلا يوجد فيه نور ولا ظلمه من حيث صفات البشريه فلا يكون سماويا

ولا ارضا اذ هو القايم بالله تعالى قال عز من قايل في مقعد صدق
عند مليك مقتدر فلا تكليف في العبودية ولا في المتابعة لانه لا
يحتاج الى التكليف بل الله تعالى يربيه ويقربه انا فانا فيها ولا يتصور
انقطاع العبودية التي هي الملك ولا المتابعة التي هي الصورة لا في
الدنيا ولا في الاخرة فلا يوم احد بمخالفة الشريعة الا من رده الله تعالى
فاورده المهالك بين الورد المورود كما كان حال المستدرجين بلعام
وبرصيصا نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن اراد الله تعالى ان يبتليه
بهما كما ابتلاهما بالدنيا وبشهوات النفس ودواعي الهوى وغير ذلك
ثم يختطفه ويهديه الى سواء السبيل وصراطه المستقيم حكى
الشيخ ابو يزيد قدس الله روحه فقال عرجت الى الحضرة فعبرت
الكائنات ووصلت الى السرادقات فحجبت بحجاب هو اعظم الحجب التي
شاهدتها فقلت يا رب ما هذا الحجاب فقال هو حجاب النفس فقلت
كيف الخلاص منه قال بمتابعة المحبوب هذا ما تعلق بخاطري من حكاية
طويلة واعلم ان من امارات القبول تزايد الخوف والخشية والرهبة
فكل من صار امره اعلى ودرجته ارفع وقربه اكمل زادت خشيته قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نزول قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر انا اعلمكم بالله واخشيكم منه وهو صلى
الله عليه وسلم بشر العشرة من الصحابة بدخول الجنة وراسهم وسيدهم
يقول اقيلوني فلست بخيركم وتلوه الفاروق كما راى حذيفة صاحب
سر المنافقين ساله عن نفسه قال الله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون ولم يامن المكر ويخاف الثبات لا يستغني عن قايد يستدري
به ويعتصم بحبله ويستمسك بعروته وقايد القايدين وسيد الاولين
والاخرين محمد صلى الله عليه وسلم كما قال محدثا بنعمة ربه تعالى ادم
ومن دونه تحت لواي قال ابو الحسن الخرقاني رضي الله عنه لا
اكون في قافلة لا يكون قايدهم وسيدهم ونبيهم محمد صلى الله عليه
وسلم نسال الله تعالى ان يعصمنا بفضله عن شرور انفسنا وجميع
مخالفات سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وعلى اله الطاهرين

الباب العاشر في المسئلة العاشرة

وهي قوله ان الاختلاف الى ابواب السلاطين والاختلاط مع الظلمة الملاعين
هل يحط عن الدرجة والمرتبة ام يجوز للواصل البالغ المنبسط والمتوسع

في معاشه الناس جملتهم خاصتهم وعامتهم دون المبتدي والمتوسط
والمتوقع من الكمال ولوعه ووفور حرصه على هدايه الخلق ونصره الحق
ان يتبع الجواب فصلاً في اصل السماع وجنسه ومن يتاهل له ويقبل منه
او يكثر طلباً للثواب الاجل والثناء العاجل **قال** رضي الله عنه
بعد حمد الله تعالى والصلاه على نبيه المصطفى اعلم ايدك الله بروح
القدس ان خير الناس الانبياء صلوات الله عليهم الذين ايدهم الله تعالى
بالمعجزات واستخلصهم لنفسه واختطفهم من اوكار البشريه الى معارج
العروش ادقات الكبرياء وشر الناس الكفار الذين كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين واستهويهم الشيطان في الارض
حيارى غلبت عليهم اثار الشقوه التي ظهرت حقيقتها عليهم في النار
حيث قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ومع هذا البون البعيد بين
ذروه النبوه والاصطفاء وحضيض الكفر والردي اقتضت الحكمه
الالهيه والحكمه الربانيه ان يفطم الانبياء عن رضاع الاوقات
التي لا يسعهم فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل ويرسلهم الى ذروه الكفار
والضالين والمغضوب عليهم شاؤا ام كرهوا فلا محيص لهم عن امتثال

بيان والارادة

هذا الامر الشاق عليهم واما غيرهم من الطالبين صنفان سالك وقع في
شرح الارادة عنفوان الطلب فحبب اليه الخلاء ولم يستقم امره فحرام
عليه الاختلاف الى الحضره اولياء الله تعالى فضلاً ان يختلف الى ابواب
السلاطين والظلمه سئل الخواص رضي الله عنه عما راى من العجايب
فقال العجب ما رايت انه قد التمس الخضر عليه السلام الصحبه مني والمرافقه
فما اسعفت ملتمسه قيل لم كان ذلك قال ما كان لاني اطلب رفيقاً
خيراً منه ولكن خفت على نفسي ان انا صاحبته نقض على توكلي
فالصادق في طلب الحق ما يرضى من نفسه بان يشتغل برويه الخضر
عن سلوك الطريق فكيف يرضى بصحبة السلاطين والظلمه فحق على
طالب الحق الا يشتغل بغيره ولو طرفه عين لكن الحق سبحانه وتعالى
سد الطرق كلها اليه الا طريق محمد صلى الله عليه وسلم فلن يصل احد
الى سرادقات الجمال والجلال الا بواسطة المصطفى عليه السلام لكن
السالك يحتاج في سلوكه الطريق الى حضرته وعالم روحانيته الى من
يدله عليها وهو شيخه فاذا وجد شيخاً محققاً وعرف روحه فالتاط
به وتعلق بذيله وجب عليه القطع عما سواه من المخلوقين الا ان يتم

له الامر ظهرت منافره بين الخضر عليه السلام وبين هذا الفقير فقمت في
الخلوه مستغفرًا وقرب ساعه فخوطبت سرًّا ان لا تتعلق الا بي وبمحبتي
فارتكاب المحظورات الشرعيه المستوجبه للعقاب يوم القيمه عندي
خير من مخالطه الخلق في حق المريد على داعية الهوى وواصل بلغ مبلغ
الرجال فهو اذا استوحش عن الخلق حق التوحش واستانس بالحق حق
الاستيناس واشرب قلبه بحب الله واستغرق روحه بالشهود وعاين
الحق والحقيقه واستقام في المتابعه وتمكن في العبوديه ثم امره الحق
سبحانه وتعالى بدعوة الخلق وارشاد العباد وجب عليه حينئذ ان يمتحن
قلبه في امتثال ذلك فان وجده سلس القياد مائلاً الى المخالطه استعاذ
بربه وسال العفو والعافيه وتضرع بين يديه الى ان يحفظه في ابتلايه
وان وجد قلبه من حيث الطبع متنفرًا من ذلك التكليف ونفسه مطمينه
على التخلي مستانسه بالعزله واحس الم مفارقه الخلوه في باطنه كما
احس مفارقه الاخدان والمالوفات ابتداءً على نفسه فحينئذ وجب
عليه الامتثال ومخالطه الخلق والاختلاف الى من اشار اليه الحق
ظاهرًا والاقبال الى الله تعالى بكليه القلب كما قال الله تعالى لنبيه

صلى الله عليه وسلم بعد استحكام امر الرساله وتقلده النبوه واهجرهم من
حيث الحقيقه فلذلك قال عليه الصلوه والسلام المومن الذي يخالط
الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط ولا يصبر فاذا كان المريد
مسترشدًا بفضل ولايه شيخ معتصمًا بحبل متابعته فيكون في امان من
خوف الاستدراج فما يامره الشيخ بمتثله الآن للمشايخ امتحانات
يجب على المستيقظ ان يراعيها فقد امرني شيخي صفوه الله ابو الجناب
الحافظ رضي الله عنه بعد التخلي والتجلي باربعينات بمصاحبه السلطان
وملازمته فبقيت متحيرًا بين امتثال امر يورد في المهلكه وبين مخالفه
تخرجني عن شرط الاراده ففزعت الى الله والتجات اليه وتضرعت
بين يديه الى ان رحم على فقري وضعفي ومسكنتي وابان برهان صدقي
في الطلب واسفر عن وجه الامتحان وكشف غطاء الابتلاء فعرفني
الحقيقه وعاد الشيخ الى لطفه وحسن تربيته ومدحني على صدق
الطلب فاذا ظهر هذا النوع من الابتلاء يجب على المريد ان يتضرع بين
يدي شيخه ويستغفر فيما بينه وبين الله تعالى من تقصير صدر
عنه في حق رعايه شرط الاراده وحفظ اداب الصحبه فاذا استقام

امره وبلغ حد الشيخية حقيقة لا غرورا او حسبانا ثم امره الشيخ بدعوة الخلق والمخالطة فلا بد من امتثال الامر وحينئذ يحصل له في المخالطة ما لا يحصل في الخلوة والعزلة لكنه يجب عليه محافظة اوقاته وانفاسه في المخالطة وامتحان سره وقلبه ونفسه دايما حتى اذا ظهر غين في باطنه او كدورة استعاد في الحال بالمسالة والتوجه صورة ومعنى ليزول الغين ويعود الصفا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة ولا يخالط الخلق ايضا كيف اتفق على شرط مراقبة القلب وصدق النية في مزاولة انواع المخالطة وصحبة الخلق وايثار حظه على الخلق شفقة عليهم واشتغالا بالعون الله تعالى اياه فقد ثبت في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم فاذا كان هو في عون عباد الله بمخالطته معهم كان الله في عونه وعون الله اياه اولى من مجاهداته ومعاملاته فان عون الحق من باب جذباته التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله جذبة من جذبات الحق توازي اعمال الثقلين ولذلك كان ابو الحسن النوري

قدس الله روحه يفضل الصحبة على العزلة ويقول اياكم والعزلة فان العزلة مقارنة الشيطان وعليكم بالصحبة فان الصحبة رضاء الرحمن وكان يوثر في الصحبة حق الصاحب على حق نفسه ويرى تحريم الصحبة اذا لم يقارنها الايثار ويجب ايضا على من اثر الصحبة ان لا يتدنس بالاطماع الفاسدة ولا يتوسع في طلب الارفاق فينفتح بذلك مداخل الشيطان على باطنه فيحيي الشيطان من صفات نفسه ما اماتها بالمجاهدة هذا هو الشرط في ايثار الصحبة على المتوسطين المتلونين لئلا يقعوا في ابتلاء الحق في مكره وينقذوا انفسهم عن موارد التهلكة ومواقع الخطر فاما الكبراء من السادات والمشايخ فهم القايمون بالقسط مع الله الذين فوضوا امورهم الى الله وجردوا عن تصرفات الارواح والقلوب فضلا عن تصرفات النفوس ففناؤهم بالله وسكوتهم بالله وقعودهم بالله وحركاتهم بالله وسكناتهم بالله واخذهم بالله ومنعهم بالله وتورعهم بالله ونزوعهم بالله ان تركوا شيئا ليس لاحد ان يعترض على تركهم وان اخذوا شيئا فليس لغيرهم ان ينكر على اخذهم لان نظر غيرهم في ظاهر

الاشياء ونظرهم من حيث الحقيقه في حقايق ومستودعات الغيب
كما اشتهر في حكايات الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير قدس الله روحه وقد
رايت في اثنا كلمات الصادره عن ولايه الامام الرباني ابي القسم عبد
الرحمن بن عبد الصمد الاكافي حكايةً عنه ان الشيخ بعث خادمه الي
نقيب الشرطي في البلده واستدعي منه شيئاً يصرفه في مصالح الصوفيه
وقوتهم فذهب الخادم وبلغ رساله الشيخ فشق ذلك علي النقيب جهلاً
منه باحوالهم وطفق يذمهم علي قبول اموال امثاله فقال مستهزياً خذ
هذا عشرين درهماً قد غصبته واخذت من فلان بضرب السياط
علي ظهره وصدره فاخذ الخادم وما التفت الي قوله ثقةً باحوال
الشيخ وذهب بالدراهم الي خدمته فبينا هو كذلك يحكي عند الشيخ
اذ دخل شاب معه صرة من الدراهم وقال اوصي والدي بهذه الدراهم
لكم وانا قصرت في ايصاله اليكم وما رزقت تيسير اخرج به عن عهده
الوصية حتي رماني نقيب البلده بتهمه ونسبني الي جريمه واستخرج مني
غصب عشرين درهما من تلك الدراهم فجيتكم بباقي الدراهم مستغفراً
من تقصيري فقال الشيخ لا بأس قد وصل الينا قبل ايصالك الباقي

الوصيه حر

فمن نظر الي قبوله المال المغصوب علي الظاهر لا يتان منكر عليه ولكنه
كان مشرفاً علي حقيقه الموهبة وحال النقيب وتقصير الشاب
فاستدعي منه واخذ حقه شرعاً فهولاء ارباب اشارات من الحق
ومن اتاهم الله رحمةً من عنده وعلمهم من لدنه علماً فان اتفق ان
تكون احوالهم مخالفاً علي خلاف الشرع ظاهراً فهو علي مقتضي امر الله
وموجب شريعته حقيقةً كما كان للخضر مع موسي فان موسي كان يعترض
عليه من حيث الظاهر وهو كان من افاعيله ومعاملاته علي موجب
امر الله قال الله تعالى حكايةً عن الخضر عليه الصلاه والسلام وما
فعلته عن امري وهذا مما لا يسوغ لاحد من المبتدين الاقتداء به
ولهذا قال ابو سعيد رضي الله عنه من راني في الابتداء صار صديقاً
ومن راني في الانتهاء صار زنديقاً فان وظيفه المبتدي محافظه
ظاهر الشرع والتحلي بحقايق الورع الي ان يرزقه الله تعالى كمال
مرتبه البالغين من الرجال فيكون حلاله ما ينصرف باذن الله وحرامه
ما يتصرف فيه بحظ من حظوظ نفسه او قلبه او روحه وانما
ينال من ارادات الاخويه ببعض حقايق السماع فلعمري انها علاوه

تفوت على الاوقات وذنابة يرتبوا على الابواب فاقول حامدا لله
ومصليا على نبيه المصطفى ان الله تعالى كما خلق للانسان قالبا وروحا
فكذلك خلق لحواسه الخمس قالبا وروحا فقالبه ما يتعلق بالقالب
وروحه ما يتعلق بالقلب ولما كان القالب في حين الاشتراك مع البهايم
والانعام صار صورة الحواس مشتركة بين الانسان وغيره من الحيوان
فللقالب المشترك حواس مشتركة وللقلب المخصوص بالانسان روح الحواس
المخصوص بالانسان فمن ليس له من عالم الانسانية غير حظ الحواس
الظاهرة وحرم حقيقة روح الحواس الظاهرة الذي هو حقيقة حواس
الباطن فهو كالنعم والبهيمة ومن خلق لجهنم قال الله تعالى ولقد ٢
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين
لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون فبالحواس الظاهرة يدرك عالم الجواهر والاعراض
وبالحواس الحقيقية يدرك صور حقايق الغيب قال الله تعالى في
صفة الكفار وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يعني والله اعلم
انهم كانوا ينظرون الى صورة النبي صلى الله عليه وسلم بالحواس الظاهرة

وما كانوا يبصرون صورة نبوته بالحس الحقيقي الروحاني وقال تعالى
انهم عن السمع لمعزولون فلا شك انهم كانوا معزولين عن السمع
الروحاني الحقيقي الذي هو روح السمع الظاهر وكانوا يسمعون
القرآن من حيث قرع الاصوات المتموجة بالصماخ تموجا مخصوصا
حرفيا فيحس بها الحاسة المعينة الظاهرة فيفهمون بها منه اساطير
الاولين ولا يسمعونه بالسمع الحقيقي الذي هو روح السمع الظاهر
اذا كانوا عنه معزولين حتى يدركوا كلام الله سبحانه وتعالى فيؤمنوا
به فما هو المعتبر من الحواس الحقيقية اعتبارا يعتد به السمع والبصر
قال الله تعالى في معرض الامتنان على العباد في مواضع من القرآن
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فبدأ بالسمع
ثم بغيره لان الاحيا مبداه من السمع قال الله تعالى ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون فكما ان الاحياء الذي يتعلق بالبشر
انما كان منشأه من السمع وبه فكذلك احيا القلوب الذي يتعلق
بالنشأة الاخرى التي هي مبدا ظهور اثار الحيوة الطيبة مبداه من
السمع الحقيقي فاذا ظهرت اثار الحيوة الطيبة التي ذكرها الله تعالى

بقوله فلنحيينه حيوة طيبه انفتح السمع الحقيقي وزال الصمم الذي ذكره
الله تعالى بقوله صم فيسمع العبد من حروف القران ومن عز تلك الحروف
المعينه المودعه بين الدفتين كلام الله تعالى فاشتاق الى الحضرة وصبا
اليها والاذن تعشق قبل العين احياناً فانقذ نفسه من النار قال
الله تعالى حكايه عن اهلها لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
فاذن السمع ينقذ العبد من السعير والبصر يختطفه من الجنه وابتداء
السير هو الممر على السعير قال الله تعالى وان منكم الا واردها الايه
فلذلك صار مرتبه ذوي الابصار فوق مرتبه ذوي السمع الا ترى ان
محمداً صلى الله عليه وسلم كان صاحب البصر قال الله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى وموسى عليه الصلاة والسلام كان صاحب السمع قال
الله تعالى وكلم الله موسى تكليماً وناهيك لموسى وسيره اشارةً الى الابتداء
بالسمع والانتهاء بالبصر قال الله تعالى حكايه عن ابتداء ظهوره
باثار روحانيته فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعه
المباركه من الشجره ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وقال
تعالى حكايه عن كمال مرتبته ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الايه

وقال عقيبه يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي الايه فبين
الحق سبحانه وتعالى ان حظ موسى عليه السلام منه عز وجل على استقلال
الرساله والكلام فامره بقبول الاصطفاء من هذا الوجه المخصوص
ورويه المن والفضل من الله تعالى والخروج عن عهده الشكر ليستحق
بشكره على هذه النعمه على قضيه لان شكرتم لازيدنكم مزيد حظ
الرويه على تبعيه النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال اللهم اجعلني
من امه محمد وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حياً لما
وسعه الا اتباعي لانه الطالب الصادق والسالك الوامق والمريد
المتعطش فاذا تيقن الحظ الاوفر وهو الرؤية التي تتعلق بالبصر
يستحيل ان يحصل الا بشرط متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم
على نفسه المتابعه بخلاف ابليس الكذاب في دعوته فانه ما وسعه
في ادراك رضا المحبوب الا متابعه ادم فابى واستكبر وكان من
الكافرين فلما كان ظهور السمع الحقيقي مبدا الظهور اثار الحيوه
الطيبه التي بها يصير المضغه التي اذا صلحت صلح بها ساير الجسد
فاذا فسدت فسد بها ساير الجسد قلنا كان تعلق السمع الظاهر

الحسي بالقلب اشد والبون بينهما اقرب من البعد الذي بين البصر الظاهر
الحسي الي البصر الحقيقي الروحاني ولذلك يودي اليه اثار البصر الظاهر
الا تري ان الانسان ربما غشي عليه اذا سمع بعض الاصوات الطيبه
المتناسبه الاوزان سواء كان صاحب قلب او لم يكن ولا يصير مغشيا
عليه برويه الاشياء المستحسنه في البصر الظاهر وهذا السمع الحقيقي
ربما يتجلي به العبد ولم يشعر بذلك التجلي ويسمع الاشياء بقلبه
ولا يشعر باستماعه عليه لذلك الشي من حيث الظاهر وان كان
القلب الذي هو السامع مشتغلا بحقيقه استماعه وانما يكون ذلك
لمناسبه بين الظاهر والباطن وان المباينه لا ترتفع البته الا بواسطه
المجاهده والرياضه فاذا سمع الانسان صوتا سوا كان الصوت موزونا
متناسبا او لم يكن فله من ذلك السمع حظ لا محاله من حيث الادراك
الحسي فان كان له مع هذا الحس السمع الحقيقي كان له منه حظان اثنان
احدهما ادراك الحس وثانيهما حظ ادراك السمع الحقيقي وان كان
السمع الحقيقي لا يتوقف علي ما يستفيد من السمع الظاهر فان له من
عالمه ادراكات غير محصوره ولذلك قال بعض المشايخ فوادي فوات

يغنيني وفي مبدا ظهور هذا السمع تغلب عليه تصرفات الحس اذ هو
قشره وقالبه يختبي ادراكاته فوق عالم الزمان والمكان فاذا التفت
السالك الي الكون سمع كلام الحق سبحانه وتعالي فاستغرق اوقاته في
السماع ولذلك قال الحصري ايش اعمل بسماع ينقطع اذا انقطع من يسمع
منه ينبغي ان يكون سماعك سماعا متصلا غير منفصل فاذا سمع السالك
صوتا واستوفي الصماخ منه حظه والسمع الحقيقي حقه فلو كانت
المباينه بين الظاهر والباطن مرتفعة بالمجاهده وغيرها يمكن
السامع ان يعبر عما هو مسموع سمعه الحقيقي من مجرد الصوت الظاهر
بكلام منظوم معلوم فيستمع من صوت اليراعه كلاما معلوما
مفهوما وكذلك من ساير الاصوات كصرير الباب واصوات الطيور
وغيرهما روي عن امير المومنين قدوة السالكين علي رضي الله عنه
انه سمع صوت ناقوس فقال لاصحابه هل تدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول حقا حقا قولا صدقا ان المولي رب يبقي اورده الاستاذ
ابو القسم القشيري في الرساله وقال ايضا سمعت السلمي يقول دخلت
علي ابي عثمان المغربي وواحد يستقي الماء من البير فقال يا عبد الرحمن

تدري ايش تقول البكرة فقلت لا قال تقول الله الله وهذا ربما يستتبعه
العقول الغير المستخلصة عن افات البشرية ومن لم يذق لا يدري
فاما اذا لم يكن المباينة مرتفعة لا يمكنه ان يعبر عنه بشيء مفهوم
وربما لا يشعر بسماعه وان سمعه وغير ذلك السماع حاله في الظاهر
وهذا هو حال ارباب القلوب الذين وجدوا في الباطن من السماع واردات
وردت على قلوبهم فغيرت صفات قلوبهم وادى ذلك التغير الى
الظاهر لكنهم ما فهموا اشياء ولا ادركوا كلاما وهذا السمع اعني السمع
الحقيقي الروحاني تبع لا محالة لحقيقة القلب اذ هو بمنزلة الحاسة للقلب للقالب
فكما ان الشخص انما يسمع الكلام او الصوت بواسطة الحاسة عمن يكون
معه فاذا كان مع الله سمع من الله واذا كان مع غيره سمع من ذلك الغير
فاذا سمع العبد كلاما او صوتا وكان القلب مع الله سمعت حاسة ذلك
الكلام او مراد الله منه من الحق ولذلك ربما يسمع شيئا ويفهم من ذلك
المراد حينا قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
وقال بعض المشايخ كنت اقرا القران مدة واسمع من نفسي فصار
كاني اقراه واسمع من النبي صلى الله عليه وسلم ثم صار كاني اقرا واسمع

من جبريل عليه السلام ثم صار كاني اقرا واسمع من الله ثم اعلم انه
تختلف احوال اشخاص الانسان اختلافا ظاهرا فبعضهم من اتصف
قلبه بصفات النفس وغلبت عليه افات الشهوات ودواعي الهوى
فانحط عن ذروة الانسانية الى حضيض البهيمية وبعضهم من اتصف
نفسه بالصفات القلبية فاستنارت بنور القلب واطمانت في العبودية
قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة السورة فدخولها في زمرة العباد
هو اتصافها بصفات الارواح التي من خصائصها العبودية وبعضهم
من له منزلة بين المنزلتين فيكون قلبه باقيا على فطرته الاولى لا هو تصرف
في النفس تصرفا بينا يزيله به عن الحقائق النورانية فتارة تغلب النفس
على قلبه وتارة تغلب القلب على نفسه هذا هو حال اكثر المؤمنين
فمن اتصف قلبه بصفات النفس فان كان ذلك الاتصاف مبطلا
حقيقة خاصية جوهره كما في الكفار فلا بد ان يبطل فيه السمع والفقه
اللذان من صفات الكمال كما له قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
وان لم يكن ذلك الاتصاف مبطلا حقيقة جوهره وذاتيات صفاته
بل مغيرا لبعض صفاته ومبطلا لبعضها فاما ان يكون بحيث ابطل

الشمع الحقيقي اولا يكون فان لم يكن بحيث قد ابطل سمعه الحقيقي فربما
غافصه في السماع وارد حق او فجاه خطاب غيبي فيكون مخالفا لما اعتاده
من طبايع صفات الحيوانيه فلم يحتمله الروح الحيواني فيهلك بغتة فلا
تستغرب من ذلك فان الاطبا قد اتفقوا على ان الفرح المفرط والغم المفرط
مهلكان خصوصا اذا اعتريا القلب بغتة فان لم يهلكه غير حاله اما
بانابه الى الله تعالى او بمرض وتبديل مزاج وان كان ذلك الاتصاف ابطل
حقيقه جوهره او ابطل سمعه الحقيقي فلا يكون سمعه الا على طفيل
القالب وواسطة الحاسه فلو سمع القران فهم منه اساطير الاولين
ولو سمع شعرا فيحمل معناه الى ما تقتضي هواه فيزيد سماعه في زندقته
قال ذو النون رضي الله عنه السماع وارد حق يزعج القلوب الى
الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى بنفس تزندق لكنه مع هذا
ان لم يكن ذلك الاتصاف مبطل حقيقه جوهره كما في الكفار يرجى منه
انفتاح سمعه ولو بعد حين وذلك اذا كان يدركه همة الشيخ واما
من اتصف نفسه بالصفات القلبية فيكون حاسه سمعه تبعا
لحقيقة سمع قلبه فلا يسمع من الظاهر شيا الا وقد سمع قبله من القلب

اشيا فتاره يسمع من مجرد الصوت حقايق الترغيب والتشويق
ولطايف المخاطبات والترهيب والتخويف ومستلذات المعاتبات
وتاره يسمع الكلمات فيسبق السمع الباطني السمع الظاهري فيعبر
مدرك الظاهر كما حكى الاستاد في الرساله انه سمع ابو عثمان الدمشقي
طوافا ينادي من يشتري السعتر البري فسقط مغشيا عليه فلما
افاق سيل قال حسبته يقول اسع ترى بري ويبلغ حاله الى مرتبه
لا يتوقف سماعه الى استماع شي بالحس بل لا ينقطع سماعه من الغيب
كامر حكايه الخضري وكما لا ينقطع ابصاره ولا يزاحمه النظر الحسي
فكذلك لا ينقطع سماعه ولا يزاحمه السمع الحسي واما من بقي في منزله
بين المنزلتين على غلبات صفات النفس وبقاء صفات القلب حتى تغلب
تاره صفات نفسه فيوقعه في الفتنه وتاره صفات قلبه فيخرجه
من الظلمات الى النور خلطوا عملا صالحا واخر سيا فاذا غلبت
عليه صفات النفس يخاف عليه من السماع تهييج الشهوات واثاره
الافات المستكنه والصادق في طلبه مقصور الهمه على قهر
النفس واحيا صفات القلب فيراعي اوقاته ويعالج باطنه بما يوافقه

حكي الاستاذ في الرساله انه كان ابن زيري في اصحاب الجنيد
شيخًا فاضلًا فربما يحضر موضع السماع فان استطابه فرش ازاره
وجلس عليه وقال الصوفي مع قلبه وان لم يستطب قال
السماع لارباب القلوب ومر واحد بعلمه والكلام في تحليل السماع
وتحريمه فمنه ما يتعلق باشارات المحققين من مشايخ فاما ما يتعلق
بالاحاديث والاثار فمنه ما روي ابن شهاب الزهري عن عروه عن
عايشه رضي الله عنها ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في ايام
منى تغنيان وتدفقان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
مغشي بثوبه فانتهرهن ابو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام مني ولما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينه قالت عايشه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسترني بثوبه وانا انظر الى الحبشه وهم يلعبون في المسجد
وانا جاريه واتفق البخاري على تخريجه من طريق ابن شهاب
وروي الزهري ايضا قال سايب بن يزيد بينا نحن مع عبد الرحمن
بن عوف في طريق الحج ونحن نؤم مكه اعتزل عبد الرحمن الطريق

ثم قال لرباح بن المعترف غننا يا ابا حسان فكان يحسن النصب فبينا
رباح يغنيهم ادركهم عمر رضي الله عنه في خلافته فقال ما هذا فقال
عبد الرحمن ما باس بهذا يلهو ويقصر عنا فقال عمر فان كنت اخذا فعليك
بشعر ضرار بن الخطاب وضرار رجل من بني محارب بن فهر والنصب
ضرب من اغاني الاعراب وروي عمر بن عبد العزيز بن الحارث بن نوفل
انه راي اسامه بن زيد في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعًا
رافعًا احدي رجليه على الاخري يتغني بالنصب وقال هذا الحديث
رواه يونس بن يزيد وجماعه عن الزهري عن عمر بن عبد العزيز وقال
مسلم بن الحجاج والحديث كما قال القوم وروي وهب بن كيسان
قال قال عبد الله بن الزبير وكان متكيًا يتغني فقال له رجل تغني فاستوى
جالسًا وقال واي رجل من المهاجرين لم اسمعه يتغني النصب وروي
ابن جريج قال سالت عطا عن الغنا بالشعر فقال لا اري به باسًا
ان لم يكن فحشا وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الايه
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال هو والله
الغنا وروي عكرمه عن ابن عباس وانتم سامدون قال هو الغنا بالحميريه

وروي ابو مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يشرب الناس
من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها ويضرب على روسهم المعازف يخسف
الله بهم الارض ويجعل منهم القرده والخنازير وروي ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم عليكم الخمر والميسر والكوبه وهو
الطبل وقال كل مسكر حرام وروي ابو وايل عن ابن مسعود قال
الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ونقل ابو طالب المكي
وقال سمع من الصحابه عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيره بن شعبه
ومعويه وغيرهم وقال وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابي
وتابعي باحسان قال ولم يزل الحجازيون عندنا بمكه يسمعون السماع
في افضل الايام في السنه وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى
عباده فيها بذكره وهي ايام التشريق ولم يزل اهل المدينه مواظبين
على اهل مكة على السماع الى زماننا هذا واما ما يتعلق باقاويل المجتهدين
من الايمه فالشافعي رضي الله عنه لا يحرمه ويجعله في العوام مكروها
حتى لو احترف بالغناء واتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهي
يرد به الشهاده ويجعله مما يسقط المروه ولا يلحقه بالمحرمات

وروي عن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له اذا اتي بك يوم
القيمه ويوتي بحسناتك وسياتك ففي اي الجنبين سماعك قال
لا في الحسنات ولا في السيات يعني انه من المباحات وحكى
القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي رضي الله عنه ومالك وابي
حنيفه وسفيان وجماعه من العلماء رحمه الله عليهم الفاظا استدل بها
على انهم راوا تحريمه وقد قال الشافعي رضي الله عنه في كتاب
اداب القاضي ان الغنا لهو مكروه يشبه الباطل فمن استكثر منه
فهو سفيه ترد شهادته وقال واما ابو حنيفه رحمه الله عليه فانه
كان يكره ذلك ويجعل سماع الغنا من الذنوب وكذلك سائر اهل
الكوفه سفيان الثوري وحماد وابرهيم والشعبي ولا مزيد على ما ذكره
حجه الاسلام محمد الغزالي رحمه الله في اباحه السماع في احيا العلوم
اجمالا وتفصيلا وردا على القايلين بتحريمه فلا نطول هذا المختصر
بنقله وحاصل كلامهم يرجع الى ان السماع لهو وكل لهو حرام الا ما صح
جوازه عن النبي صلى الله عليه وسلم والنزاع في المقدمتين جميعا اما
الاولى فلان عندنا ينقسم السماع الى ما يتعلق باللهو والى ما يتعلق به

والمتعلق باللهو فان كان مباحا في الشرع حقيقة بعند اكثر العلماء
فهو محظور في معاملة ارباب القلوب وقد حطت رتبة هذه الطايفة
عن ان يسمعوا اللهو او يجتمعوا للسماع بشهوة وقد استفاض واشتهر
ان ابا الحسين النوري حضر مجلسا فيه سماع فسمع هذا البيت

ما زلت انزل في ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطع وبقي
اصوله مثل السيوف فكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة
والدم يخرج من رجليه فورم قدماه وساقاه وعاش بعده اياما قليلا
ومات حكى الاستاذ ابو القسم القشيري في الرسالة ان الدقي
قال سمعت الدراج يقول كنت انا وابن الفوطي مارين على دجلة بين
البصرة والابلة فاذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل وبين يديه
جارية تغني وتقول شعر في سبيل الله ود كان مني لك يبذل
كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل فاذا شاب تحت المنظرة بيده
ركوة وعليه مرقعة يسمع فقال يا جارية بحياة مولاك اعيدي ما قلت
فاعادت فقال الفقير هذا والله تلوني مع الحق وشهق شهقة خرج روحه

٨٧

87 فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله تعالى وهيا اهل البصرة
وفرغوا من دفنه والصلوة عليه فقام صاحب القصر وقال الستم تعرفوني
اشهدكم ان كل شي لي في سبيل الله وكل ما ليكي احرار واتزر بازار
وارتدى برداء وتصدق بالقصر ومر فلم ير له بعد ذلك وجه ولا
سمع له خبر وحكى ان نقيب العلوية بنيسابور كان منكرا
لسماع القوم وينسب مواجيدهم في السماع وحركاتهم الى التكلف
والارادة فاتفق انه حضر سماع بعض المشايخ اظنه ابا سعيد بن ابي
الخير فذكر القوال بيتا فصعق بعض الفقراء وقام وقعد ميتا
فشاهد السيد تلك الواقعة فقال يمكن ان يكذب الرجل في حالته
ولا يمكن ان يكذب في موته فهذه الحكايات المشهورة تعرفك ان
سماع القوم ليس هو مما ينسب الى اللهو واللعب فانهم يسمعون
من حيث صفاء التوحيد نحو لا لحظ فيهم من اسناد يوجب
التلهيب وتجلي يورث التلوح او خطاب يقتضي الاشتياق او عتاب
يزيد في الاحراق فتارة يخاطبهم الحق باشعارهم فيحفظهم عن افكار
البشرية مستورا وتارة ينتصرعون بين يدي الحق باحوالهم وابيانهم

فيملا قلوبهم سرورا وحبورا واما المقدمه الثانيه وهي ان
كل لهو حرام الا ما صح جوازه عن النبي صلى الله عليه وسلم فان في حديث
عايشه رضي الله عنها عن جاريتين وقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابيها دعهما يا ابا بكر اتفقا البخاري ومسلم واورداه في
صحيحيهما وكذلك حديث عروه بن الزبير عن الحبشه كان ايضا
مما اتفقا علي صحته واخرجاه وهذه الاحاديث مما خرجناها في
كتابنا الموسوم بزبده العوالي وطيه الاماني فصح اباحه النظر
الي اللهو واباحه الرقص فانه لا يخفى عاده الحبشه في الرقص واللعب
واباحه اللعب في المسجد واباحه نظر النسوان الى الرجال المشتغلين
باللهو واللعب فاذا ثبت جواز هذه الاشيا ثبت ان السماع مباح
وان كان مقرونا باللهو واللعب شرعا اذا لم يقترن بمحظور شرعي
اولم يود الى محظور شرعي والله اعلم واما ما يتعلق بالمحققين من
المشايخ فقد نقل عن بعضهم انكار السماع ومنعهم المريدين عن
الاشتغال به وعن بعضهم تجويز السماع بل الاشتغال به والنزوي
عن شاربه فاذا تاملت في احوالهم وكشفت الغطا عنها وجدتهم

متفقين في الحقيقه غير مختلفين الا في الظاهر وانما تطرق الاختلاف
في اقوالهم لا في صوره معينه بتركيب وجه التناقض ولكن في صور مختلفه
واحوال متباينه ومقامات متباعده فاذا اختلف الاحوال زال التناقض
من الاقوال ومما يدلك على هذا اتفاق شافعيهم وحنفيهم على اثبات
السماع واجتماعهم في مجالس السماع حكى الشيخ ابو نصر السراج
في اللمع قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد الصيرفي قال سمعت رويما وقد
سيل عن المشايخ الذين لقيهم كيف كان تجدهم في وقت السماع فقال مثل
قطيع الغنم اذا وقع في وسطه الذياب وقال سمعت الوجيهي يقول
سمعت الطلاس الرازي بمصر يقول دخلت علي اسرافيل استاذ ذي النون
وهو جالس ينكت باصبعه علي الارض ويترنم مع نفسه بشي فلما راني
قال اتحسن تقول شيا قلت لا قال انت بلا قلب قال رضي الله عنه
فمن منع منهم المريدين من السماع وانكر عليهم الاجتماع به فلفوايد منها
ان المريدين في شرح اراداتهم وعزه طلبهم قد غلبت عليهم الصفات
النفسانيه والاهوا المختلفه ولذلك احتاجوا الى المجاهدات والرياضات
الشاقه فخافوا عليهم اثاره فتنه قد اماتوها وتهيج داعيه قد دفنوها

وتذكر شهوة قد نسوها والنزاع الى معشوقة قد فارقوها والتحنن الى بلاد
قد رحلوا عنها سئل الشبلي عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبرة
فمن عرف الاشارة حل له السماع للعبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض
للبلية وقال الجنيد اذا رايت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من
البطالة ومنها انه ربما يقع في المريد في افات الريا بميل طبعه الى قبول
الخلق ويستحلي تقربهم اليه وتبركهم بوجده فيجره ذلك الى تكلف في
اظهار الوجد لا سيما قد وجدوا رخصة في التواجد فعلى ظن التواجد المحمود
الذي هو التوجه الى الحضرة باستمداد الحق والاستعانة به في نفي
الصفات النفسانية والالتفات الى الغير يوقعهم الشيطان في التواجد
الذي هو نتيجة الرياء الصرف حكى ان ابا القسم النصراباذي كان
كثير الولع في السماع فعوتب في ذلك فقال نعم هو خير من ان نقعد
ونغتاب فقال له ابو عمرو بن يا ابا القسم زلة السماع شر من كذا
سنة يغتاب الناس وذلك ان زلة السماع انه يكذب على الله تعالى
انه وهب لي شيئا وما وهب له والكذب على الله من اقبح الزلات ولذلك
قال ابو علي الدقاق وقد قرئ بين يديه الذين يفترون على الله الكذب قال

هو الصوفي اذا صاح في غير وقته ومنها انه قلما يخلو مجلس السماع
عمن لا يكون من جنسهم يكون من ارباب النفوس وابناء الدنيا فربما
لا يودي فايدة احوالهم اليه وتعود غايلة حضورهم اليه فيشقى بهم جليسهم
ومن شانهم ان لا يشقى بهم جليسهم ولذلك قال الجنيد السماع يحتاج
الى ثلثة اشياء الزمان والمكان والاخوان ومنها ان السماع يظهر مخفيات
الباطن ومستورات القلوب ويبرز الجوهر المكنون فيصير المريد بذلك
عرضة الافات اذ هو مامور باخفاء الاحوال لا سيما عن الاغيار ولذلك
قال كل عمل وقع عليه نظر الخلق صار هباء منثورا وقال بعضهم الفقير
الصادق هو الذي يضمر شرا ولا يظهر خيرا ومنها انه ربما خلطوا
جدهم بهزل او وقعوا في اعتراض حق او تركوا بعض اداب الصحبة او غفلوا
عن مراقبة باطنهم لحظة فتصرفت فيهم الشياطين وسولت لهم واغوتهم
وكثيرا ما يكون هذه التصرفات في صورة الوجد واظهار غلبات الاحوال
حكى الشيخ ابو الحسن علي بن عثمان الهجويري صاحب كتاب
كشف المحجوب فيه قال سمعت الشيخ ابا العباس السعاني يقول
كنت في مجلس قوم اشتغلوا بالسماع فرايت الشياطين عراة يطوفون

ويلعبون بين ايديهم وينفخون فيهم فيتواجدون بذلك وهذا امر لا يقف
عليه الا صاحب نظر كامل واقف على مكايد الشيطان وتصرفاته في
المريدين ولهذا قال ابو علي الروذباري ليتنا تخلصنا منه راسا
براس فلا تحقق عندهم هذه الافات في السماع احترزوا عنه
واستجلبوا فوايده من طرف اخر وطايفه اخرى كرهت ذلك وعمت
الذي يتعرض لاستماع هذه الرباعيات لا يخلو من وجهين اما قوم
منهمكون من اهل الرعايه والفتنه او قوم وصلوا الى الاحوال السنيه
وعانقوا المقامات الرضيه واماتوا انفسهم بالرياضات والمجاهدات
وطرحوا الدنيا وراء ظهورهم وانقطعوا الى الله تعالى بجميع معانيهم
ولسنا نحن من هولاء ولا من هولاء فلا معنى لاشتغالنا بذلك وتركه
اولى بنا فالاشتغال بالطاعات واداء المفروضات واجتناب المحرمات
شغلنا عن ذلك ومن رخص في السماع للمريدين كانت رخصته على سبيل
المعالجه والتدبير الصالح لهم فان الله تعالى ما خلق دواء واودع فيه
شفاء الا وقد قارنه بنوع ضرر يتوقع من استعماله ان لم يتداركه
المعالج بحسن التدبير وما من شي من المعاملات الشرعيه والاوامر

الالهيه التي منها يتوقع النجاه ويحصل بها الفوز بالدرجات
الاوامر الالهيه الا وفيه افات ربما يودي الى الهلاك اذا لم يستعملها
العبد على شرطها فاولى اركان الاسلام بالاعتبار الصلوه ومنها
الفوز والفلاح قال الله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون ومنها الويل والخسران قال الله تعالى فويل للمصلين الذين
هم عن صلاتهم ساهون وقال النبي صلى الله عليه وسلم رب قايم
ليس حظه من قيامه الا السهر ورب صايم ليس حظه من صيامه
الا الجوع والعطش وكما راي الثعالي الشياطين يلعبون باهل
السماع وراي النبي صلى الله عليه وسلم الشياطين يدخلون فرج
الصفوف في الصلوه فانه قد صح في حديث انس بن مالك رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رصوا صفوفكم وقاربوا
بينها وحاذوا بالاعناق فوالذي نفسي بيده اني لارى الشياطين
يدخلون من خلل الصف كانها الحذف وصح في حديث ابي هريره
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نودي للصلاه
ادبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التاذين فاذا قضي النداء اقبل

حتى اذا ثوب بالصلاة ادبر حتى اذا قضى الثوب اقبل حتى يخطر
بين المرء ونفسه ويقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر
حتى يضل الرجل ان يدري كم صلى فلا يسوغ لاحد ترك الصلوة
بعله طواف الشيطان بين يدي المصلي ولا بعله مزاحمته بالوسوسة
والقاء الخواطر المذمومة فطريق المريد ان يجد في تنقيح الاعمال
وتهذيبها وازاحة الافات عنها وهذا هو فايدة الرياضة ليصير
بها مناجيا ربه في صلوته بعد ان كان ضحكة الشياطين واسير
تصرفاتهم فكما ان المصلي لا يترك الصلوة لافة يجدها في خلال
صلوته بل يجد في تنقيح الصلاة وتصحيحها فكذلك الشيخ لا يترك
السماع بعد ان تحقق عنده طريق تربية المريدين به اذا وجد افة
تلحقه بل يزيل الافة بهمته وولايته ويربيهم بصفوته وزبدته
فان للمريد واصحاب الرياضة والمجاهدة وارباب الخلوة والعزلة
اطوارا واحوالا مختلفة فربما يلقيهم الوقت لذة بسط الحي
الحق سبحانه بها قلوبهم فيزيل عنهم نصب الرياضة وتعب المجاهدة
وربما يوقعهم في قبض يودي اذا استكمل شانه الى ملالة وسامة

يخاف منها ازعاج المريد عن الخلوة وقبول باطنه لتصرفات الشيطان
والنفس ففي كلا الوقتين تربية الشيخ على مقتضى نظره النافذ
فاذا كان في البسط يزيل السماع في تشويقه وتعشيقه فيحرك به
دواعي قلبه الوامق حتى يصير بحيث لا يبالي ببذل روحه ومهجته
ويتبدل بذلك سيره بالطيران فيقطع بلمحة ولحظة ما لا يتوقع
قطعه في عشرة سنة واذا كان في القبض يقويه ويزيل تعبه
ويريحه من نصبه ويدفع بذلك سامة المجاهدة وتعب الرياضة
ويحيي به قلبه ويفك به روحه عن اسر الشيطان واستيلاء
النفس وانا اشتراح السالك به عن كلاله عرضت وسامة نحت
عن الرياضة واستيلاء خواطر الاعداء عاد رونق وجه طلبه
واحصر عود ارادته فزاد جده واشتد شوقه ولا يستغرب ذلك
في ذلك في حال المريد والسالك فانك تشاهد في الظاهر انه ربما
تغيب عن معشوقه فيمحو طول المفارقة اثار الشوق من قلبه
ويخلق النزاع في باطنه الى محبوبه فيتعطل انينه بل يفني حنينه
فاذا اتفق له سماع ابيات تتعلق بواقعه وبعض وبعبير معشوقه

بواقعته وتتضمن تعبيره

اياه وتذكره ايام الرضى الوصال ولذات المعانقه والمغازله ولطايف
الاستمتاع بجمال المحبوب حركه السماع وهيج دواعي طلبه واثار
اشواق قلبه وجد دنزاع ضميره الي ان طفق يمزق ثيابه وربما
سعى في اهلاك نفسه وازهاق روحه لاسيما اذا صحبه سكر
وكذلك اذا استولت صفات النفس ودواعي الهوى على القلب
الهايم فانسدت بذلك طريق القلب الي الغيب فلا يروحه نسيم
الطاف الرب فيبقى القلب كالعاشق المهجور المبتلى بافات الحرمان
فاذا اشتد به مده الهجران وطالت ايام الحرمان ولم يتمكن بعد
في صدق الطلب انس بالوحشه ونسي لذه المناجاه فاذا حركه
السماع واستورى زند قلبه هيج اشواقه الكامنه فيستحكم بذلك
عقده الاراده ويجدد عهد الطلب فتبين ان السماع في حق المريد
في الابتدا من انفع المجاهدات وانجح التدابير لاسيما اذا لم يقارنه
افه صحبه الاغيار ولم يزاحمه مجالسه الاشرار ولم يكدره حضور
من يزيغ قلب المريد من الحق الي الباطل بل يكون في حراسه شيخ
يمنع هيبته المريدين عن الحركات المتكلفه وخلط الجد بالهزل

ومزج الطلب بالطرب واما الكبرا والسادة منهم فجلت رتبتهم عن
ان يشتغلوا بشي او يكون منهم فضله لطارق يطرقهم ولو اراد يرد
عليهم ولذلك قال بعضهم انا ردم كله لا ينفذ في قول
وحكي عن سهل بن عبد الله التستري انه قال حالي في الصلوه وقبل
الدخول في الصلاه شي واحد وذلك انه كان يراعي قلبه ويراقب
الله بسره قبل دخوله في الصلوه ثم يقوم الى الصلوه بحضور قلبه
وجمع همته فيدخل في الصلوه بالمعنى الذي كان قبل الصلوه وكذلك
حاله يكون قبل السماع وبعده بمعنى واحد فيكون سماعه متصلا
ووجده متصلا وشربه دايما وعطشه دايما وكلما ازداد عطشا
ازداد شربا فلا ينقطع حكي الوجيهي انه كانت جماعه من
الصوفيه مجتمعين في بيت ومعهم قوال فيقولون ويتواجدون
فاشرف عليهم ممشاد الدينوري فلما نظروا اليه سكنوا جميعا
فقال لهم ممشاد ما لكم قد سكنتم ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمع ملاهي
الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى ما بي قال الشيخ ابو الحسن علي بن
عثمان الجلابي في كتاب كشف المحجوب دخلت يوما في صميم الصيف

على الشيخ ابي احمد المظفر بن احمد بن حمدان مع ثياب السفر وغبار
الطريق فقال لي يا ابا الحسن ايش ارادتك في الحال فقلت السماع
فاستحضر اقوالا وجماعة من اهل السماع وكنت على قوة الارادة وحرقة
الابتدا ووجده السماع فلما سمعت السماع استولى علي سلطان الوجد
واضطربت اضطرابا فلما سكنت غلبات الوقت وسكت القوال
قال لي الشيخ كيف وجدت السماع فقلت ايها الشيخ لقد استرحت
به وطاب وقتي فيه فقال شيخي وقت يستوي عندك هذا السماع
ونعيق الغراب فان قوة السمع تكون عند عدم المشاهدة فاذا
حصلت المشاهدة واضمحلت ولاية السمع فانظر حتى لا تعتاد
ذلك فتصير طبيعة تمنعك عن الكمال قال الشيخ ابو نصر
السراج رحمه الله وهولاء يعني الكبراء ربما يحضرون في هذه
المواضع التي فيها السماع لاحوال شتى وجهات مختلفه فربما
يجتمعون معهم من جهة مساعدة اخ من اخوانهم وربما يحضرون
لعلمهم وثباتهم وكبر عقولهم حتى يعرفوهم ما لهم وما عليهم من شرايط
السماع وادابها وربما يجتمعون مع غير ابناء جنسهم من سعة اخلاقهم

وتحملهم فيكونون معهم بابنين منهم ومنفردين عنهم لبواطنهم وان
كانوا مع جلسايهم بظواهرهم قال رضي الله عنه فهذا ما سنح به
الوقت وسنح لي القلب من اجوبة هذه المسايل مع استغراق اوقاتي
بجمع زبدة العوالي واعتذرته من سلوك اختصارها تداخل باكثرها
اردت ان اثبت في هذه الاوراق واسال الله تبارك وتعالى ان
يوفقني بعد الفراغ من ذلك المجموع على الوفا لجمع الكتاب الموعود
واحمده على هذا التيسير واشكره على هذا التوفيق واستغفره من
زله قلما يخلص عنها الانسان واساله رحمه يستغرق فيها الانس
والجان وصلى الله على محمد المصطفى واله اجمعين والحمد لله رب العالمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

يسر الله سبحانه وتعالى الفراغ من نسخه على يد اضعف خلق الله واحوجهم
الى عفوه ومغفرته محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن هلال الازدي
بجامع بني اميه بدمشق المحروسه في مستهل شهر شعبان المبارك
سنه سبع وستين وسبعمايه فيا ليت من يقرا كتابي دعا ليا

اعلم ان التوبة على قسمين قسم اصل وقسم فرع فاما الاصل فهو توبة من الله على عبده بنائل
توبة العبد واما الفرع فهي التوبة المترددة تارة وتارة واما توبة الفرع فقال الله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا الاية فاذا تاب الله على العبد تبعته العوائق وانقطعت العلائق
ظهر انوار الحقائق تطرق انوار البصائر يعني المبصر السر ما هو آت وصاير عيانا لكن
ينطلق العبد العقل من قيد حصر البشرية الى الفضا المتسع فيغرق في بحر الكثرة والعجز
فتتلاطم عليه امواج الهيبة والعظمة والجلال فتتقلبه الى ساحل الانس والجمال
مشاهد بحر المشهود ليلوح له الوجود الملك المعبود وسئل الجنيد رحمه الله تعالى
عن التوبة قال ان تنسا ذنبك وسئل سهل رحمه الله تعالى عن التوبة قال هو ان لا
تنسى ذنبك فمعنى قول الجنيد ان تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك بحيث لا يبقى له اثر
في سرك حتى تكون كمن لا يعرف ذلك الفعل قط وسئل حسين المغازلي عن التوبة فقال
تسالني عن توبة الانابة او توبة الاستجابة قال السائل ما توبة الانابة قال توبة الانابة
ان تخاف من الله من قدرته عليك قال فما توبة الاستجابة قال ان تستحي من الله لقربه
اليك فتوبة العامة من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة قال سفيان الثوري
رضي الله عنه ان تتوب من كل شي سوى الله تعالى قال المصنف ينبغي للعبد ان يكون
مع الله كالطفل مع امه طال دهره تتعلق بذيلها فاذا ضربته بكا وتمرغ بين
يديها ولا يفارقها حتى يجري البكا اخره وتحنه تخرجها ويحطا البز في فمه كذلك
ينبغي للعبد ان يكون مع ربه اذا وقع في معصيته من المعاصي بكا وندم ويصيح
الى الله تعالى بالنار ويتعلق باعتاب الطاف فاذا وقع في مثل ذلك الان رحمه الله تعالى
ويتوب عليه ويقربه اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رحيم الحديث

قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا فاصل الفرع الاصل

٩٤

95

كتاب المباحث العقلية وكتاب الحكمة الالهية

٧٨ [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

قال الشيخ الامام الاوحد حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي
رحمه الله عليه الحمد لله الذي عقل العقل عن تشبيه الاشاره
الي بدايه انيته واخرس الحس عن تطريه العباره عن نهايه هويته
حتى صار العقل في اول الابداع اعجز من الحس في اخر الاختراع ربنا
ورب ابايينا العلويات وامهاتنا السفليات اياه نطلب ونروم وله نصلي
ونصوم وبه نقعد ونقوم وهو الواحد المبدع الواحد القيوم وصلواته
على سيد المرسلين ورحمه رب العالمين المشرف بالنبوه قبل امتزاج
الماء والطين والسلام على اله الطيبين الطاهرين ابد الابدين اما بعد
فان الله تعالى لما خلق العالم الروحاني والعالم الجسماني اختار الانسان
من ساير المخلوقات وجمع فيه لطايف المصنوعات من المعقولات
والمحسوسات ليكون انموذجا من العالم الكبير ويعبر عنه بالعالم
الصغير وهذه الكلمه تفصيل يطول شرحه ولا يخفى بيانه على المنشرحي
القلوب ولا يحل وضعها عند من ملكته العيوب وهذا الانسان انما تميز
من بين الخلايق واختص ببيان الحقايق بشرف النطق ومن لم يعرف حقيقه
النطق فليس له من الانسانيه الا الاسم ولا من الصراط المستقيم الا الرسم
واذا كانت الانسانيه هي النطق فحسب واكثر الناس تحيروا في حال النطق

وكيفيته بحيث انهم لا يفرقون بين الكلام والنطق والقول وظنوا ان هذه
الكلمات اسما لمعنى واحد ولو كان الامر كما ظنوا لجاز ان يقال للباري تعالى
ناطق وللجرم الفلكي قايل وهذا امر غير مذكور فاردنا ان نبين حقيقه
هذه الاسامي ونفرق بين هذه المعاني ليكون معتصما لذوي الالباب
وعولت على تاييد مسبب الاسباب فانه الجواد الوهاب وبوبت
الكتاب خمسه ابواب ليكون اسهل على من سلك هذا الطريق واستعنت
بالله فانه ولي الهدايه والتوفيق

الباب الاول في النطق
الباب الثاني في الكلام
الباب الثالث في القول
الباب الرابع في الكتابه
الباب الخامس في الغرض المطلوب

الباب الاول في النطق وما يتعلق به وفيه فصول اربعة

الفصل الاول اعلم اسعدك الله ان المطالب
الاصليه اربعه الاول مطلب هل وهو السوال عن وجود الشي والثاني
مطلب ما وهو السوال عن ماهيه الشي والثالث مطلب لم وهو طلب
العله والرابع مطلب اي وهو السوال عن فصل الشي الذي يقطعه عن
الجنس المشارك له ن اما مطلب هل فعلى وجهين احدهما عن اصل
الوجود كقولك هل الله موجود ن والثاني عن حال الشي كقولك هل الله
مريد ن واما مطلب ما فايضا على وجهين احدهما سوال المتكلم

عن تفسير لفظه كما يقال ما العقار فيقال الخمر والثاني يطلب حقيقه الشي
في نفسه كما يقال ما العقار فيقال هو الشراب المسكر المعتصر من العنب
ومطلب ما بالمعنى الاول يتقدم على مطلب هل فان من لا يفهم الشي لا يسأل
عن وجوده وبالمعنى الثاني متاخر عن مطلب هل لان ما لا يعلم وجوده لا تطلب
ماهيته لبعض الاشيا يستدعي اولا اثبات الهليه ثم الماهيه ثم الكميه
وعرضنا هذا خارج عن مطلب الهليه فانه لا يقال النطق هل هو لان اثاره مطلب
ظاهره وانواره زاهره ودلايله باهره فانه لا يحتاج الي مقوم من خارج
لان به تقوم الانسانيه فان الانسان اذا حد يقال حي ناطق مايت لانه
فالمعنى الذاتي المقوم للانسانيه هو النطق فبهذا السبب استغنينا عن
جواب هل الفصل الثاني اما ماهيه النطق فيحتاج الى ادنا
شرح وشرحه يستدعي ادنا تامل لاشتباهه بالكلام والقول وقد
عرفنا بان للنطق معنى اخر زايدا على معنى الكلام والقول وذلك ان
الجنين يوصف بالنطق لانه ناطق بالقوه ولو لم يكن ناطقا لم يعد من الناس ولا يقال
قابل لان قوله بالفعل فايت فبهذه الضروره احتجنا ان نذكر طرفا من
ماهيه النطق فنقول ان الله سبحانه وتعالى لما اراد اظهار جبروته
بالاراده التي تليق بذاته ابدع جوهرا روحانيا بسيطا مدركا كاملا مكملا
وصفاه وجلاه كالمراه ثم قابله بنور جلاله وجماله فتصور الهيه الباري

الجوهر
جل ثناوه في ذات جوهريته وعقل ربوبيه مبدعه وعرف عبوديه ذاته
فصار ذلك الجوهر المبدع عقلا لصفاء ذاته عاقلا بادراك ربوبيه
باريه معقولا باحاطه العبوديه حوله فعرف ربه واطاع امره واستولى
على مضمونات القدر وخفيات القضاء بكلمه الباري تعالى واقبل عليه
بالاستفاده وادبر عنه بالافاده كما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
اقبل على الكلمه بالاستفاده فتوحد ثم ادبر فاظهر النفس بالافاده فتزوج
فانتجت الهيولى من مباشره العقل والنفس وتمت الكثره بالثلث كما روي المنفصلات
اقل الجمع ثلاثه فالعقل اول المبدعات والنفس اول المنفصلات فالهيولى
اول المولدات قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكه واولوا العلم
فالحاسب عاد والعدد شي زايد واصل العدد واحد حتى اذا احصا من الكلمه
التي هي الوحده الي المرتبه الاخيره التي هي العشره وهي الانسانيه لم يتمكن
العاد من انشا عدد اخر فرجع من نهايه العشره الى بدايه الوحده فزاد
الواحد على العشره فحصل من المجموع والزياده انسان ناطق عاقل عالم
عامل فالواحد الكلمه والثاني العقل والثالث النفس والرابع الهيولى
والخامس الطبيعه والسادس الجسم والسابع الافلاك والثامن الاركان
الاربعه والتاسع المولدات والعاشر الانسان فرجع وزاد الواحد على

العشرة فكانت الزيادة نبوة ورسالة ففي النهاية عشرة كواحد في البداية
والنهاية رجوع الى البداية فاذن قد تبين بهذه المقدمات ان نهاية العدد
العشرة والعشرة راجعة الى الواحد الاول وهو العقل الكلي فاذن النطق
ليس هو صورة العبارة ولا نفس الاشارة ولا شكل الحروف ولا تقطيع
الاصوات بل النطق هو تمكن النفس الانسانية من العبارة عن الصورة
المجردة المتقررة في علمه المنفردة في عقله المبراة عن الاشكال المعراة عن
الاجسام والخيال فمهما تصور حقايق الاشيآء باعيانها وذواتها المجردة
في مراة القلب وتقدر النفس عن العبارة عنها وتمكن الذهن من التفكر
فيها ويحيط العقل بظاهرها وباطنها سميت بذلك النفس ناطقة ويقال
لذلك الرجل ناطق وان لم يتكلم في البيان ولم يقل باللسان وحقيقة
ذلك يتعين من اسرار القران حيث قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق وليس للكتاب اله العبارة ولا علة الاشارة لكن لما تضمن جميع
الاشياء واحاط على المكنونات واشتمل على لطايف الموجودات وكتابتها
كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال ولا رطب ولا يابس الا في
كتاب مبين فبهذا المعنى سمى الله تعالى كتابه ناطقا لتعلم العاقل ان
الناطق من الناس هو من يكون نفسه مناسبة لكتاب الله وتصوره لمضمونات
كلمات الله تعالى ومن لم يعرف حقيقة ما قلناه فهو ابكم وان كان فا بلا

ومن لم يدركه فهو اصم وان كان مستمعا كما قال تعالى صم بكم عمي فهم لا
يعقلون فمن انسلخ عن جلده الهيولي والطبيعة انسلاخ الحية وتدرع
بدرع الشريعة ينشرح قلبه بنور الالهية ويحترق اسله بنار الوحدانية
ويكل نظره الحسي ويحد نظره العقلي ولا يخفى عليه شيء من اسرار
الملكوت وروضة الجبروت فهو قاعد بسحه بين ابناء جنسه وقلبه
كالطير يطير في الهوا يصعد الى مرقاة الكرم ويطير في جو الحرم ويغتذي بلطايف
اسرار القدم كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
فيسمع قلبه النغمات الفلكية ويلتذ بالترنمات الملكية ويفهم معاني لغات
اصوات الطيور ويطلع على اسرار الفرقان والانجيل والزبور كما قال
تعالى اخبارا عن نبيه سليمن عليه السلام حيث قال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء فاذا النطق اشرف الاحوال واجل
الاوصاف وهو اصل الكلام والقول وماهيته تصور النفس صور المعلومات
وقدرة النفس على الاسماع لغيرها مما يسنح في العقل باي لغة كانت
واي عبارة اتفقت فاذا قد تبين بما ذكرنا ماهية النطق وشرفه وتبين
ان الناطق من يكون نفسه مثالا لكتاب الله تعالى وقلبه نسخة من كلمات
الله ويقدر ان يسمع من كلمات الله تعالى ويسمع غيره وهذا هو نهاية
شرف الانسانية وحالة الملائكة فان الملائكة صلوات الله عليهم

يصير

موصوفون بالنطق والانسان اذا نطق ملك بالقوه فاذا صارت ذاته نطقا
ويفارق علايق الجسم يصير ملكا بالفعل وينادیه ربه سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين الفصل الثالث اعلم ان من يتامل ماهيه
النطق ويطلع على حقيقته ويتبصر في درجته ودقيقته يستغني عن
سوال الكميه ويعلم يقينا ان الخير في الوجود والشر في العدم والانسان
يبتدي بالنطق يبتدي في وجوده من بدايته ويرتقي الى غايته فان بدايته القوه
الناميه والمصوره التي هي قوه من قوى النفس النباتيه وغايته القوه
الملكيه التي هي من جنود روح القدس التي ذكرها الله تعالى في كتابه فقال
يوم يقوم الروح والملايكه صفا فاذا الانسان لا يبلغ الى غايته الا بالنطق
ولو تمكن البلوغ الى اقصى السعادات العلويه بغير قوى النطق لكان خطاب
الباري وتكليف الشرع واقرار العبوديه وتصديق النبوه واثبات
الربوبيه متعلقا بذلك الشي ولما توجهت هذه المعاني على النطق
علمنا ان الانسان ما تميز من بين الحيوانات الا بالنطق ولا يتشبه بالملايكه
الا بالنطق وهذا النطق هو مواهب الله تعالى على العباد وذلك ان
الانسان بكل قوه من قوى طبعه وبكل صفه من صفات ذاته يشابه
صنفا من اصناف الموجودات فبالنفس النباتيه يشارك النبات
وبالغضبيه يشارك السباع وبالشهوانيه يشارك البهايم والوحوش
وهو

وهو بالحواس كالطيور وبالوهم كالجان وبالخيال كالشياطين فانهم يغوصون
في البحار ويطوفون في البراري ومنهم كل بناء وغواص واخرين مقرنين
في الاصفاد وهو بباطنه كالمعادن وبشعره كالنبات وبعقبه ومجاريه
كالعيون والانهار وبقواه السبعه كالافلاك وبالاثني عشر ثقبه كالبروج
وبالعضلات كالدرج وبالمرتين والدم والبلغم كالاركان الاربعه التي
هي النار والهوى والماء والارض وفي الجمله يناسب كل جزء من اجزايه
جزءا من العالم فقالبه وشخصه مثال العالم السفلي واوصاف روحه
وقلبه مثال العالم العلوي والنفس الناطقه فيه كالامير يدبر ويسوس
ويرعى ويامر وينهى ويفعل ما يشاء ويمحوا ويثبت وهي خليفه الله في
ارض البدن وكلمه الله على القالب الكثيف وحجه الله على العبد الضعيف
وصراط الله الممدود بين البهيميه التي هي الشر المحض وبين الملكيه التي
هي الخير الصرف وهذا الامير لا يعلوا شانه ولا يعظم قدره الا بمتابعه
الشريعه واقامه العبوديه وطاعه النبوه والاقرار بالربوبيه كما قال
تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وكرامه الله تعالى
للنفس الناطقه بحسب كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم وهذه الكرامه
للمومنين خاصه لان علامه النطق الايمان ومن لم يبلغ رتبه الايمان لم يحظ
بشرف النطق ومن لم يحظ بشرف النطق لم ينل كرامه الله تعالى لانه قال

ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فانظر ايها
العبد الضعيف الى شرف هذا الجوهر اللطيف الذي انزله الله تعالى من
ملكوت سمواته الى هذا العالم الصغير الحقير المظلم الكدر فيكون ساكنا
لهذا التراب ونزيلا لهذا التراب ومعمارا لهذا الخراب واعلم ان الله جل
ثناؤه انما بنى هذا الهيكل لاجل النفس الباطنه وبنى هذه المدينه لها حتى
نزل النطق كالامير في مدينه القلب واعد من وسط الدماغ سريرا
ومن موخره خزانه وحافظا ومن مقدمه بريدا وموصلا ومن حواسه
جواسيسا وطيورا ومن قلبه متنسما ومن يديه جناحا ومن رجليه
قواما وعمادا ومن خطواته وحركاته رجالا وركبانا فالنفس في البدايه
مشتاقه الى هذه الالات ومحبه لهذه الحركات حتى يتهيا لها زاد الاخره
وتتوصل الى الغايه فتبدل العداوه بالمحبه والمخالفه بالموافقه والجفا
بالوفا والفنى بالبقا والنفس عند ارتحالها عن ارض البدن ان كانت
مطلعه على اسرار النطق طايعه لاوامر الرب بالصدق توفاها الله بلطفه
وانزلها في جنة عطفه كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وان
انهمكت في الشهوات وغرقت في بحار الظلمات واحترقت بنيران
الشهوات تخرج من الدنيا بغير زاد وتقدم على الله تعالى بحجبه ويكون
كما اخبر الله تعالى بقوله الذين تتوفاهم الملائكه ظالمي انفسهم فقد بان بما ذكرناه

ان شرف الانسان بالنطق وتلفه ايضا بالنطق والى هذه المعاني اشار
سبحانه بقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال وانذرهم يوم
الحسره اذ قضي الامر وهم في غفله وهم لا يومنون وقال وما ارسلناك الا رحمه
للعالمين ه الفصل الرابع واذ قد ذكرنا طرفا من حقيقه
النطق وماهيته ولميته فنريد ان نذكر ايضا ان النطق صفه الخلق لا صفه
الخالق ه اعلم بان النطق وان كبر امره وعظم قدره وارتفع شانه ولاح
برهانه واستوى بنيانه وعلا اركانه فهو صفه النفس الانسانيه ووصف
العقل البشري اذ ليس هو الا عباره عن النفس الانسانيه والنفس الانسانيه
جوهره حيه فعاله دراكه علامه وان هذه الجوهره في بدايه الفطره
واول الاقبال على المضغه جوهره ساذجه غير منقوشه بل هي قابله للصور
مستعده لتحصيل العلوم ما فيها نقش لا من خير ولا من شر ولا من علم ولا من
جهل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود ولد على الفطره وانما ابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال عليه الصلاه والسلم خلق الله الخلق
حنفاء فاغتالتهم الشياطين فاذا تعلقت بالبدن نوعا من التعلق اعني
تعلق اقبال لا تعلق حلول واتصال فانه قد ثبت بالبراهين الواضحه
والحجج اللايحه ان النفس غير متمكنه وغير حاله في البدن بوجه ما من الوجوه

بل هي مقبله عليه ومدبره له وهذه مسئله معروفه لا يحتاج الى بيانها
واذا اقبلت النفس في بدايه الفطره واول الانشا تكون غير قابله
للمعاني المعقولات غير قويه على ادراك المحسوسات ولا فيها رسوم من
العلوم الاوليات مثل التفاوت بين الكليات والجزئيات ومثل الاشيا
المتساويات لشي واحد فهي ايضا متساويات فان هذه الاشيا تنالها
النفس بادنا تفكر واقل رويه فاذا انتقل الجنين الى الطفوليه تقوى
بعض الحواس فاذا انتقل الى الصبا تتم قوه الحواس وتدرك كل حاسه
محسوساتها ثم ان النفس تقبل تعلم المقطعات حينيذ تكون عقلا
غريزيا ثم بعد ذلك ينتقل للاكتساب ويحصل للنفس ادراك بعض
المعقولات وتقدر على تعلم المركبات وتعرض عن اللهو واللعب
وتشتغل بتحصيل الصور ونقش الاشكال بالبيان والبنان بما سبق
عليه الكتاب الازلي وتعلمه الله بالعنايه كلماته الالهيه بكتابته البشريه
كما قال تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك
الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال سبحانه خلق
الانسان علمه البيان يعني اول الحال يسمى نفسا ساذجه ثم عقلا
غريزيا ثم عقلا بالقوه ثم بالملكه ثم عقلا بالاكتساب ثم عقلا بالفعل
فقوه النفس اذا قبلت صور المعلومات يقال لها عقلا واذا تمكنت

فهذه

101

من العباره عن معقولاتها تسمى نطقا والنفس جوهره والنطق صفه
من صفاتها فلاجل هذا المعنى لا يطلق اسم الناطق على البارى تعالى
لان الناطق هو العاقل ولا يقال للبارى عاقل لان العقل جوهر والعاقل
متجوهر والبارى تعالى ليس بجوهر فاذا ليس بعقل والعقل اشرف من
النفس والنطق صفه النفس والنفس جوهره والعقل في الجوهريه اشرف
من النفس والبارى جل ثناوه معبود العقل والاهه وربه وباريه
ومبدعه واذا كان مبدع الجوهر وخالقه كيف يوصف باوصاف الجوهر
واذا كان بارى العقل كيف يتصف بصفه العقل فاذا البارى تعالى
رب العقل والنفس والنطق جميعا فالعقل اثر من كلامه والنفس
اثر من امره والنطق صفه شريفه لمخلوقه وهو منزه عن هذه الاوصاف
والصفات تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

الفصل الخامس

اعلم ان النفس الكليه اذا اقبلت على الجسم
يسمى اقبالها عليه نفسا انسانيه وذلك الاقبال لا يكون الا بامر البارى جل
ثناوه والعقل الاول الكلى اذا افاض على الجسم يقال لفيضه نطقا واول
ما اثرت النفس الكليه انما اثرت في الجسم المطلق وصار الفلك جسما
حيا واول ما افاض العقل بالنطق افاض على الفلك وصار الفلك حيا
ناطقا فاذا الفلك حي ناطق ثم بعده الانسان حي ناطق مائت فالنطق

من العقل والحياه للانسانيه الا بالترتيب فقد بان بما ذكرنا ان الملايكه
نطق والفلك نطق والعقل الكلي نطق والانبياء عليهم السلام نطق والمومنين
نطق فنطق المومنين كنطق الافلاك ونطق العلما كنطق الملايكه ونطق
الانبياء عليهم السلام كنطق العقل الكلي الذي هو جوهر فرد مطلق عالم
بذات باريه كامل بكلمته يكمل ما دونه بفيضه ورحمته والله تعالى منزه
عن الناطقيه والعاقليه والجسميه والجوهريه وذاته اعلى من ان يقال
اعلى واجل من ان يقال اجل سبحان ربك رب العزه عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني في الكلام والمتكلم

وفيه فصلان الفصل الاول في ماهيه الكلام وحقيقته اعلم
اسعدك الله في الدارين ان الكلام على ضربين احدهما يطلق في حق الباري
سبحانه والثاني في حق الادمي اما الكلام الذي ينسب الى الباري سبحانه فهو
صفه من صفات الربوبيه ولا مشابهه بين صفات الباري وصفات
الادميين فان صفات الادميين زايده على ذواتهم لتكثرهم وحدتهم وتقوم
انيتهم بتلك الصفات وتتعين حدودهم ورسومهم بها كما فرق الحكماء
بينها وعبروا عنها بالذاتي والعرضي اللازم الغير مفارق وغيره كالنطق
والضحك فان احدهما يقع في الحد والاخر يقع في الرسم وصفه الباري

انيتهم

جل ثناوه لا تحد ذاته ولا ترسمها وليست اذا شي زايد على العلم الذي هو
حقيقه هويته تعالى وتقدس ومن اراد ان يعد صفات الباري تعالى
فقد اخطا لان العاد لا يدخل في المعدود ومن ظن ان صفاته تشابه
صفات الادميين فقد اشرك لان الخالق لا يشبه المخلوق فالواجب
على العاقل ان يتامل ويعلم ان صفات الباري تعالى لا تتعدد ولا ينفصل
بعضها عن بعض الا في مراتب العبارات ومدارج الاشارات كما اذا اضيف
علمه الى استماع دعوه المضطرين فيقال سميع واذا اضيف علمه الى رويه
ضمير الصغير والكبير يقال بصير واذا نيل منه الرزق يقال له رازق واذا
افاض من مكنونات علمه على قلب احد من الناس باسرار الالهيه ودقايق
جبروت ربوبيته يقال متكلم وليس بعضه اله السمع وبعضه اله البصر
وبعضه اله الكلام بل كله بكليه ذاته مرتب ذاته بحسب ارادته كما يعلم
ويشاء لا يشغله شان عن شان سبحانه لا اله الا هو الجواد المنان فاذن
كلام الباري سبحانه ليس شي سوى افاضه مكنونات علمه على من يريد
اكرامه كما قال تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه شرفه الله بعز وقربه
لقدسه واجلسه على بساط انسه وشافهه باجل صفاته وكلمه بعلم ذاته
كما شاء كلم وكما اراد سمع لا يندرج كلامه تحت الكيفيه ولا يحتاج الى سوال
الملايكه ولا يوصف بالماهيه والكميه بل كلامه كعلمه وعلمه كارادته

وارادته صفته وصفته كذاته وذاته اعلي من التنزيه والتكبير وصفاته
اجل من التفصيل والتفسير خالق كل شي وهو علي كل شي قدير فعلمنا قليل
وكلامنا صغير لان كلامنا اثر نطقنا وعلمنا نتيجة تعلمنا وتفكرنا واما
علم الباري فهو موجب الفعل وكلامه موجب النطق وان الباري تعالي
لا يعمل ثم يعلم ولا ينطق بالفكر ثم يتكلم بل يعلم وعلمه فاعل الافعال
ويتكلم وكلامه اساس الاقوال والاحوال واذا كان الامر بحسب ما بينا وكيف
يطلق علي كلماته كمية تتعدد كما تتعدد صفاته وكل كلمة من علمه عالم من شيا
وكل حرف من كلماته روح في بدنيا واذا احاط بكل شي علما واحصي كل
شي عددا فكيف نفسر كلمة من كلامه ولو تكلف الفكر ابدا كما قال تعالي قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا
بمثله مددا وهذا حقيقة كلام الباري جل ثناؤه واما كلام الادميين فيقال
العبارة المحصلة المنظومة الصادرة عن الفكر المنطقي والحدس العقلي
قبل القاء القول عليه كلاما فما دام المعني مخفيا مستورا في حجر الفكر يسمي
نطقا فاذا صدر عن الفكر ودنا الي القول يسمي كلاما فاذا النطق يحتاج
الي مخرج وحرف ليصير كلاما والكلام يحتاج الي عبارة ونظم ولفظ ليصير قولا
القول والقول يحتاج الي حركة الة وقطع صوت ليصير حديثا او الحديث
يحتاج الي قلب ذكي وسمع وعي ثم يرجع اليه كما بدا ليصير سماعا وهذه

الادمي

المراتب انما تنتظم في حق الادميين لانه مركب زمان يظهر افعاله واقواله
كالافعال في اوقات الزمان فاما كلام الباري بغير هذا فانه عالم بجميع
الاشياء وعلمه لا يتغير ولا يبتدي ولا يحد ولا يبعد كما قال سبحانه ولا يحيطون
بشي من علمه الا بما شاء وكلامه افاضة علمه بحسب ارادته كما بينا قبل
وسائر الموجودات نتائج كلماته وكلماته باقية ببقاء علمه لا مبدل لكلامه
ولا مغير لعلمه ولا مانع لاحكامه كما اخبر الله سبحانه وتمت كلمات ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واذا كان علمه هويته ذاته فهو لا يتغير ذاته
لا ينتهي علمه وذاته ليس بفان فعلمه ليس بمتناه فكلامه ليس بمنقطع لان
الكلام باق ببقاء الذات ولا فناء لذاته فكلامه كعلمه وعلمه كذاته وكل
شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الفصل الثاني اعلم ان
المتكلم الحقيقي الذي لا انقطاع لكلامه ولا مبدل لكلماته هو الله الذي لا اله
الا هو لانه لا يتكلم بالة جارحة ولا يظهر معني غامضا من علمه بتفكر وروية
بل باطن علمه وظاهر كلامه واحد لانه واحد بذاته وواحد بصفاته من
جميع جهاته ولو احتاج الي الة وعدة ومادة ومدة لزالت الوحدة
الحقيقية عن ذاته وصفاته وعرضت الكثرة والمغيرة وقد عرفت الحكماء
بان الاله هو الحق المحض الذي لا كثرة في صفاته ولا حد لذاته ولا الة
لكلماته واذا كان المتكلم بالحقيقة هو الباري فاذا سمي غيره متكلما يكون

على طريق المجاز الامن يتبع كلام الباري سبحانه ويومن بتفسيره وتاويله
ويقوم باوامر تنزيله ويودي حق ترتيله فحينيذ يكون متكلما وهذا الجدل
الذي يسمونه المعتزله واتباعهم كلاما فذلك خرافات الحديث وفضلات
المنطق وراس البدعه واصل الزندقه ومن اشتغل بذلك الجدل واغتر واس
بمطالعه ذلك الكلام فقد شرع في محدثات الامور وقد قال النبي صلي
الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فانها بدعه وكل بدعه ضلاله وقال
عليه السلام كل كلام ليس يذكر الله فيه فهو لغو وكل صمت ليس بفكر فهو غفله
واذ بينا ان المتكلم على الحقيقه هو الباري تعالى لانه سمى نفسه متكلما
فقال وكلم الله موسى تكليما فالكلام بالحقيقه كتابه المنزل المشرف الذي
قال تعالى فيه انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون لا يمس من ح
ظاهره الا المحترزون عن المنهيات الشرعيه ولا يمس حقايقه الا المطهرون
من ادناس الطبيعه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اوليك لهم الامن
وهم مهتدون واذا كان كلامه صفه ذاته ولطيفه علمه فما افاض من كلامه
علينا يكون حديثا من قديم برهانه وايه من عظيم شانه كما قال تعالى الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني الايه فالحديث الحسن كلام
الله القديم المنزل المحفوظ في صدور الراسخين المعلوم في قلوب المومنين
الذي لا ريب فيه هدى للمتقين وهذه الكلمات النبويه المستخرجه من اسرار

١٠٣

104 الالهيه التي نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه الله تعالى في
جميع منطقه حيث قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فقد
بان بما ذكرناه ان المتكلم الحقيقي هو الله سبحانه والكلام هو القران وقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم القران كلام الله غير مخلوق ومن قال انه
مخلوق فقد كفر فهو كافر فاعلم ايها الطالب ان ما سوى الله باطل
وما سوى كلامه هذيان وصفات الله من الله واخبار رسول الله صلي
الله عليه وسلم من اسرار القران ومن لم يومن لهذا القران فقد استحق
الخذلان والحرمان لانه موصوف بالنفاق والكفران كما قال سبحانه ومن لم
يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون الفصل الثالث
في القول وفيه ثلاث فصول الفصل الاول في شرح القول اعلم
ان قول الانسان لطيف غير ثابت في الهواء ولا مظهر القول الا بواسطه
الاصوات والصوت هو قرع يحدث عند اصطكاك الاجرام بالهواء
اذا انضغط يكون اصواتا والصوت اذا انقطع يكون حروفا والحروف
اذا تركبت تكون كلاما والمعنى المنطقي النفساني الروحاني اذا اتصل بها
يكون نطقا فاذا تلفظت الالسنه بها يكون قولا فالقول هو الكلام التام
الظاهر المفيد المنقول الى اسماع المستمعين بالهوا بان يحمل الهواء ذلك الصوت
الحامل لتلك الكلمات ولو كانت صور الاقاويل باقيه في الهواء لحيث

ليستفيد بها الناس لما احتاج الانسان الى الكتابه وتقييد الاقوال في الصحائف
والدفاتر لكن لما كان الهوا لطيفا والاصوات منقطعه والاقاويل في
الهوي غير ثابته ولا دايمه احتالت النفوس الانسانيه باسباب شتى
طلب لبقاء المعقولات وسنبين هذا في موضعه فاذًا القول هو الكلام التام
الجاري على الالسنه ولا يقال للكلام قولا ما لم يظهر بحيث يحيط به اذان
المستمعين لان المعني المفهوم المركوز في الاصل يسمى نطقا والنطق المنظوم
التام بالفعل يسمى كلاما ويصح النطق والكلام بغير واسطه ومستمع لانهما
بذات متعلقان بذلك المتكلم تعلق الصفه والصوره والقول لا يصح الا مع المستمع
المخاطب من خارج فالناطق بنفسه ناطق وان هو ساكت بلسانه والمتكلم
بصفته متكلم وان هو فاتر عن بيانه واما القايل فلا يبين معاني سرّه
ولا يعبر عن مفهومات علمه الا بعد تعين مخاطب وتمكن مستمع والله تعالى
متكلم ازلا وابدا بلا انقطاع ولا استغراق ولا اشتغال بالماضي من الزمان
والمستقبل منه لانه متكلم بالصفه غير ناطق بالقوه فاذا اظهر كلامه على
بعض عباده يكون قايلا بسببه الاظهار وبسبب الاعتبار واذا اعرض
عن المستمعين والمخاطبين يكون اعراض جلال وكمال لا اعراض ملال وزوال
فيكون متكلما بذاته ازلا وابدا اولا واخرا ظاهرا وباطنا واعلم ان قول
الانسان لا يقاس على الله سبحانه لان قول الله تعالى الطف من ان يندرج
قوله

[illegible]

المزمن ورتب
... بعيهم الله

تحت الصوت او يقبل مده الزمان ويرتب الرفعات بل هو ظاهر بالايجاد والابداع
لا بالمجاد ومنظوم بنفس المبدعات والصور لا بالاصوات ومخارج الحروف
فان الله تعالى فوق الزمان بل هو فوق الدهر الذي هو عنصر الزمان و
لا يقبل التغير والحدثان والانقلاب كالدوران ولا يكون قوله كلمه بعد
كلمه او عباره بعد عباره لان البعديه والقبليه في زمان من الازمنه وجناب
القديم بمعزل عن القبليه والبعديه الزمانيه فالكثافه عن قوله منفيه
واللطافه الاصليه من قوله كليه اخريه واما قول الانسان لطيف
بوجه كثيف بوجه اما اللطافه فمن قبل المعاني الروحانيه ومن جهه
المحاكيه في الهوي واندراس اثاره بعد سكون القايل وسكونه واما الكثافه
فمن قبل اشرافه ومراتبه والاته ومخارجه وعدده فقول الانسان اذا
ظهر على لسانه يكون كثيفا بالاضافه الى قوله الروحاني قبل بيانه
وقول الله تعالى لا يشابه قولنا باستدعاء الاله واحتياج المده ولكنه
مفيد لذوي الالات واصحاب الحاجات بما قاويله للاشياء هي اصول
الكاينات كما قال عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

الفصل الثاني في غرض القول وحقيقته

اعلم ان جوهر
الانسان بالحقيقه هو النفس الناطقه العاقله المدركه العالمه وان
جميع صور المعقولات فيها بالقوه فاذا تعلمت في استفادات ممن هو
المعلومات

البعديه
في زمنه الزمانيه
اشرافه
الالهيه

اكمل واعقل واعلم ظهرت تلك الصور التي بالقوه فتصير مخلا الفعل وتستغني
عن مطالعه المحسوسات والتلذذ بلذه الجسمانيات وهذه النفوس
الناطقه كانت صافيه لطيفه مشرقه لا يمنعها شي من الحجب والموانع لكنها
لما اتصلت بهذه الاشخاص الترابيه وتسربلت بسربال الجسدانيه الترابيه
وانحصرت في حيز البشريه احتجبت بحجب الحواس واستترت باستار
غلاظ كثاف وامتنعت عن افاضه المعاني واستفاضتها بمجرد الصفا
واللطافه المعراه عن المواد والالات فانها كامله بذاتها وفيها
المعاني المعقوله بحيث لا تحتاج الى شي من خارج غيرها ان نفس المستفيد
اذا اراد ان يتعلم شيا فشيا من نفس المفيد وهما في حصار البدن
ولا يتمكن من التعلم الا بعد استماع من خارج فهيئا السمع للنداء
والاستماع لا يكون الا بعد بيان وعباره فهيئا اللسان والحناجر
للبدن حتى يعبر العالم المفيد بلسانه عن المعاني المذكوره في نفسه
ويبلغها ببيانه الى المستفيد المستمع باذانه فاحتالت الحكمه الالاهيه
في تهيئه اسبابها وتمهيد قواعدها وتسويه الاتها لكيلا ينقطع سواد
العلوم عن اصول النفوس والنفس اذا عبرت عن مفهوم الكلام عباره
تظهر فايده المعنى بها تسمى قولا وان كان لا يعرفها في الحال بعض المستمعين
لافه او قصورا وتقصير فاذا افاضه النفس لا يكون الا باحد طريقين اما

بالقول او بالكتابه فالقول لطيف روحاني عبارته ممزوج بشي كثيف جسماني
وهو الصوت والهوا ومخارج الحروف واشكال الحروف فان الصوت
واشكال الحروف كثيفه بالاضافه الى المعنى المحض الروحاني لكنها لطيفه
بالاضافه الى الكتابه فان المكتوب اثار ونقوش في الدفاتر واما القول
فهو اثار مسموعه باقيه في النفس دون فوايدها فالقول اذا صدر عن
لسان المتكلم وانتظمت عبارته بحمله الهوا بواسطه الصوت في اصداف
الحروف وما حدثه عن المخارج والحناجر والحنك التي هي الات الكلام
كالمزامير التي هي الات الصوت ويبلغ المعاني الملبوسه المركبه المرتبه
الى اذان المستمعين فالنفوس تبقى في الخيال والاصوات مع اشكال الحروف
تقع في الاذان وعللها ونظمها تصل الى الفكر وصورها تصل الى الحافظه
ومعانيها المعراه المبراه عن المواد والعناصر متصله بالنفس العاقله
الناطقه ونصيب بنيتها وحليتها واله كمالها وهيئه صورتها وسبب
سعادتها وتميز كمالها عن غيرها وهذا حقيقه قول الادميين ومسرتها
فصل واما قول الله عز وجل فليس الا افاضه المعاني على العقول
بحسب قوتها وعلى قدر طاقتها من غير بخل ولا منع ولا ميل تعالى الله عما
يقول المشركون والظالمون علوا كبيرا لان الله سبحانه ليس بجسم مركب
ولا جوهر منفرد حتى يكون بعض كلامه بالفكر وبعضه بالقوه وبعضه

بالفعل فانه واحد كامل قادر قيوم لا يحتاج الى التفكر ولا الى استخراج
المعنى من القوه الى الفعل فيكون علمه سبحانه كلاما وافاضته قولا
وحدود الناس ومراتب الخلق مقادير قوله فواحد يسمع بصفاء نفسه
وقوه عقله صريح القول فيكون صاحب وحي ورساله واخر يسمع بصفاء
بقوه فكره وغلبه وهمه فيكون صاحب الهام وحديث وعلى هذه المراتب
فبعضهم لا يسمع من قول الله تعالى الا حروفا وبعضهم يسمع كتابا منزلا
مجملا مثل التوراه والانجيل والفرقان ويعلم انها كلام الله سبحانه وقوله
ونطقه وفيضه ونوره وجوده وعزته وقدرته ويعلم انه لا نظير له ولا
وزير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وتحت كل كلمه من بيان قول
الله جل ثناوه اسرار كثيره لا يحتمل شرحها في هذا الكتاب فعليك ان
تصفي نفسك من كدورات الطبيعه وتنبيهها من رقاد الغفله بتاديب
الشريعه حتى تسمع قولا بغير صوت وتنال حيوه بغير موت ولذه بغير
فوت قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

الباب الرابع في الكتابه وفيه فصلان

الفصل الاول في كتابه المخلوقات اعلم ان الله جلت قدرته لما خلق
الانسان وشرفه وفضله على سائر المخلوقات جعل نوع الانسان متعلقا
بعضه ببعض متمسكا محافظا بحيث لا تتم معايشهم الا بالمعاونه

والمساعده والمعاضده والى هذا اشار الرسول عليه السلام بقوله
الناس كاسنان المشط وبقوله المومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا
الى يوم القيمه فقوام الدنيا وبقاء العالم لمحافظه الناس واشتغالهم
بكفايه مهمات النوع لمونه المعاش ورعايه المصالح وعماره العالم وهذا
لا يكون الا بفنون الحرف واصناف الصنايع ولو اراد واحد من الادميين
ان يقوم بجميع الصنايع لم يتمكن ولا بد من معاون ومعاضد وربما تستدعي
صنعه واحده جماعه من الناس حتى تتم الصنعه ويحصل الغرض والصنايع
منقسمه الى علميه وعمليه والعمليه تتم بالات خارجه وادوات زايده
وعدد كثيره ولا بد لكل صانع في صنعته من سبعه اشياء الحركه والزمان
والمكان والمواد والاداه والصحه والعضو الفاعل الذي هو الاله ولو
انتقص واحد من هذه السبعه تتعطل الصنعه وتبطل الفايده واما
الصنايع العلميه فهي معرفه الاشياء وتصور حقايقها وادراك صورها
على ما هي عليه وهذا التصور لا يحصل الا بالتعليم والتعلم هو طلب كمال
النفس وتحليتها بالصور العقليه وتزكيتها عن رذايل الجسمانيه وطريق
التعلم والتعليم والافاده والاستفاده القول والاستماع والقول من
الالسنه يصدر والاستماع بالاذان يصح ولكن الحكما قالوا ان القول
كتابه لطيفه والكتابه قول كثيف فاذا انتقل القول من اللسان الى القلم

يتوب البصر عن السمع والبصر للمكتوب كالسمع للمقول والقلم للكاتب كاللسان
للخطاب واعلم ان الهوى اذا لطف غاية اللطافة يكون نارا والنار اذا
استحالت الى الكثافة تصير هوآء والهوى لطيف لكن بالاضافة الى الماء اما
بالاضافة للنار فهو كثيف والكتابة ايضا لطيفة بالاضافة الى الاشكال
كثيفة بنسبة الاقوال ولولا ان الكتابة جارية بين الناس لما تعررت المعاني
ولما استكملت النفوس لان جميع المعاني المطلوبة ربما لا يستوعب بلفظ
جميع الالسنة بمسامع جميع الطالبين فيبطل التعلم ويضيع المتعلم
فالله سبحانه بجزيل لطفه ولطيف حكمته الهم بعض عبيده حتى استخرجوا
بصفاء اذهانهم من ارحام افكارهم ومعادن افيدتهم هذه الفايدة العامة
ودبروا لبقاء العلوم تدبيرا حسنا واتخذوا من الاقلام نوابا للالسنة
وجعلوا المكتوب للمقول كالاجساد للارواح وكالاصداف للدرر
وحصنوا العلوم الروحانية في حصون الاشكال وقيدوها في بطون الدفاتر
وظهور المصاحف لتكون ذخيرة للاخلاف عن الاسلاف وينتقل العلم
من قرن الى قرن ومن قوم الى قوم ومن اهل الى اهل الى ان يقضي الله امرا
هو فاعله ومريده والله سبحانه من على نبيه بعلم القلم فقال عز وجل
اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ومن شرف
الكتابة ان الله تعالى اقسم بالاتها فقال نون والقلم وما يسطرون

حـ التعلم

بخفي

نعمة من نعم الله تعالى وامارة بينة حسنة عند ذوي الالباب لانها تحفظ
ما يتولد عن افهام العقلا وتقيد ما تصطاده اذهان الحكما فاثار الكتابة
تدل على المقولة والملفوظة المعبر عنها وتلك المقولات تدل على المعاني
الروحانية المعقولة المكنونة في الحروف اللفظية التي هي ورآء الاشكال
والنقوش والامثلة وتلك المعاني تدل على المواهب الله سبحانه ونعمه التي
تكمل نفوس العباد وتسعدها في نعيم المعاد فان الله جامع الناس ليوم لا ريب
فيه ان الله لا يخلف الميعاد ن فصل في الكتابة المنسوبة الى
الله تعالى واحوال الكتبة اعلم ان الله عز وجل كتب كتابا قبل ان يخلق السموات
والارض وهو عنده ان رحمتي وسعت (سبقت) غضبي هكذا اخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان كتابة الله ليست بالقلم الجسماني ولا على اللوح البدني
بل الكتبة ثلث مراتب اولها الابداع فان الله سبحانه ابدع السموات
دفعة واحدة بالفطرة الاصلية لا بجمع المواد وتركيبها بالدفعات وترتيبها
وتنميتها بالمطعومات بل ابدعها دفعة واحدة بلا مدة ولا مهلة كما قال
جل ثناوه بديع السموات والارض فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
فقوله ايجاده وابداعه وكتبته قوله فاذا صدر الابداع عن امره يكون
قولا فاذا وصل الى المحل وظهر المبدع يكون كتابة وحروف المكتوب
اشخاص الاملاك وكلمات المكتوب اجسام الافلاك فالعالم اذا كتابة

حـ بالمطعومات

حـ الافلاك

(حـ اخبار)

في الكتابة

من الله جل ثناؤه منالا

امر الله تعالى لا حقيقة قول الله لان قوله اظهار كلامه وكلامه صفة ذاته
وصفاته قديمة وكلامه قديم وقوله قديم والعالم ليس بقديم فهو محدث
والكتابة اثر ظهر عن القول القديم وهي حادثة والعالم مع ما انه مكتوب
بخط صنع الاله عز بديع قدرته حادث مبدع محدود متناه فاذا اول
مرتبة من مراتب كتابة الله تعالى الابداع والمرتبة الثانية القا لطائف
الحكمة ومعاني الكلمة في قلوب الانبياء بالوحي وفي قلوب الاولياء بالالهام
وذلك بالتفهيم والتعليم وفي قلوب المومنين بالنور والشرح والتوفيق
والهداية والتاييد وقد اخبر عن هذه الحالات في القران بالايات
وفي الاخبار بالاشارات كما ورد في الاخبار ان الله تعالى كتب التوراة لموسى
بخطه وقال في القران اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال كتب الله لاغلبن
انا ورسلي وامثال هذه وقال عز وجل الرحمن علم القران خلق الانسان
علمه البيان فالانسان يمكن ان يكون نوع الادميين فان الله جل ثناؤه
علمهم العلم وعلمهم البيان باللسان وبالقلم ويمكن ان يكون الانسان يخص
محمد عليه الصلاة والسلام فان الله تبارك وتعالى علمه القران وكتب
معانيه في قلبه ثم اوحي اليه بواسطة جبريل وامره بالبيان عن المسموع
المعلوم بلسانه مع امته واصحابه كما قال سبحانه وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين

حـ الله

فالوحي بمنزلة اللوح والقران فيه بمنزلة المكتوب والنبي عليه الصلاة والسلام
طالع لوح الوحي وقارئ المكتوب المنظوم ومبلغه الى امته والله تعالى
امره بالقراءة والقراءة تكون بعد كتابة فقال تعالى اقرا باسم ربك الذي
خلق خلق الانسان والمرتبة الثالثة مغفرة ذنوب المومنين واظهار
الرحمة على المسلمين قال الله سبحانه اوجب على جوده بكمال كرمه
وعنايته ان يرحم المومنين (وقوله) بمنزلة الكتاب والسجل فان الانسان
اذا ادعى على احد دينا بين يدي مثله لا يسمع مجرد دعواه واذا كان معه سجل
محكوم عن قاض من قضاة المسلمين تصح دعواه ويحصل ماله بسبب ذلك
المكتوب كذلك الله تعالى وعد المومنين برحمته ولم يكتب بوعوده فاخبر
عن السجل فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة لتطمين قلوب المومنين
باستماع المكتوب ثم اظهر كتابته في درج محسوس ودفتر مجسم ملموس
تصحيحا لظنون المومنين وذلك الدفتر والدرج هو شخص محمد صلى الله
عليه وسلم فقال عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن قبل شرعه
وتبع دينه واطاع امره فهو في الدنيا مرحوم وفي الاخرة مشغول بنعم
مكرم ابد الابدين برحمة رب العالمين وما كان محمد بذاته رحمة بل كان
بنبوته (وعلومه) وشريعته رحمة ونبوته ما كانت مخصصة بل كانت شاملة لجميع
الانبياء صلوات الله عليهم كما قال سبحانه لا نفرق بين احد من رسله

لان الله تعالى

حـ بن علي

حـ مسعود

وهو خاتم النبيين وافضلهم والله تعالى اعطى لكل نبي من كلامه كتابا
ومن قوله خطابا فالله كتب غير معقوله ومكتوبها قديم غير منحوله
والقران اكملها واشرفها ومحمد مبلغها وحبيبها ومعيارها ومنزلها
كما قال جل ثناوه الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال صلى الله عليه
وسلم انا ميزان العلم وعلي لسانه واعلم ان كتابه الله سبحانه هي
الابداع والقا الوحي والالهام للمومنين وبعث محمد صلى الله عليه وسلم
وحفظ شرعه الي يوم الدين لا مغير لشرعه ولا مبدل الحكمه ولا عامله في
قوله ولا الهي في كتابته فالمومنين كل امن بالله وملايكته وكتبه
ورسله والكافرون هم الظالمون انفسهم المحرومون في الدنيا من مطالعه
كتابه الله وفهم اياته الظاهره في الواح الافاق ودفاتر الانفس
كما امر سبحانه بقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وقال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون وقال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم فالمنافقون محرومون في الدنيا عن ملاحظه كمال ايات الله
وكتبه المسطوره بالعلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته
ولا انفصاله بمحل الخط وفي الاخره من كلام الله واقاويله ولذيذ (واقواله)
خطابه الكريم سلام قولا من رب رحيم فالمومن يعرف ربه بكتابته
والعارف يعرفه بكلامه والكافر موقوف على حرف ولا معنى للحرف

قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف

الباب الخامس في الغرض المطلوب وفيه خمسة فصول

الفصل الاول اعلم ان اكثر الناس اختلفوا في الحروف فقال بعضهم انها
قديمه لان الحروف واقعه في كتب الله المنزله ولابد في الكلام منها والله
تعالى تكلم بالحروف وكلامه قديم ولا شك ان الحروف قديمه فاذا كانت
الحروف قديمه فسوا تقع في كلام الله تعالى او في كلام الادميين فحكمها في
جميع المقولات حكم واحد وقالوا انها لا تندرج تحت الخلق والابداع بل
انها من قبيل الكلام المنسوب الي الباري تعالى وهو قادر ان يتكلم بالصفه
ويقول هذه الحروف من غير ان يحتاج الى الالات والمخارج فان الانسان
يحتاج الي الالات لانه مركب من جسم جسماني كثيف وروح نفساني لطيف
وروح الانسان مشتوق لشخص المظلم فيحتاج في تصرفاته الى الالات التي
توافق الشخص لينال الي حقايق الاشيا وصورها بواسطه تلك الالات الجسميه
كما ان الانسان يحتاج في ادراك صور المحسوسات الي حاسه البصر وحاسه
البصر تستدعي الحدقه والعين وجرم العين مركب من سبع طبقات
وثلاث رطوبات وهي الطبقه العنكبوتيه والقرنيه والعينيه والمشيميه
والصلبه والشبكيه والملتحمه والرطوبه البيضيه والزجاجيه والجليديه
وكذلك يحتاج في الاسماع بحاسه السمع الي الاذن والاذن مولفه من
الاسماع

عضاريف وعصب مجوف وكذلك القول يحتاج الى اله الحنك واللسان
والشفتين والاسنان وهي مولفه من اعصاب وغضاريف وعضلات
ولا شك ان الله تعالى يري جميع الموجودات بلا اله ولا حدقه ونحن نراها
باله وكذلك يسمع جميع الاصوات والكلمات من غير اذن مجوف
ونحن نسمع بالاذان وهو ايضا سبحانه قادر علي ان يتكلم بجميع الكلمات
من غير اله وحنك ولسان ونحن نتكلم بالالات والمخارج فهذا قول
جماعه من عقلا الحنابله وقال قوم اخرين ان الحروف محدثه لانها قطع
الاصوات وتشكلها بانواع الاشكال المختلفه ويظهر اختلافها عند المخارج
وهي اصداف المعاني والمعاني المعراه عن الحروف كامله بذواتها منقوشه معراة
في النفوس الانسانيه ولا يحتاج تلك المعاني الي الحروف ما دامت مستقره
في اصل النفس فاذا جاء وقت اظهارها بسبب افاده المستمعين تستدعي
الحروف لترتيب الكلمات ونظم الاقوال وكلام الله تعالى صفه ذاتيه لا تركيب
عباره ولا تاليف حروف فانها تقع تحت الزمان وتظهر بدفعات المده
والله تعالى منزه عن عوارض الزمان والتكلم بالحنك واللسان فكلامه
صفه ذاته والصفه لا تفارق الموصوف بوجه من الوجوه ولا في وقت
من الاوقات واذا اراد ان يتكلم بوحي معاني كلامه الي انبيايه ورسله
عليهم السلام ويلقي في قلوبهم نور الوحي بواسطه روح القدس حتى

يعبر الشارع عن كلام الله تعالى بلسانه ويتكلم عنه ببيانه كما قال سبحانه وقال تعالى نزل
نزله روح القدس علي قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين والحروف به الروح الامين
تقع في كلام الله تعالى عند عباره النبي عليه السلام فتكون الحروف منه
اله محدثه والكلام صفه قديمه واذا زالت المحدثه لا تزول الصفه القديمه لانها صفه الله تعالى
بزوالها وهذا كلام جماعه من الشفعويه وهم الاشاعره وقال قوم
اخرون من اهل السلامه ان الحروف اذا وقعت في القران تكون قديمه
لحرمه كلام الله تعالى واذا وقعت في كلام الادميين تكون محدثه وهذا
كلام ضعيف [سخيف] حقير لا اصل له لان الشي الواحد اما ان يكون قديما واما ان
يكون محدثا ومن اعتقد ان الحروف تاره قديمه وتاره محدثه فقد اختل
عقله وظهر جهله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فهذا كلام الفريقين
اللذين هما معظم اهل الاسلام الفصل الثاني في اعلم ان الله جل ثناوه
خلق جسم الانسان من جمله تراب وجه الارض من الطيب والخبيث
والصلب والرخو والاحمر والاسود والابيض واتفق لكل شخص تركيبا
معينا وتاليفا خاصا تولد من ذلك التركيب والتاليف مزاج مخصوص
به متصرف فيه علي [حد] حال طبيعته ومقدار طاقته وقوته وليس هذا الامر
مختص بالانسان بل يشمل على جميع المخلوقات من الحيوانات والنباتات
والجمادات ثم كل شخص يقبل النفس علي قدر مزاجه واستعداده فكلما

تقرب المزاج الى الاعتدال يكون الاستعداد اكثر وكلما زاد الاستعداد
تكون النفس اقوى ومن قوة النفس يكون قوة العقل ومن قوة العقل
يتولد حسن التدبير ومن حسن التدبير يكون نظام العالم فالمادة التي قبلت
الفيض بقيد ما نقصت عن قوتها شيا ولا زادت عليها اذ لا بخل من واهب الصور
ولا منع منه ولا ميل فبمقدار قبول المواد تهيئة الصور وذلك بتقديره
وعنايته ولما اتفق ان مزاج الانسان كان اقرب الى الاعتدال من ساير
الامزجة كانت صورته احسن من جميع الصور وظهرت قوى النفس في
اشخاص الناس اكمل واقوى مما في غيرها ثم جميع الناس ايضا لم يتفقوا في
مرتبة واحدة بل لكل واحد مزاج وبنية وهذه المعاني توجد في حواس
الناس فواحد يكون بصره احد ولفظه ابين وسمعه اقوى حتى يرى
ويسمع ويتكلم ضعف ما يرى ويسمع غيره من نوعه وربما يكون شخص
واحد يسمع ويتفكر ويقول ويعمل بيده عملا ويمشي كل ذلك في حالة واحدة
معا بحيث لا يغلط ولا يشغله ويمنعه شي عن شي واخر ضعيف الحال
سمعه يمنعه عن البصر وفكره يمنعه عن القول واذا وجدنا هذا التفاوت
بين ادراك الظواهر فلا نشك ان التفاوت في الخواطر والافهام
والصفات اكثر لانها ادق واصعب واذا كان التفاوت لازما بين
بصاير الناس وافكارهم واذهانهم فربما يكون بصيرة واحد من الناس اقوى

مثلا
من بصيرة غيره حتى ان واحدا يتصور الف مسئلة في اقل مدة من الزمان
بقوة حدسه وصفاء فكره واخر يتعب نفسه جميع عمره في تحصيل علم
ظاهر او تصور مسئلة ضعيفة ولا يقدر على ذلك وجميع اختلاف
الناس في امر الدين متولد من هذه الاحوال وبهذه الاسباب المذكورة
وهذه مسئلة صعبة مشكلة تستدعي شرحا طويلا لا يحتمله هذا الكتاب
وقد شرحنا في مواضع اخر فاذا عرفت هذا فاعلم ان النفوس النواطق
متفاوتة والبصاير مختلفة والقوى بحسب النفوس والصور بحسب
البصاير ومن رضي بالجهل فقد حرم مرتبة الانسانية وشبيه شيطانا
بالفعل فان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون الذين ختم
الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واختلاف الناس في كلام الله واحوال
الحروف دليل على تفاوت امزجتهم وتفاوت بصايرهم وضعف رويتهم
في العلوم الحقيقية وكثرة انهماكهم في البحار الشهوانية واستغراقهم في
كدورات الاوهام الظنية وتلبيسات القوة الخيالية فواحد يرضى
عن نفسه ان يتصور قدم الحروف واخر يقنع بان يثبت حدوث الحروف
من غير كشف وبيان عن حقايقها وماهياتها واخر يتصور انها تارة قديمة
وتارة محدثة ولا ينفك ان حكم الحروف وكلام الله تعالى قد ظهر عند
النفوس وفرغت العقول عنها وعن كيفيتها ولكن وقع الامر بين متوقف

حتي وبين متكلم ظني وحقيقه الامور ورا الحواس والظنون ولكن الغالب
علي بعض الناس لكه المحسوسات وعلي بعضهم قوه المظنونات وعلي بعضهم
اعراض الجدل فاعرضوا عن بيان العقل وتصامموا عن استماع الكلام
بالعقل فهلكوا بمقارنه الشياطين كما قال تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشه ضنكا وقال سبحانه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين فصل اعلم ان مرادنا من شرح القول
والنطق والكلام تنبيه الغافلين والمرتابين في كلام الله تعالى وكتابه الذي
لا ريب فيه وتخويف الظانين بالله ظن السوء وغرضنا في بيان تفاوت
الامزجه الترقي الى هذه الدرجه بتقرير القول في اشكال الحروف وحقايقها
وعذر الشاكين في كيفيتها فان كل انسان يتصور على حد عقله وفهمه
مدركه تصوره ويعبر عنه بمقدار فهمه ولا شك ان الحروف اشكال
ونقوش وامثله وحقايق روحانيات فاما شكل الحروف فيوجد بحاسه
البصر اذا نقش على الالواح ويدرك بحاسه السمع اذا قيل بالالسنه
واما مثال الحروف فهو ما يخرج من المخارج وينتقل من الفكر الى القول
واما حقيقه الحرف فصورته المجرده المذكوره في ذهن الانسان
وحفظه وتلك الصوره لطيفه معراه عن الشكل الحسي والنقش الجسمي
فالالف لطيف بصورته في حفظ الانسان كثيف بعد قبول الشكل والنقش

113

وذلك ان الالف صوره لطيفه روحانيه في غايه الرقه والطول الذي
لا عرض له بحيث يتخرج عنه شكل ويسمى حينيذ خطا وهو منبع الحروف
كالواحد في علم الحساب اصل الاعداد والخط في علم الهندسه اصل
الاشكال واما الالف المحسوس المنقوش المرقوم وهي حكايه تلك الصوره
اللطيفه الروحانيه ولا يكون هذا ذلك لان هذا الشكل والنقش لو
يمحى او يحرق او يغسل لا تبطل تلك الصوره التي في الارواح فعلم بان
بهذا ان حقيقه الحرف هي الصوره اللطيفه التي لا تنقش الا على الواح
الارواح ودفاتر القلوب وخزانتها الحافظه التي في موخر الدماغ والقوه
الذاكره تتصرف فيها فتعين لكل حرف صوره تخصه بلا اقتراح ولا غلط
ولا وقوع افه والحروف في حال التفكر لطيفه وفي حال الذكر لطيفه
بوجه كثيفه بوجه فاذا كتبت ورقمت تكون في الدفاتر كثيفه بكل
وجه والشي الكثيف مركب يقبل التحلل والفساد والقابل للكون والفساد
متغير يضمحل غير قايم بذاته واما الشي اللطيف بالحقيقه فهو فرد
غير مستحيل ولا مركب من مواد مختلفه بل هو جار في اصول النفوس
وجواهر القلوب دهرا بعد دهر وقرنا بعد قرن فالحروف الحقيقيه
هي صور لطيفه روحانيات جاريات في افكار ذوي العقول وقلوب
ذوي الابصار بالانتقال الا فضلا الا بالفساد الاخس وقل ما يدرك

هذه الرموز التي هي كنوز الحقايق الفصل الرابع اعلم ان القدم علي وجوه
قدم بالزمان وقدم بالشرف وقدم بالمرتبه وقدم بالمكان وقدم بالذات
فالقديم الحقيقي الذي لا بدايه لوجوده ولا نهايه لبقايه هو الواحد
الاحد الفرد الصمد ٥ واما القديم بالمرتبه فهو جوهر العقل الكلي
الذي هو اول الموجودات وهو قلم كلمات الباري تعالي وهو قديم بمرتبه
ذاته ومحدث بنسبته الي خالقه واما القديم بالشرف فهو قدم الانسان
علي النبات والحيوان لانه اقدم بشرف النطق واما القديم بالمكان
فمثل مصر وبيت المقدس فانهما اقدم في موضعهما من ساير الامكنه واما
القديم بالزمان فالافلاك فانها اقدم من الارض وما عليها لان الزمان
عدد حركات الفلك بعد الحصر والدهر حركات الفلك قبل العدد
والحساب ولهذا قيل ان الدهر اصل الزمان لان الزمان ممتد مع السفليات
والدهر ممتد مع العلويات وكلام الباري تعالي صفه ذاته وذاته قدم
بالحقيقه وبعض صفاته تنزل ذاته في مرتبه القدم واما القدم بالشرف
والمرتبه والزمان فالنبوه الجاريه في اشخاص الانبياء عليهم السلام
كجريان الشمس في بروج الفلك فالنبي اقدم بالشرف والمرتبه من ساير
الناس وهو متكلم بوحي الله تعالي وتاييد روح القدس وانه ما ينطق
عن الهوي ان هو الا وحي يوحي علمه شديد القوي واذا كان ذات

النبي قديم بالمرتبه والشرف فهو خير من الامه واقدم في علم الله
تعالي من غيره فكلامه وقوله ايضا اقدم بالشرف من ساير اقاويل
الناس فالحروف الواقعه في القران اذا لم تنسب الي الله تعالي تنزيها
له فلا شك انها متولده من نفس الشارع عليه السلام وجاريه علي
لفظه المطهر المشرف وجميع حركاته وسكناته منوره بنور الحي القيوم
القديم فاذا عبارات الشارع قديمه بالاضافه الي قول الناس ومحدثه
بالنسبه الي كلام الله تعالي ولهذا المعني قال تعالي ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان بالاضافه الي ذاته وهو عليه السلام قال مع اصحابه انا اعلمكم
بالله وافصحكم واعقلكم فاذا حروف القران قديمه بالمرتبه لانها واقعه
في كتاب الله تعالي الكلمات الربانيه جاريه فيها فمن شرط التعظيم
والاجلال تقديم حروف القران علي ساير كلام الادميين فالحروف اذا
تركبت وانتظمت وكتبت في المصاحف فحكمها حكم القران في الشرف
والرتبه ولتشرف بنور كلام الله القديم عليها حتي لا يمسه الا المطهرون
وتعالي انه تنزيل من رب العالمين ٥ حكي عن بشر الحافي رحمه الله
انه وجد في الطريق كاغدا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه
وطيبه وحفظه مع نفسه فراي الله تعالي في المنام فقال له رفعت
اسمنا فرفعناك وعظمته فعظمناك وظهر عليه الخير والطريقه الحسنه

سبتها الي

واحكام

ما هو مشهور بين المسلمين في الفصل الخامس لما راينا اختلاف
الناس في حروف كتاب الله تعالى فاردنا تحرير هذه الفصول على جميع
الاصول وذكرنا فيها من كل فن شيئا مختصرا كشبه المقدمة طلبا
لحصول النتيجة وما ذكرنا شرح مخارج الحروف وكيفية حدوثها عن الهوا
في المخارج احترازا من تطويل الكلام وقد يوجد مفروغا في كتب المحققين
وهذا القدر الذي ذكرنا في هذه الاوراق تحته اسرار غير مكتوبة واشارات
مكنونة ورموز مستورة عبرنا عن كل سورة باية واغترفنا من كل بحر
قطرة والعاقل الحر تكفيه الاشارة فكم من عاقل كبير ينال الخير من
العلم القليل ما لا يرى الجاهل البليد في جميع العلوم عشر عشره وذلك
فضل الله يوتيه من يشاء فعليك ايها الطالب الحريص ان تتامل
هذا الكتاب تامل طالب متفكر لا تامل حسود متعنت متكبر
حتى ترى العجايب وتنجوا من الشوايب فلا يحل ان يضع الورد بين الحمير
او تضع الدرر في عنق الخنزير واعلم اني ما كتبت هذا مفيدا واهبا بل كتبته
مستفيدا طالبا وغرضي من هذا عرض هذا الحال على ذوي الابصار
والاسرار فالاسرار واجب صونها من الاغيار اعيذك بالله واوصيك
في الله وامرك بتقوى الله فاعرف والزم وانعم واكرم واحسن فان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ونختم هذه الرسالة بهذه الوصية والحمد لله رب العالمين
وصلواته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين واله وصحبه الطيبين
الطاهرين صلاة دايمة الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا وحسبنا
الله ونعم الوكيل

رسالة العلم اللدني للامام
ابي حامد الغزالي رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوته على سيدنا محمد وآله
العلم هو تصور النفس الناطقه حقايق الاشيا باعيانها
وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها مفردة ومركبة
والعالم هو المدرك المتصور والمعلوم هو الشي الذي
ينتقش علمه في النفس وشرف العلم والعالم على قدر شرف
المعلوم فاجل العلوم واكملها العلم بالله وتوحيده وقد وجب
تحصيله على كل عاقل لقوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم
فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين
فامر بالسفر في طلبه وعالم هذا العلم افضل العلما لما خص
به من المرتبة لقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكه
واولوا العلم فعلما علم التوحيد هم الانبيا وبعدهم العلما
الذين هم ورثة الانبيا وهذا العلم لا يحصل الا بمقدمات
كثيره وتلك المقدمات لا تنتظم الا عن علوم شتى مثل علم
السموات والارض والافلاك وعلم جميع المصنوعات ثم يتولد
عن علم التوحيد علوم هي لوازمه فالعلم شريف لذاته
والجهل من لوازم الظلمه والظلمه في حيز السكون والسكون
قريب من العدم فالجهل حكمه حكم العدم والعلم حكمه حكم

الوجود والهداية والخير والحق والنور كلها في سلك الوجود
قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
فالجهل من لوازم الجسم لانه ليس بمحل للعلوم والعلم من صفات
النفس لانها قابلة لجميع العلوم من غير ممانعه ولا مزاحمة
شرح هذه النفس على سبيل الاختصار اعلم ان الله
تعالى خلق الانسان من شيين مختلفين احدهما الجسم الكثيف
المركب الترابي المربا بالغذا واجرا الدما والاخر هو الجوهر
الفرد الحي المميز المدرك المتمم للالات والاجسام الذي هو
من امره الواحد الكامل المفيد الذي من شانه الذكر والفكر
والقبول لجميع العلوم والصور المجرده عن المواد ولا اعني
بالنفس القوه الطالبة للغذا المحركه للشهوة والغضب ولا
الساكنه في القلب والكبد المولده للحياه والمنفذه للحس والحركة
من القلب الى جميع الاعضا فان هذه القوه تسمى روحا حيوانيا
للحس والحركة والشهوة والغضب والهضم والدفع والنمو او
ساير القوى خدام الجسد والجسد خادم الروح الحيواني
والروح الحيواني هو مطية لهذا الجوهر الذي هو المسمى بالنفس
الناطقه عند الحكما وسمي في القران بالنفس المطمينه والروح

الامري والمتصوفة القلب والخلاف في الاسامي والمعني واحد
لكن المتصوفه يسمون الروح الحيواني نفسًا لقوله صلي الله
عليه وسلم اعدا عدو لك نفسك التي بين جنبيك اشارة
للقوة الشهوانية الغضبية والمتكلمون المعروفون بعلم
الجدل يعدون النفس جسما لطيفا بازا الجسم الكثيف وبعضهم
يعده عرضا وبعض الاطبا كذلك وبعضهم يري الدم روحًا
وكلهم قنعوا بقصور نظرهم علي تخيلهم ولم يطلبوا القسم الثالث
اعلم ان القسمة ثلاثة الجسم والعرض والجوهر الفرد فالروح
الحيواني جسم لطيف كانه سراج مشتعل موضوع في زجاجة
القلب المعلق في الصدر والحياة ضو السراج والدم دهنه
والحس والحركة نوره والشهوة حرارته والغضب دخانه
والقوة الطالبة للغذا الكاينة في الكبد خادمه وحارسه
ووكيله وهذا الروح مشترك فيه جميع الحيوانات وهو لا
يهتدي الي العلم ولا يعرف طريق المصنوع ولا حق الصانع
وانما هو خادم للبدن يموت بموته لو يزيد دهن الدم لانطفي
ذلك السراج بزيادة الحرارة ولو ينقص لانطفي بزيادة البرودة
وانطفاوه سبب موت البدن فليس خطاب الباري ولا تكاليفه

117 لهذا الروح لان البهايم وساير الحيوانات غير مكلفين باحكام
الشرع والانسان انما خوطب وكلف لمعني خاص به وهو النفس
الناطقة والروح المطمينة وهذا الروح ليس بجسم ولا عرض
لقوله تعالى قل الروح من امر ربي وامر الباري ليس بجسم ولا
عرض بل هو قوة الاهية مثل العقل الاول واللوح والقلم
وهي الجواهر المفردة المفارقة للمواد بل هي صور مجردة معقوله
غير محسوسة وقد صح في العلوم الحكمية بالبراهين القاطعة
والدلايل الواضحة ان الروح الناطق ليس بجسم ولا عرض
بل هو جوهر ثابت دايم غير فاسد فمن اراد الوقوف علي تلك
البراهين فليراجع الكتب اللايقة بالفن فاما في طريقنا فلا
نبالي بالبراهين بل نعول ونعتمد علي العيان وعلي روية الايمان
ولما اضاف الله تعالى الروح الي امره وتارة الي عزته فقال
فنفخنا فيه من روحنا ونفخت فيه من روحي وقال قل الروح
من امر ربي والله اجل من ان يضيف الي نفسه جسمًا او عرضًا
لخستهما وتغيرهما وفسادهما وقال صلي الله عليه وسلم
الارواح جنود مجندة وقال ارواح الشهدا في حواصل طير
خضر والعرض لا يبقى بعد فنا الجواهر لانه لا يقوم بذاته

والجسم يقبل التحليل كما قبل التركيب من المادة والصورة فصح
بهذه الاخبار والبراهين العقلية ان الروح جوهر فرد حي
بذاته يدبر البدن والروح الحيواني وجميع القوي البدنية
كلها من جنوده وهو يقبل صور المعلومات وحقايق الموجودات
من غير اشتغال باعيانها واشخاصها فان النفس قادرة علي ان
تعلم حقيقة الانسانية من غير ان يري انسانا كما انها علمت
الملايكة والشياطين وما احتاجت الي روية اشخاصها اذ لا
تنالها حواس اكثر الناس وقال عليه السلام ما من عبد
الا ولقلبه عينان يدرك بهما الغيب واذا اراد الله بعبد خيرا
فتح عيني قلبه ليري ما هو غايب عن بصره وهذه الروح لا
تموت بموت البدن لان الله يدعوه الي بابه فيقول ارجعي الي
ربك وانما تفارق وتعرض عن البدن لمن اعراضه تتعطل
القوي الحيوانية والطبيعية فيسكن المتحرك فيقال لذلك
السكون موت والروح بذاته غير متصل باجزاء البدن ولا
منفصل عنه بل هو مقبل علي البدن مفيد له مفيض عليه
واول ما يظهر نوره علي الدماغ لان الدماغ منوطه الخاص اتخذ
من مقدمه حارسا ومن وسطه وزيرا ومن اخره خزانة

وخازنا وحافظا ومن جميع الاعضا رجالا وركبانا ومن
الروح الحيواني خادما ومن الطبيعي وكيلا ومن البدن مركبا
ومن الدنيا ميدانا ومن الحياة بضاعة ومالا ومن الحركة
تجارة ومن العلم ربحا ومن الاخرة مقصدا ومرجعا ومن
الشرع طريقة ومنهاجا ومن النفس الامارة حارسا ونقيبا
ومن اللوامة منبها ورقيبا ومن الحواس جواسيسا واعوانا
ومن الدين درعا ومن العقل استاذا ومن الحس تلميذا ه
والرب من وراء ذلك كله بالمرصاد فالنفس بهذه الصفة
مع هذه الالة اقبلت علي هذا الشخص الكثيف وما اتصلت
بذاتها بل للافادة ووجهها الي باريها وامر باريها للاستفادة
الي اجل مسمي فالروح لا يشتغل بمدة السفر الا بطلب العلم
لان العلم يكون حليته في الدار الاخرة كما حلية الدنيا المال
والبنين وكما ان العين مشغولة برؤية المنظورات والسمع
مواضب علي استماع الاصوات واللسان مهيوا لتركيب الاقوال
والروح الحيواني مريد اللذات والروح الطبيعي يحب لذات الاكل
والشرب والروح المطمينة لا تريد الا العلم ولا ترضي الا به تعلم
وتتعلم طول عمره وتتحلي بالعلم جميع ايامه الي وقت مفارقته

ولو تقبل على امر اخر دون العلم فانما يقبل عليه لمصلحة البدن
فاذا علمت احوال الروح ودوام بقايه وعشقه للعلم وشغفه
به فيجب عليك ان تعلم اصناف العلوم فانها كثيرة ونحن نحصيها
بالاختصار فصل اعلم ان العلم على قسمين شرعي
وعقلي واكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها واكثر
العلوم العقلية شرعية عند عارفها ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور ٥ القسم الاول وهو العلم الشرعي
ينقسم الى نوعين احدهما في الاصول وهو علم التوحيد وهو
العلم بالنظر في ذات الله وصفاته القديمة وصفاته الفعلية
وصفاته الزايدة المتعددة الاسامي على الوجه المذكور وبالنظر
ايضا في احوال الانبيا والايمة من بعدهم والصحابة والنظر في
احوال الموت والحياة وفي احوال القيامة والبعث والحشر
والحساب ورويه الله تعالى واهل النظر في هذا يتمسكون
اولا بايات القران ثم باخبار الرسول عليه السلام ثم بالدلايل
العقلية والبراهين القياسية واخذوا مقدمات القياس
الجدلي والعنادي ولواحقها من اصحاب المنطق الفلسفي
ووضعوا اكثر الالفاظ في غير مواضعها ويدعون في عباراتهم

بلغ

الجوهر والعرض والدليل والنظر والاستدلال والحجة
ويختلف معنى كل لفظة من هذه الالفاظ عند كل قوم حتى
ان الحكما يعنون بالجوهر شيا والمتصوفة يعنون شيا اخر
والمتكلمون يعنون شيا اخر وعلى هذا المثال وليس المراد
في هذه الرسالة تحقيق معاني الالفاظ على حسب آرا القوم
ولا التوسع فيها وهولا القوم المخصوصون بالكلام في
الاصول وعلم التوحيد فان اسم الكلام يقع على علم التوحيد
وعلم اصول التفسير فان القران من اعظم الاشيا واثبتها
واجلها واعزها وفيه من المشكلات الكثيرة ما لا يحيط بها كل
عقل الا من اعطاه الله فهما في كتابه قال صلى الله عليه وسلم
ما من اية من ايات القران الا ولها ظهر وبطن ولبطنه بطن الى
سبعة ابطن وفي رواية الى تسعة ابطن وقال صلى الله عليه
وسلم لكل حرف من حروف القران حد ولكل حد مطلع والله تعالى
اخبر في القران عن جميع العلوم وجلي الموجودات وخفيها وصغيرها
وكبيرها ومحسوسها ومعقولها والى هذا اشار بقوله تعالى
ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب واذا كان امر القران اعظم الامور فاي

مفسر ادى حقه واي عالم خرج عن عهدته نعم كل واحد من
المفسرين شرع في شرحه بمقدار طاقته وخاض في بيانه
بحسب قوة عقله وقدر كنه علمه فكلهم قالوا بالحقيقة ما قالوا
وعلم القران يدل على علم الاصول والفروع والشرعي
والعقلي ويجب على المفسر ان ينظر في القران من وجه
اللغة ومن وجه الاستعارة ومن وجه تركيب اللفظ
ومن وجه مراتب النحو ومن وجه عادة العرب ومن وجه
امور الحكما ومن وجه كلام المتصوفه حتى تقرب تفسيره
الى التحقيق وان اقتصر على وجه واحد وقنع في البيان بمعنى
واحد لم يخرج عن عهدة البيان فيتوجه عليه حجة الايمان
واقامه البرهان ومن علم الاصول ايضا علم الاخبار فان
النبي صلى الله عليه وسلم افصح العرب والعجم وكان معلما
بوحي اليه من جهة الله تعالى وكان عقله محيطا بجميع المعلومات
وكل كلمة من كلماته بل كل لفظة من لفظاته يوجد تحتها بحار
الاسرار وكنوز الرموز فعلم اخباره واحاديثه امر عظيم
وخطب جليل لا يقدر احد ان يحيط بعلم الكلام النبوي الا ان
يهذب نفسه بمتابعته ويزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم شريعته

ومن

120

ومن اراد ان يتكلم في تفسير القران وتاويل الاخبار ويصيب في
كلامه فيجب عليه اولا تحصيل علم اللغة والتبحر في النحو والرسوخ
في ميدان الاعراب والتصرف في اصناف التصريف فان علم اللغة
سلم ومرقاة الى جميع العلوم ومن لا يعلم اللغة فلا سبيل له الى
تحصيل العلوم واول علم اللغة معرفة الادوات وهي بمنزلة
الكلمات المفردة وبعده معرفة الاسامي المفردة وبعده معرفة
الافعال مثل الثلاثي والرباعي والخماسي وغيرها ويجب على
اللغوي ان ينظر في اشعار العرب واولاها واتقنها اشعار
الجاهلية فان فيها تنقيحا للخواطر وتلويحا للنفس ومع الشعر
والادوات والاسامي يجب تحصيل علم النحو فان علم النحو بمنزلة
الميزان للذهب والفضة والمنطق لعلم الحكمة والعروض للشعر
والذراع للثياب والمكيلات للحبوب وكل شي لا يوزن بميزان
لا يتميز فيه حقيقة الزيادة والنقصان فعلم اللغة سبيل الى
علم التفسير والاخبار وعلم القران والاخبار دليل الى علم
التوحيد وعلم التوحيد هو الاصل المهم الذي لا ينجلي نفوس
العباد الا به ولا يتخلص من خوف المعاد الا به فهذا تفصيل
علم الاصول النوع الثاني من العلم الشرعي هو علم الفروع

وذلك ان العلم اما ان يكون علميا واما ان يكون عمليا فعلم الاصول
هو العلمي وعلم الفروع هو العملي وهذا العملي يشتمل على ثلاث
حقوق اولها حق الله تعالى وهو اركان العبادات مثل الطهارة
والصلاة والزكاة والحج والجهاد والاذكار والاعياد
والجمعات وزوايدها النوافل والفرايض وثانيها وهو في
العادة وهو ابواب العادات ويجري من وجهين احدهما
المعاملة مثل البيع والشركة والهبة والقرض والدين والقصاص
وجميع ابواب الديانات والوجه الثاني المعاقدة مثل النكاح
والطلاق والعتق والرق والفرايض ولواحقها قد يطلق اسم
الفقه على هذين الحقين وعلم الفقه علم شريف مفيد علم ضروري
لا يستغني الناس عن علم الفقه لعموم الضرورة اليه وثالثها
حق اليقين وهو علم الاخلاق والاخلاق اما مذمومة بحسب رفعها
واما محمودة بحسب تحصيلها وتحلية النفس بها والاخلاق المذمومة
والاوصاف المحمودة معينة مشهورة في كتاب الله واخبار الرسول
صلى الله عليه وسلم من تخلق بواحد منها دخل الجنة القسم
الثاني من العلم هو القسم العقلي وهو علم معضل مشكل يقع
فيه الخطا والصواب وهو موضوع في ثلاث مراتب المرتبة

الاولى

الاولى في العلم الرياضي والمنطقي اما الرياضي فينظر في العدد
والهيئة اعني الافلاك والانجم والهندسة وهي علم المقادير
والاشكال واقاليم الارض وما يتصل بها ويتصل بها علم النجوم
واحكام المواليد والطوالع وكذلك علم الموسيقى ونسب الاوتار
واما المنطق فينظر في طريق الحد والرسم في الاشيا التي
تدرك بالتصور وينظر في طريق القياس والبرهان في العلوم التي
تنال بالتصديق ويدور علم المنطق على هذه القاعدة ويبتدي
بالمفردات ثم بالمركبات ثم بالقضايا ثم بالقياس ثم باقسام
القياس ثم طلب البرهان وهو نهاية علم المنطق والمرتبة
الثانية وهي اوسطها العلم الطبيعي وصاحبه ينظر في
الجسم المطلق واركان العالم وفي الجوهر والعرض وفي الحركة
والسكون وفي احوال السموات والاشيا الفعلية والانفعالية
ويتولد من هذا العلم النظر في احوال مراتب الموجودات واقسام
النفوس والامزجة وكمية الحواس وكيفية ادراكاتها المحسوساتها
ثم يودي النظر الى علم الطب وهو علم الابدان والعلل والادوية
والمعالجات وما يتعلق به ومن فروعه علم الاثار العلوية وعلم
المعادن ومعرفة خواص الاشيا وينتهي الى علم صنعة الكيميا

وهو معالجة الاجساد المريضة في اجواف المعادن المرتبه
الثالثة وهي العليا وهو النظر في علم الوجود ثم تقسيمه الى
الواجب والممكن ثم النظر في الصانع وذاته وجميع صفاته
وافعاله وامره وحكمه وقضايه وترتيب ظهور الموجودات
عنه ثم النظر في احوال الملايكه والشياطين وينتهي الى علم النبوات
وامر المعجزات واحوال الكرامات والنظر في احوال النفوس
المقدسة وحال النوم واليقظه ومقامات الرويا ومن فروعه
الطلسمات والنارنجيات وما يتعلق بها ولهذه العلوم
تفاصيل واعراض ومراتب يحتاج الى شرح طويل وبرهان بهي
واعلم ان العلم العقلي مفرد بذاته ويتولد منه علم مركب
يوجد فيه جميع احوال العلمين المذكورين وذلك العلم المركب علم
الصوفية وطريقه احوالهم فان لهم علما خاصا بطريقه واضحة
مجموعه من العلمين وعلمهم يشتمل على الحال والوقت والسماع
والوجد والشوق والسكر والصحة والاثبات والمحو والفقر
والغنى والولايه والارادة والشيخ والمريد وما يتعلق
باحوالهم مع الزوايد والاوصاف والمقامات ونحن نتكلم في
هذه العلوم الثلاثه في كتاب خاص ان شا الله تعالى والان

ليس

ليس قصدنا الا تعديد العلوم واصنافها في هذه الرسالة
وقد حصرناها وعددناها على سبيل الايجاز والاختصار واعلم
ان للتحصيل العلوم طرقا معينة فصل اعلم ان العلم
الانساني يحصل من طريقين احدهما التعلم الانساني والثاني
التعلم الرباني فطريق التعلم الانساني معهود مسلوك
محسوس يعرفه جميع العقلا وهو على وجهين احدهما من خارج
وهو التحصيل بالتعلم والاخر من داخل وهو الاشتغال بالتفكر
والتفكر في الباطن بمنزلة التعلم في الظاهر فان المتعلم استفاده
الشخص من الشخص الجزي والتفكر استفاده من النفس الكلي
والنفس الكلي اشد تاثيرا واقوى تعليما من جميع العلما والعقلا
والعلوم مركوزة في النفوس بالكلية كالبذر في الارض والجوهر
في قعر البحر والتعلم طلب خروج ذلك الشي الذي بالقوه الى الفعل
والتعليم هو اخراج من القوه الى الفعل فنفس المتعلم تتشبه بنفس
العالم وتقرب اليها بالتشبه والعالم بالافاده كالزارع والمتعلم
بالاستفاده كالارض والعلم الذي هو بالقوه كالبذر والذي
بالفعل كالنبات واذا كملت نفس المتعلم تكون كالشجر المثمر وكالجوهر
الظاهر من قعر البحر واذا غلبت القوى البدنية على النفس يحتاج المتعلم

الى زيادة التعلم في طول المدة وتحمل المشقة والتعب لطلب
الفايدة واذا غلب نور العقل على اوصاف الحس استغنى الطالب
بقليل الفكر عن كثرة التعلم فان النفس القابله تجد من الفوايد
بتفكر ساعه ما لا تجد نفس الجاهل بتعلم سنه فاذاً بعض
الناس يحصلون العلم بالتعلم وبعضهم بالتفكر والتعلم يحتاج
الى التفكر فان الانسان لا يقدر ان يتعلم جميع الاشياء من
الجزئيات والكليات وجميع العادات بل يتعلم شيا ويخرج
بالفكر من العلوم اشياً واكثر العلوم النظرية والصنايع
العملية استخرجتها نفوس العلما بصفا اذهانهم وقوة افكارهم
وحدة حدسهم من غير زيادة تعلم وتحصيل ولولا ان يستخرج
العالم بالتفكر شيا من علومه الاول لكان يطول الامر على
الناس ولما كانت تتعلق ظلمة الجهل عن القلوب لان النفس
لا تقدر ان تتعلم جميع مهماتها الجزئية والكلية بالتعلم بل بعضها
تتعلمه بالتحصيل وبعضها تتعلمه بالبصر كما ترى عادات الناس بلغ
وتعتاد الامور المستحسنة وبعضها تستخرجه من ضميره
بصفا فكره وعلى هذا قرت عادة العلما وتمهدت قواعد العلوم
حتى ان المهندس لا يتعلم ما يحتاج اليه طول عمره بل يتعلم كليات
علمه

علمه وموضوعاته ثم بعد ذلك يستخرج ويقيس وكذلك الطبيب لا
يقدر ان يتعلم جزئيات ادواء الاشخاص وادويتهم بل يتفكر في
معلوماته الكلية ويعالج كل شخص بحسب مزاجه وكذلك المنجم
يتعلم كليات النجوم ثم يتفكر ويحكم الاحكام المختلفة وكذلك
الفقيه والاديب وهكذا في بدايع الصنايع فواحد وضع آلة
الضرب وهو العود بتفكره والاخر استخرج من تلك الالة آلة
اخرى وكذلك جميع الصنايع البدنية والنفسانية اولياتها
محصلة من التعلم والبواقي مستخرجة من التفكر واذا انفتح باب
التفكر على النفس وعلمت كيفية طريق التفكر وكيفية الرجوع
بالحدس الى المطلوب ينشرح قلبه وتنفتح بصيرته فيخرج ما
في نفسه بالقوة الى الفعل من ذلك من غير زيادة طلب وطول
تعب ن والطريق الثاني وهو التعلم الرباني وذلك على
وجهين الاول القا الوحي وهو ان النفس اذا كملت بذاتها يزول
عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص والامل وينفصل نظرها
عن شهوات الدنيا وينقطع سببها عن الاماني الفانية وتقبل
بوجهها على باريها ومنشيها وتتمسك بجود مبدعها وتعتمد على
افادته وفيض نوره والله تعالى بحسن عنايته يقبل على تلك النفس

اقبالاً كليًا وينظر اليها نظرًا الاهيًا ويتخذ منها لوحًا ومن
النفس الكلي قلمًا وينقش فيها جميع علومه ويصير العقل الكلي
كالمعلم والنفس القدسي كالمتعلم فيحصل جميع العلوم لتلك النفس
وينتقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكر ومصداق هذا
قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا
فعلم الانبيا اشرف من جميع علوم الخلايق لان حصولها عن الله تعالى
بلا واسطة ومما يويد هذا قصة آدم والملايكة فانهم تعلموا
طول عمرهم وحصلوا اكثر العلوم حتى صاروا اعلم المخلوقات وآدم
لم يتعلم ولا راي معلما فتفاخرت الملايكة عليه وتكبروا وقالوا
نحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعلم حقايق الاشيا فرجع آدم الي
باب خالقه واخرج قلبه عن جميع المكونات واقبل بالاستعانة
علي الرب تعالى فعلمه الاسامي كلها ثم عرضهم علي الملايكة فقال
انبيوني باسما هولاء فصغرت حالهم عند آدم وقل علمهم فغرقوا
في بحر العجز وقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا فقال يا آدم انبيهم
باسمايهم فانباهم آدم عن مكنونات العلوم وعن مستترات الامر
فتقرر الامر عند العقلا ان العلم الغريزي المتولد عن الوحي
اقوى واكمل من العلوم المكتسبة وصار علم الوحي ارث الانبيا

وحق

١٢٨

124 وحق الرسل حتى اغلق الله باب الوحي في عهد سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم فكان رسول الله وخاتم النبيين وكان اعلم الناس وافصح
العرب والعجم وكان يقول ادبني ربي فاحسن تاديبي وقال انا
اعلمكم بالله واخشاكم من الله وانما كان علمه اكمل واشرف واقوى لانه
حصل من التعليم الرباني وما اشتغل قط بالتعليم الانساني
قال تعالى علمه شديد القوي والوجه الثاني هو الالهام
والالهام تنبيه النفس الكلي للنفس الجزوي الانساني على قدر
صفايه وقبوله وقوته واستعداده والالهام اثر الوحي فان
الوحي هو تصريح الامر الغيبي والالهام تعريضه والعلم الحاصل
عن الوحي يسمى علما نبويا والذي يحصل عن الالهام يسمى علما
لدنيا والعلم اللدني هو الذي لا بواسطة في حصوله بين النفس
وبين الباري وانما هو كالضوء من سراج الغيب يقع علي قلب
صاف فارغ لطيف وذلك ان العلوم كلها محصلة في جوهر النفس
الكلي الاولي الذي هو من الجواهر المفارقة الاولية المحضة وهو
بالنسبة الى العقل الاول كنسبة حوا الى آدم وقد تبين ان
العقل الكلي اشرف واكمل واقوى واقرب الى الباري تعالى من
النفس الكلي والنفس الكلي اعز والطف واشرف من ساير

المخلوقات من افاضة العقل الكلي يتولد الالهام والوحي حلية
الانبيا والالهام زينة الاوليا وكما ان النفس دون العقل فالولي
دون النبي وكذلك الالهام دون الوحي فهو ضعيف بنسبة الوحي
قوي باضافة الرويا والعلم علم الانبيا والاوليا فاما علم الوحي
خاص بالرسل موقوف عليهم كما كان آدم وموسى وابرهيم ومحمد
عليهم السلام وغيرهم وفرق بين الرساله والنبوة فان النبوه
هو قبول النفس القدسي حقايق المعلومات والمعقولات عن جوهر
العقل الاول والرساله تبليغ تلك المعلومات والمعقولات الى
المستفيدين والتابعين وربما يتفق القبول لنفس من النفوس
ولا يتاتى لها التبليغ بعذر من الاعذار وسبب من الاسباب.
والعلم اللدني يكون لاهل النبوة والولاية كما حصل للخضر عم حيث
اخبر الله عنه فقال وعلمناه من لدنا علما وقال امير المومنين علي
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل لسانه
في فمي فانفتح في قلبي الف باب من العلم مع كل باب الف باب وقال
لو ثنيت لي وسادة وجلست عليها لحكمت لاهل التوراة بتوراتهم
ولاهل الانجيل بانجيلهم ولاهل القران بقرانهم وهذه المرتبة
لا تنال الا بمجرد التعلم الانساني ولذا قال لما حكى عن موسى

عليه السلام ان شرح كتابه اربعون حملا فقال لو ياذن الله لي لشرحت
في معاني الف الفاتحة حتى تبلغ مثل ذلك وهذه السعة والانفتاح
في العلم لا يكون الا لدنيا الاهيا واذا اراد الله بعبد خيرا رفع
الحجاب بين نفسه وبين النفس الكلي الذي هو اللوح المحفوظ فيظهر
فيها اسرار المكونات وينتقش فيها معاني تلك المكونات فتعبر
النفس عنها كما يشا الى من يشا من عباده وحقيقة الحكمة تنال
من العلم اللدني وما لم يبلغ المرء هذه المرتبة لا يكون حكيما لان الحكمة
من مواهب الله تعالى يوتي الحكمة من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وهم الواصلون مرتبة
العلم اللدني المستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعليم فيتعلمون
قليلا ويعلمون كثيرا ويتعبون يسيرا ويستريحون طويلا واعلم ان
الوحي اذا انقطع وباب الرساله اذا انسد استغني عن الرسل
واظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين كما قال تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم وليس من الحكمة اظهار زيادة الفايدة من غير حاجة
واما باب الالهام فلا ينسد ومدد نور النفس الكلي لا ينقطع
لدوام ضرورة النفوس وحاجتها الى التاكيد والتذكير كما ان الناس قد
استغنوا عن الرساله والدعوة احتاجوا الى التذكير والتنبيه

لاستغراقهم في هذه الوساوس وانهماكهم في هذه الشهوات وقد
اغلق الله باب الوحي وفتح باب الالهام لنعلم ان الله لطيف بعباده
يرزق من يشا بغير حساب ٥ فصل واعلم ان العلوم
مركوزة في جميع النفوس الانسانية وكلها قابلة لجميع العلوم وانما
فوت بعض النفوس حظها منه بسبب طارٍ وعارضٍ يطرا عليها
من خارج كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على فطرة
الخير وقال خلق الله الخلق حنفا فاغتالتهم الشياطين والنفس
الناطقة الانسانية اهل لاشراق النفس الكلي عليها ومستعدة
لقبول الصور المعقولة عنها بقوة طهارتها الاصلية وصفائها
الاولية ولكن مرض بعضها في هذه الدنيا فتمتنع ادراك الحقايق
بامراض مختلفة واعراض شتى وبقي بعضها على الصحة الاصلية
بلا مرض ولا فساد فيقبل ابدا ما دامت حية والنفوس الصحيحة
النفوس النبوية القابلة للوحي والتايد القادرة على اظهار المعجزة
والتصرف في عالم الكون والفساد فان تلك النفوس باقية على الصحة
الاصلية وما تغيرت امزجتها بفساد الامراض وعلل الاعراض
فصار الانبيا اطبا النفوس ودعاة الخلق الى صحة المعظم واما
النفوس المريضة في هذه الدنيا فصاروا على مراتب بعضهم تاثر

بمرض المنزل مرضا ضعيفا وبدا ايام النسيان في خواطرهم فيشتغلون
بالتعلم فيطلبون الصحة الاصلية ويزول مرضهم بادنى معالجة
وتنقشع غمايم نسيانهم باول تذكر وبعضهم يتعلمون طول عمرهم
ويشتغلون بالتحصيل والتصحيح ايامهم ولا يفهمون شيا لفساد
امزجتهم فان الفاسد اذا فسد لا يقبل العلاج وبعضهم يتذكرون
وينسون ويرتاضون ويذلون انفسهم ويجدون نورا قليلا واشراقا
ضعيفا وهذا التفاوت انما يظهر من اقبال النفوس على الدنيا
واستغراقها فيها بحسب قوتها وضعفها كالصحاح اذا مرض
والمراض اذا صح وهذه العقيدة اذا انحلت تقرر النفوس بوجود
العلم اللدني وتعلم انها كانت عالمة في اول الفطرة وصافية
في بداية الاختراع وانما جهلت لانها مرضت بصحبة هذا الجسد الكثيف
والاقامة في هذا المنزل الكدر والمحل المظلم وانها لا تطلب بالتعلم
ايجاد العلم المعدوم ولا ابداع الفعل المفقود بل فاتها العلم
الاصلي الغريزي بطريان المرض فالمرض هو اقبالها على تربية الجسد
وتمهيد قاعدته ونظم اساسه والاب المشفق المحب لولده اذا اقبل
على رعاية الولد واشتغل بها نسي جميع امور نفسه كذلك النفس لشدة
شغفها بالبدن وشغفها على هذا الهيكل اهتمت بعمارته ورعايته

واستغرقت في بحر الطبيعة بسببه فاحتاجت في اثنا عمرها
الى التعلم طلبا لتذكار ما نسيت وطمعا لوجدان ما فقدت
وليس التعلم الا رجوع النفس الى جوهرها واخراج ما في ضميرها
الى الفعل طلبا لتكميل ذاتها ونيل سعادتها واذا كانت النفس
ضعيفة لا تهتدي الى حقيقة جوهرها فعليها ان تتمسك
بمعلم مشفق عالم كامل وتستغيث اليه ليعينها على طلب
مرادها ومامولها كالمريض الذي يكون جاهلا بمعالجته ويعلم
ان الصحة شريفة مطلوبة فيرجع الى طبيب مشفق ويعرض
حاله عليه ويأوي اليه ليعالجه ويزيل عنه مرضه وقد راينا
عالما بمرض خاص كالراس والصدر فيعرض نفسه عن جميع
العلوم وينسى معلوماته وتستتر في حافظته وذاكرته جميع
ما حصل في سابق عمره فاذا صح وعاد الشفا اليه يزول النسيان
عنه وترجع النفس الى معلوماتها فيتذكر ما قد نسيت في ايام
المرض فعلمنا ان العلوم ما فنيت وانما نسيت وفرق بين المحو والنسيان
فان المحو فنا النفوس والرسوم والنسيان التباس النفوس فيكون
كالغمام او السحاب الساتر لنور الشمس عن ابصار الناظرين لا الذي
هو انتقال الشمس من فوق الارض الى اسفل فاشتغال النفس

بالتعلم هو ازالة المرض العارض عن جوهر النفس فتعود الى ما
علمت في اول الفطرة وحصلت في مدة الطهارة واذا عرفت السبب
مراد التعلم وفي حقيقة النفس وجوهرها فاعلم ان النفوس
المريضة تحتاج الى التعلم وانفاق العمر في تحصيل العلوم فاما
النفس التي تخف مرضها ويكون علتها ضعيفة وسترها رفيعا
وغمامها رقيقا ومزاجها صحيحا لا تحتاج الى زيادة تعلم وطول
تعب بل يكفيها ادنى تفكر لانها ترجع بالتفكر الى اصلها وتقبل
على بدايتها وحقيقتها وتطلع على مخفياتها فيخرج ما فيها من
القوة الى الفعل ويصير ما هو مركوز فيها حلمة عليها فيتم
امرها ويكمل شانها ويعلم اكثر الاشيا في اقل الايام وتعبر
عن العلوم باحسن النظام فتصير عالما كاملا متكلما يستغني
بالاقبال على النفس الكلي وتفيض بالاستقبال على النفوس
الجزئية وبتقيه بالعشق الى الاصل ويقطع عرق الحسد واصل
الحقد ويعرض عن فضول الدنيا وزخارفها واذا وصلت الى
هذه المرتبة فقد علمت وبحثت وفازت فهذا هو المطلوب
لجميع الناس اعلم ان العلم اللدني هو سريان نور الالهام يكون
بعد التسوية كما قال تعالى ونفس وما سواها والتسوية تصحيح

النفس ورجوعها الى فطرتها وهذا الرجوع يكون بثلاثة اوجه احدها
تحصيل جميع العلوم واخذ الحظ الاوفر من اكثرها والثاني
الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة فان النبي صلى الله عليه
وسلم اشار الى هذه الحقيقة فقال من عمل بما علم اورثه الله
علم ما لم يعلم وقال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا
اظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال خلق الله الخلق
حنفاً فاغتالتهم الشياطين والثالث ان النفس اذا تعلمت
وارتاضت بالعلم والعمل ثم تفكر في معلوماتها بشرط التفكر
ينفتح عليها باب الربح واذا اخطا الشرط وقع في الخسران فالمتفكر
اذا سلك في تفكره سبيل الصواب انفتحت في قلبه روزنة الى
عالم الغيب فيصير عالما كاملا عاقلا ملهما مويدا كما قال عليه
السلام تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وشرايط
التفكر نحصرها في رسالة اخرى اذ بيان الفكر وكيفيته وحقيقته
امر مهم يحتاج الى زيادة شرح يتيسر بعون الله والان نختم
هذه الرسالة وفي هذه الكلمات كفاية لاهلها ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور تمت الرسالة اللدنية
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

نسخة ينفتح عليه باب الغيب
الفتوحات والذي يعرفه مما يشترط التفكر

١٢٤٧

128

كتاب معراج السالكين
ومنجى الهالكين ومحجة العلماء الراسخين

تصنيف الشيخ الامام العالم العامل المحقق الكامل
زين الدين شرف الايمة ناصر السنة حجة الاسلام ابي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونور ضريحه
بمنه وكرمه امين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ووفق واعن يا مجيب
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى خصوصًا على
سيدنا محمد المصطفى النبي وعلى اله واصحابه وازواجه وذرياته
اهل الصفا ٥ قال الشيخ الامام العالم العامل
المحقق الكامل حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رضي الله عنه وارضاه اللهم انا نحمدك
ونشكرك معتقدين فضلك انك لا ترتاح الى الشكر ارتياح ذوي
الحاجات لكن النفوس موثرة تأبى الا الشكر لمنعمها سبحانك
ايها الرب الرحيم حلمت مع نفوذ علمك وامهلت مع شدة
بطشك ولم تمنع الرزق من جاهر بعصيانك انت القريب
الظاهر الاول الآخر لا تستفزك سطوة العبيد وانت
اقرب اليهم من حبل الوريد ونسالك اللهم صلاة مباركة
على نبي الرحمة ومنقذ الامة محمد عبدك الدال عليك
والهادي اليك اخواني نصحت لكم فهل تحبون الناصحين
وحرضت رشدكم فهل علي الا البلاغ المبين وما تغني
النصيحة وقد عم الداء ومرض الاطبا واستشفى بغير
الشفاء واعتيض من البصر بالعماء وخبثت القلوب ورين

عليها وعطلت البصاير ونسب التقصير اليها واتخذت آيات
الله هزؤا ولعبا وصيرت اغراض الآجلة الى العاجلة
سببا ولا موقظ من غفلة ولا زاجر عن زلة ٥
مرضى عن الخيرات في بحر الردى غرقى فلا داع لنهج اقوم
شغفوا بكل رذيلة مذمومة صرفت وجوههم لوجه الدرهم
ناموا عن المقصود لم يستيقظوا سيكون تيقظهم لخطب اعظم
فنعوذ بالله ان نكون ممن رغب عن طريق هولها سالك هلك
هلك الناس وهو في جملتهم هالك اعلم ايها الاخ
الباعث على اسعافك في مطلوبك غرضان ولما اقتصرت في
طلبك على موافقتهما وزادت رغبتك في تحصيل حقيقة
مقصودهما واقتصرت همتك من بين العلوم على العلوم الالهية
فزعمت ان مقصودك طلب النجاة من شر الاعتقادات الفاسدة
والهرب من الاراء المجانبة للحق المعاندة رايت تقديم التنبيه على
الغرضين المذكورين لتستوجب العذر فيما انتدبنا اليه وليكون
ذلك المهم الاكبر الذي نبهنا عليه والغرض الاول ايها الاخ
ما شاهدناه من فساد الزمان واخذه في الازدياد وكثرة
الاراء وفساد الاعتقاد وعدم ذات يبذل فيها الاجتهاد

وبمرّها على كف الانتقاد ولولا سياسة الملوك لعم الخافقين
ظلمها ورسخت في كل الاقطار قدمها ليقضي الله امراً كان
مفعولا وبقي رسماً كان بقاوه عليه وعداً مسؤولا ولكن
تعاقب الزمان وطرد الحوادث وكثرة الصوارف وفتور
الهمم الداعية الى الفساد ن

والداء يزداد كل يوم اغذية السوء كالذنوب

فرايت ابراز هذه النبذ لتكون مغنية للسايلين ومعينة
للسالكين ومنفعة باقية في الاخرين والاهم من هذا
التنبيه على الاراء الفلسفية التي استهوت عقول اكثر
الناس وهم في ازدياد من هذا الفن وهو سبب فتور الشرايع
وهم عندة الانبيا عليهم السلام على ممر الايام والنفوس
مولعة بكل غريب لم تالفه وغامض لم تعهده فلا يسلم
الغمر الجاهل من الوقوع فيه والفطن المتباطي من الاغترار
بما يظهر من مباديه وقد كثرت ترهات هذه الطايفة
لعلتين احدهما الزهد في الرد عليهم والثانية بداية الجهال
بمحاولة الرد على ما تقرر لديهم كمقالتهم بانكار علوم التعاليم
الاربعة من الهندسة والحساب ومعرفة الكواكب وشبهها

ومن

ومن مقدمات علومهم وعنوان كلامهم وعنصر براهينهم ولم
يحكموا فيها جاوا شيا كاحكامهم لها والمنطق على ممر الايام وكر
الدهور ينقحونه ويهذبونه الى زمان افلاطون فزاده ترتيبا
وميّز فيه السفسطة من الجدل وحذا حذوه تلميذه
ارسطاطاليس فرتب صناعة البرهان وهذب الكتب الثمانية
وكذلك الهيئة والهندسة استخرجوه الهند كتاباً ايضا
تعاقبته الايام وهو الذي يحصل منه الهندسة والهيئة
فلا معنى لمناكرتهم في كليات هذه التعاليم فليطالبوا بتصحيح
مسايلها الجزئية واستعمالها وصحة الاشكال والمقدمات
فاما العلوم الالهية فانهم تساهلوا فيها ولم يستعملوها البتة
فهناك موضع المطابقة واما انكارهم كون الارض كرية
واخذها المكان الاوسط من الفلك وارتفاع الاقاليم وانخفاضها
وتحقيق الجهات والافاق والكسوفات فلا معنى لانكار
ذلك ومناظرتهم في ابطاله احد الغرضين ومن تنبه على
المواضع التي يتكلم على اختلافها ونورد ذلك وجه ما لم يعرف
نقيضه وضده فبضدها تتبين الاشيا ونقصد التنبيه على
الطريق الاتم والصراط الاقوم ولا بد من ذكر المحيطة ليتصف

من ذلك الناظر في هذا الكتاب فعلم انا لم ننتدب لتفصيل
ولا اضربنا عن مسيرة الاوايل في سكوتهم الا لخطب جليل واضفنا
ذلك الي العرض الثاني فيتضح لديه العذر ويعرف مقدار
النعمة فيقابلها بالشكر فنقول الناطقون بكلمة الشهادة
سبع فرق **الفرقة الاولي** طايفة نطقوا بالشهادة
من غير التفات الي ما تنطوي عليه من المعنى ولا احتفال
بالوظايف كاجلاف الاعراب والاعاجم لكنهم كالانعام بل هم
اضل سبيلا فلهم حكم السنة وهم المرادون بقوله تعالي
لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا والسيف عند هولا اصدق
انباء من الكتب وهو احد ما يساسون به **الفرقة
الثانية** طايفة نطقت بكلمة الشهادة تقليدا لما حوزا
عن الابا والامهات والمعلمين لكنهم مقبلين علي وظايف الشرع
فهولا هم المسلمون علي الحقيقة ولهم تقدمة علي الفرقة
الاولي وهم المرادون بقوله سبحانه ومن يسلم وجهه
الي الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي ٥
الفرقة الثالثة قوم اعتقدوا الشريعة وصدقوا
ولم يقتصروا علي درجة المسلمين بل استعملوا النظر

والاستدلال وذبوا عن حرم الدين وهولا اكثر المتكلمين
من اهل السنة واصحاب الحديث وهم المومنون المسلمون فهم
اذا اخص الاسلام وقد فصل صلي الله عليه وسلم بين الاسلام
والايمان في حديث السايل عليه السلام وقال تعالي
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات وقال
اوليك هم المومنون حقا **الفرقة الرابعة** فرقة
ترقوا عن هذه الطريقة الي درجة اليقين والثلج وان التصديق
ينقسم الي التام والناقص فمن صدق بالشي واستعمل نوعا
من الاقناع سمي مصدقا ولكن التام هو الذي يصدق بالشي
عن برهان ومع قيام البرهان علي ان ذلك البرهان لا يجوز ان
يبعث نبي صادق بضده اصلا ولو بعث بنقيضه لاعتقد
كذبه فان قيل هذا تصريح بتفاضيل المومنين في ايمانهم قلنا
هذا الصحيح وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون شعبة وقال صلي الله عليه وسلم
يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان
والايمان في اللفظ اللغوي هو التصديق وقد قدمنا ان
التصديق ينقسم الي التام والناقص كما قلناه فان قيل

بل التصديق لا يتفاضل والايمان بمعنى العمل قلنا اما
ان الايمان التصديق فهو مشهور في اللغة وهو الاصل
وهو في الاعمال منقول والاستمساك بحقيقة اللغة اولى
حتى يدل الدليل وقد دل الدليل الشرعي علي تفاضيل
الايمان كما ذكرناه فان قيل هب انا سلمنا ان الايمان هو
التصديق فما الدليل علي انقسام التصديق في نفسه قلنا
عبارة عن الاعتقاد والاعتقاد لفظ عام وحقيقته
ركون النفس الي متخيل اما في نفيه او في اثباته ثم المعتقد
ان كانت في النفس كما هي عليه من خارج علي خلاف ما هو في
النفس وهو تصديق وتصور ناقص اذ من اعتقد زيدا
ابيض فوجده اسود نقص اعتقاده الفرقة الخامسة
اقوام اعتقدوا الايمان وصحته لكن اعتقدوا في الاله
تبارك وتعالى وصفاته ما نسبوا به الي البدعة والفسق
الفرقة السادسة اقوام اضافوا الى ذلك ما نسبوا
به الي الكفر كمن صدق بالنبوة من الفلاسفة واعتقدوا
ان ذلك يرجع الي ملك قايم ثم اقتضى له مولده ان يكون حسن
السياسة فاضلا متنوعا فهولاء كفرة وهذا تصور لا
لا ينفع

فهو اعتقاد الشي وتصور له وعلم به
على ما هو عليه ومتى كان من خارج صح

١٢٩

٥

لا ينفع الفرقة السابعة اقوام متظهرون للاسلام 132
مبطنون للتعطيل المحض فهولاء شرار الفرق الذين في
الدرك الاسفل من النار والامم كلها علي خلاف هذه الطايفة
وهي يسمع بها وقل ما ترى الا احاد يحملهم الاستخفاف علي
ذلك والامم مطبقة علي وجود الصانع وان استعمل بعضهم
معه الشركا علي اختلاف القول بالشرك من المعبودات
من الاحجار والاحيا والكواكب والشمس وقد سميت هذا
الكتاب معراج السالكين والله سبحانه يحملنا علي الراي
الحق بعزته **المعراج الاول** لتعلم اولا
انا بدانا بهذا المعراج وتقديمنا له علي امثاله لثلاثة
اغراض احدها استعمال الطوايف المذكورة له واقتصارهم
عليه وترقيهم عنه الي سواه الثاني انه مقدمة لما نذكره
من معرفة النفس وقواها وبيان العوالم وانها علي مضاهاتها تها
الثالث ان نبين فيه الفاظ الاصطلاحات نغني عن
تكرار بيانها وتمييز عالم الغيب من عالم الشهادة والحد
المميز لها وما العالم الذي وقع الخلاف في حدوثه وقدمه
وكمية هذه المعارج سبعة اعلم ان حقيقة العروج

الصعود علوا تقول عرجت في السلم اعرج والالفاظ
لها وجهان من الدلاله فوجهٌ في الدلاله على الاشياء
الجسمانية لمفهوم السلم والعروج والوجه الثاني الدلالة
على معاني الجسمانية وارواحها اما بطريق وضع اللغة
واما بالمجاز والاستعارة ولما كان السالك الباحث الى
معرفه باريه تعالى طالبًا للترقي عن ظلمات الجهل واسفل
سافلين من حضيض البهايم والجهلة وكانت البراهين
والادله الموصله الى درجه العلوم شبه السلم الجسماني
الموصل الى العلو الجسماني وكانت مفردات البراهين
ومقدمات القياس واجزاوه مادة له تاتلف حالة اصلاح
السُلم فاذًا التسمية لا مشاحة فيها وهي مفيده قال
الله تعالى ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملايكة
والروح اليه ومن قام عنده البُرهان على استحالة جهة
الباري سبحانه يعرج اليه فيها طلب معنى عقليًا ليحمل اللفظ
عليه وقد ذم الله تعالى فرعون في اعتقاده كون الاسباب
والمعارج جسمانية في قوله تعالى وقال فرعون يا هامانُ
ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب قال الله تعالى وكذلك زين

لفرعون سُوء عمله وصد عن السبيل فالادله سلاليم
الخلق الى ربهم والذهول عنها هي المعبر عنها بالحجب وقد
ذكر الله تعالى في نعت الكافر فقال عز وجل او كظلماتٍ
في بحرٍ لجي فعبر عن الاعتقادات الفاسدة بالظلمات وعن
ترادف الشكوك بترادف الموج وقال الرسول صلى الله
عليه وسلم ان لله سبعون حجابا من نورٍ وظلمة لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كلما انتهى اليه بصره وليس المراد
بالحجب الا الطرق الموصلة اليه فان كانت براهين فهي حجبُ
نور وان كانت شكا فهي حجب ظلمه والدليل على ذلك قوله
لاحرقت سبحات وجهه فانها لو كانت جسمانيه لاحترق جسمه
باولاها او باحادها ولم يشترط في الاحراق الا مجموعًا
والبراهين الحق على ان الباري سبحانه لا يصح ان يكون محجوبًا
لعلتين احداهما ان الحجاب لا يصحُ الا للاجسام والباري
سبحانه وتعالى ليس بجسم الثاني ان المحجوب يجب ان يكون
من الحجاب في جهة والباري سبحانه وتعالى لا جهة له بوجهٍ
وانما اراد صلى الله عليه وسلم ان هذا السالك الباحث
لو انكشف اليه هذه الموانع المانعة من تحقيق معرفة

معبوده لا حرقت الاشيا التي استدل بها ما انتهى اليه بصره
فعبرنا بالاحتراق عن الاضمحلال وهذا تحقيق هذه
العبارات ومضمون هذه الاشارات والعلم هو السلم
الي معرفة الباري سبحانه فهو الخط الالهي المكتوب المودع
المعاني الالهية والعقلا على اختلاف طبقاتهم يقرونه
ومعنى قراتهم له فهمهم للحكمة التي وضع دالا عليها قل
انظروا ماذا في السموات والارض وقال تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم وقال تعالى افي الله شك
فاطر السموات والارض ولما كان الانسان مركبا من
مواد مختلفه متضادة وكان محجوبا عن عالم الغيب ونعني
بعالم الغيب كل غايب عن ادراك الحس ولم يتوصل الى معرفته
الا بجد وتيقظ وقوة مفكرة خصته الحكمة الالهية بان
جعلته دفترا جامعا مدمجا عجيبة يكون له مفاتيح لما
غاب عنه كما قال تبارك وتعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
فهو يستدل بما شاهد في نفسه على ما لم يشاهد ولما
كانت الادلة والحجج منقسمة الى الاتم والانقص وكانت طريق
البراهين وتاليفه على الشرايط الصحيحة وكانت الادلة

متعذرة على العوام وكان الاقناع وقياس التمثيل والاستقرا
اقرب الى اكثر الاذهان خصت الحكمة الالهية الصور الانسانية
بضرب من عجايب العوالم وغرايبها ليستدل بها فيكون ضربا
من التمثيل والاستقرا الذي يقاس به الشاهد على الغايب
واكثر ما عاملت الانبيا عليهم السلام الخلق بهذا النوع من
اصناف الحجة لان مقالتهم بغير هذا الطريق صعب
قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة ولذلك جعلنا هذا المعراج اولا واحلنا العوام
على الاقتصار على تعلمه وجعلنا انقسامهم الى طبقتين فيما
تقدم فهذه احدى فوايده وحكمته الحكمة الثانية ولها
فايدتان احداهما يستحق بها العقوبة وبالثانية المثوبة
فاوله استعماله لما يوثق به وهو محسوس عنده مشاهد
فشرطه ان لا يتعداه ولا يحمله اكثر مما احتمل فمن البر ما يكون
عقوق والشي متى جاوز حده انعكس الى ضده الثانية
ان لا يستعمل الاستدلال به فيما لا يصح ويفضي الى الغايب
بما لا يقطع به على الشاهد ويزعم القطع به والفرق بينه
وبين ما امرنا باستعماله انه امرنا باستعماله على وجه

الحكمة وهو ان يكون له مذكرا او زاجرا من غير قطع وهذا
المستدل يزعم انه يقطع بما اخذ عنه من القياس كمن
يزعم ان الباري سبحانه وتعالى صورة كصورة الانسان وان
علمه كعلمنا وقدرته كاقتدارنا وينتهي الى ضرب من ضروب
التجسيم قال الله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم وانما يستعمل من ذلك ما
احسسناه او شهدت له التجربة مما لا يمتنع على ما يزعم
المعنون بالتشريح على طول الدهر واذا فهمت هذا القدر
وساعدت عليه وانست بقوله صلى الله عليه وسلم ان
الله خلق آدم على صورته وفهمت ان معنى ذلك خلقه على
مضاهات العالم فاعلم ان الانسان عبارة عن حيوان ناطق
مايت منتصب القامة ضحاك فهذا حد يتناول نفسه
وجسمه لضرورة الفصل بينه وبين الاشخاص الحية والا
فقولنا حيوان ناطق يتناول نفسه فقط ثم هذا الحيوان
الناطق اعني الانسان ينقسم جملته في التقسيم الكلي
ثلثة اشيا نفس وروح وجسم فالجسم هو المولف من
المواد والعناصر الحاملة لروحه ونفسه وهو الشكل

135 المنتصب ذو الوجه واليدين والرجلين الضاحك واما
الروح فهو الجاري في العروق الضوارب والشاريانات
واما النفس فهو الجوهر القايم بنفسه الذي ليس هو
في موضع ولا يحل شيا وسنشبع الكلام عليه مقدار
الحاجة وما يحتمله الموضع فنتكلم على الجسم بمقدار ما
يرشد الى الغرض ويكون معينا لما عسى ان نذكره من امر
النفس فنقول قال الله سبحانه ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الاية وقال سبحانه فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فاخبر سبحانه وتعالى عن ثلثة امور
جسمه وروحه ونفسه وحقيقة الروح الحرارة
الغريزية المنبعثة في الاعصاب والعضلات وهي موجودة
للبهايم وبها حياتها والفصل بين الادمي والبهيمة هي النفس
التي اضافها الله تعالى اليه في قوله فنفخت فيه من روحي فلو
كانت للادمي هذه النفس دون الروح المخلوق للبهيمة لقصر
عن افعال البهيمة في الاكل والجماع والتصرف ولو ان البهيمة
اعطيت النفس التي اعطيها الانسان لكانت عاقلة مكلفة
فخرج من الجملة ان الانسان روحا ونفسا وجسما وللبهيمة

جسمًا وروحًا لا غير فاما آدم صلوات الله عليه وسلامه
مخلوق من التراب والما والنار والهواء وقد قال تبارك
وتعالى ذلك في قوله تعالى من سلالة من طين وقوله تعالى
وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون واما النار
فقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار فاول
الدرجات للتراب فاذا مسته الما قيل له طين فاذا مر
عليه دهور بكرور الشمس واكتسب منها يبسًا ونشافًا
قيل له صلصال كالفخار لنشوفته ومعلوم ان برهان
العقل ان موجب حر الشمس اليه هو الهوا فصح بالبرهان
الشرعي والعقلي كون آدم عليه السلام من هذه المواد الاربع
وان الله تعالى انما نفخ فيه الروح بعد تمام صورته من
وكان التدريج في آدم عليه السلام على الصورة التي تقدمت
فجعل الله تعالى تدريج بنيه من نطفة خرجت منه
تتلقفها الاناث الى انقطاعها وتمام القوى وذلك حين
الساعة وتمام الخلق فاول الانسان نطفه ثم علقه ثم مضغة
ثم تنبت فيه العظام وتكسى لحما فالنطفه الخارجة من الانسان
مسلوله كقشر الحيه من الحيه لكنها مياعة وكالنواة فان

النخله السحوق فيها لكنها مدمجة ولكن من شاهد عقد
الثمار يتيقن هذا فان الرمانه مثلا تخرج من اصغر ما يمكن
غير انك ترى الشكل مصورًا ثم تقويها الطبايع من خارج
بما يجانسها فتتصور تلك الاشكال الكاملة الى انتهايها
وما فيها ومن ارسل النطفه وابصر السقط تحقق ذلك
فانك ترى اشكالا كالخطوط مكتوبه وحدقتاه كحبات شونيز
ووضوح ذلك لا يحوج الا الى مزيد تامل فالنطفه مسلوله
مايعة بالطبع لما انسلت عنه بذو وبان فطري جبلي لا
حيله فيه ولذلك يشبه المولود اباه في خلقه وخلقه
فان قيل الاغذية تستحيل دمًا في الكبد ثم تستحيل
منيا وكانت قبل ذلك نباتات انفعلت عن الطبايع
الاربع فيلزم ان يكون غير الاب اذا انفعلت عن غيره
قلنا الامر كذلك ولكن الاعتبار بحين انفصالها عن الاب
فحين انفصالها تنبعث من عروقه وعصبه وكبده بحركه
ما فتكتسب حينيذ طبعه وصفته وهذا الامر متسلسل
الى آدم صلوات الله عليه وسلامه وعنده يقف الامر فان
نفسه وجسمه ليسا ماخوذين من آدم آخر فان ذلك محال

وهو اثبات اشخاص لا اول لها وهو محال فان الشخص بالضرورة
ذو اولية وهو تحت النوع واذا ثبت هذا فاعلم ان الصورة
الانسانية تنقسم الى اربعة انواع الاول الراس والثاني
البدن والثالث اليدين والرابع الرجلين ثم عظامه منقسمة
الى مايتي عظم وثمانية واربعين عظما ففي الراس اثنان واربعون
عظما وفي الربع الثاني اثنان وثمانون عظما وفي الثالث
اربعون عظما وفي الربع الرابع اربعة وثمانون عظما
ثم خلق الله سبحانه لهذه العظام رباطات تمسكها فعدة عروق
شكل الانسان ثلثماية وستون عرقا ولهذه العروق
في الفواد تكون الحركة والقبض والبسط فراس هذه
العروق في الفواد وهو العرق المسمى بالنياط
والابهر ومنزلته مع القلب منزلة الحاجب للملك تتلقف
امره ثم تخرجه الى الخدمة ثم هذه العروق متصلة بالمعدة
تمص منها قوة الطعام والشراب الذي يدخلها ثم تقسمه بين
الكبد والمرارة والطحال والرية وخلق الابهر مستبطن
الصلب وهو اخذ من مجمع الكاهل الى مجمع الوركين
الى مجمع الحالبين الى مجمع الصدر بين الترقوتين وهو

نهر الجسد الاعظم وهو مقسوم لاربع عروق لاجزاء
الجسد الاربع لكل جزء منها عرق فللراس عرق
يفترق الى ستين عرقا ولليدين كذلك وللرجلين عرق
يفترق الى مايتي عرقا والجزء الاول من النهر
الاول وهي اربعة انهار يتفرق منه عرقان من مجمع
الكاهل يسقيان العنق ويفترق من مجمع الصدر بين
الترقوتين عرقان يصعدان الى العنق وهما الودجان
ثم يتفرع من كل واحد عرقان ثم جميع هذه تنبعث فيها
الغذا الى كل عضو من الراس ومن الشفتين وغيرهما واما
عروق اليدين من الربع الثاني وهو احد الانهار
الاربعة من النهر الاعظم يتفرق منه عرقان لكل يد
عرق من مجمع الصدر بين الترقوتين الى ما بين المنكبين
وهما الاكحلان ثم تنبعث من كل واحد منهما اربعة عروق
سواهما فتسقي العضدين واجزاءهما وذلك عشرة عروق لكل
يد خمسة عروق ثم يفترق من كل واحد من العشرة اربعة
تسقي الساعدين فذلك خمسون عرقا لكل ساعد منها خمسة
وعشرون عرقا ثم تفترق كل واحد من الخمسين عرقا عروق

أُخر فتسقي الكفين والاصابع **واما الجزو الثالث**
فللبطن يفترق منه عرقان من مجمع الحالبين اللذين
يفترق من كل واحد منها تسعه وعشرون عرقا سواهما
ترفع الي كل جزءٍ حصّته من الغذا **للاضلاع** اربعة
وثلثون ولساير اجزا البطن سته وعشرون ٥
للعُصعُص عرقان واربعة للمذاكر واثنان للكليتين
واثنان للمثانه واثنان للامعا واثنان يسقيان المعده
واثنان للكبد واثنان للطحال واثنان للفواد واثنان
للمرارة واثنان للرية واثنان للثديين وثلثون للاضلاع
لكل ضلع عرقان **واما الجزو الرابع وهما الرجلان**
ففيهما **الوتين** وهو عرق يفترق منه عرقان وهما **النسيان**
وهما للفخذين لكل فخذ عرق من مجمع الوركين يسقيان الفخذ
واجزاها ويفترق من كل واحد منهما اربعة عروق ثم يفترق من
الاربعة خمسون عرقا تنتكس في الساقين لكل ساق خمسه وعشرون
فقد صار جمله الانسان مناسبة للعوالم وجزئياتها فهو مشبه
للعالم الاعلا بنفسه ومشبه للعناصر بما فيه من ماءٍ وهواءٍ
ونار وتراب ويضاهي الجواهر الارضيه اما الحيوانية فبروحه بلغ

الحيواني

الحيواني واما النباتيه النامية فبما ذكرناه وعروقه
ونموه وتغذيته **واما الجماديه** فبعظامه فهذه
المشابهة الكليه ثم تعرض اجزاوه علي كل جزءٍ من العالم
فتجده يضاهيه وشرح ذلك مما يطول ولو استوفيت
فيه الاعمار الطويله واباد السنين لما نفد فعليك ان تمحن
ذلك بكل ما تشاهد وتبحث فتجد في عالم جسمك مثل ذلك
بل فيه ما يضاهي قوي الحيوان كجراة الاسد وخبث
الذيب وطيش الفهود وصلابة الخنزير هكذا ثم الغذا اذا
استقر في المعده طبخته الكبد وهي حاره رطبه لاصقة
بالمعدة من الجانب الايمن لتمص منها من صفو الغذا كل
حار رطب لمشاكلتها له فتصفيه بجوهرها وفيها انابيب
كالمصفا فتجذبه العروق فتنقله وتجري فيها علي حسب
ما قدمناه **واما المرارة** فهي معدن الخلط الذي
يقال له المرة الصفرا وهي حارة يابسة لاصقه بالمعدة
من الجانب الايمن مما يلي الكبد تمتص منها من صفوة
الغذا كل حار يابس لمشاكلتها فتصفيه بجوهرها ثم تحيله
العروق كما ذكرنا **والخلط الثالث المرة السودا**

ومعدنه الطحال وهو بارد يابس لاصق بالمعدة من الجانب
الايسر يمتص من الغذا كل مشاكل له **والرابع البلغم**
وهو بارد رطب **وله الرية** تمتص من الغذا كل مشاكل
له **والحلقوم** راس الرية على طبيعة الطحال وهو معد
للنفس **والحنجرة** راس الحلقوم مغطاه بطبق ٥
واللهاه مدلاة عليه **والقلب** في الجانب الايسر
تحت الثدي الايسر **والرحم** في الجانب الايمن لاصق
بعروق الفواد وهو معدن الشهوة والمعدة معتدلة
المزاج وهي كالقدرة وتلك الاوعية لها كالاثافي ولها
فمان مدخل وهو مسلك المري الى الفم والفم الثاني يخرج
منه الاثقال ويخدم المعدة اربع قوى احداها جاذبه ٥
والثانية ماسكه والثالثه هاضمه والرابعه دافعة فلا
بد من استناد الحوادث الى مبدا لا علة له وليس بمعلول اصلا
وبهذا بطل اعتقاد من يزعم ان ادم عليه السلام من ادم اخر
فانا نتبعه فيلزمه التسلسل وهذا محال فصح ان الشكل
الانساني تنتهض منه الدلالة على باريه تعالى ومصوره مع
ما فيه من العجايب الدالة على العالم فليس في العالم من غرايب

مشكل

١٣٨

139 مشكل الا وفيه مفتاح علمه فان الله تبارك وتعالى خلقه
على مضاهاة العالم وهو نسخه مختصرة منه ومتى تامل
احوال الانبيا عليهم السلام ومعجزاتهم وكرامات الاولياء
رضي الله عنهم وما جعل الله سبحانه في قوى النفس مما
يشاهده كل احد من نفسه في المنامات التي يعلم بها مغيبات
الامور وعاقبتها وما يبصره الانسان في النوم من السماء
والارض والبحار وسعتها وهو لا يتسع لمقدار ما يبصر كانه
يبصر السما على سعتها بعين في دور الدرهم وهذا من العجايب
علم ان لهذه العجايب مدبر دبرها وصانع اتقنها وعجايب الانسان
لا تحصى بل فيه من الخواص عجايب مما تستعمله الاطبا منه
فسبحان الفاطر الحكيم **المعراج الثاني** ولما فرغنا
في المعراج الاول من معامله اصحابه بالسهل من الحكمه والقريب
الظاهر من الدلالة ولا يتعلم فيها الا من جعل له الراي
المعكوس والميل المنكوس ومن يضلل الله فلا هادي له وهذا
المعراج كالقطب لساير العلوم وله يجتهد المجتهدون ويعمل
العاملون فلا فايدة اعظم منه فان نبوة الانبيا عليهم السلام
والثواب والعقاب والجنة والنار وساير انبا الدنيا والاخرة

الماخوذه عن الرسل صلوات الله تعالى عليهم وسلامه
لا تثبت متى ابطلت هذه المسئلة فان النفس اذا لم يكن لها
بقاء فجميع ما اخبرنا به واطمعنا فيه باطل وبحسب ما
نثق به من هذه المسئله نجتهد وبحسب ما يغيب عنا منها
نفتر وبهذه المسالة كفر الزنادقه فانهم اعتقدوا ان
حقيقه الانسان مزاج معتدل كالنبات متى اعتدلت قواه
بقي ومتى قوي عليه حر او برد فسد وذبل ثم لا يرجى بعد
ذلك موتا ولا حياة ولا نشورا فاستخفوا لذلك بالخالق
واستهانوا بالانبيا عليهم السلام كقول اميه بن خلف لاحد
الصحابه رضي الله عنهم اجمعين لاوتين مالا وولدا وذلك
لانه استخف وقال انتم تزعمون انكم اصح احوالا في الآخرة
وسيكون لي هناك مال وساقضيك منه وعلى هذا المعراج
يدور الناس فهو اس العلوم واذا اضمحل فلا ثابت لذلك
ولذلكم تبينه الرسل والله اعلم لان كلام غيرها بين ان
يقبل ويرد او يصدق ويكذب وكلام الرسل صلوات الله
عليهم ليس كذلك فان المساله في نهاية الغموض والاذهان اكثرها
ضعيفه فربما لم نفهم مقاصدهم فيعترض من قولهم على

قولهم

قولهم فلم يوردوا فيها الا الاشارات ورموز في القران العزيز
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وقال تعالى في
عيسى عليه السلام وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في
حواصل طير خضر وهذه كلها عند العلما مكشوفه وعند
غيرهم غير معقوله وقد اختلف الناس فيها من السنين
والاعوام فزعم افلاطون ان النفس والروح واحد وهي
النفس الكليه وانها مع الابدان كالشمس مع الارض تنشر
شعاعها على المواضع فياخذ كل موضع نصيبه على قدره
وزعم انها تالف الجسم بضرب من المناسبة بالطبع فاذا
حصلت فيه الفته وشغفت به فلا تزال فيه ولكن هي
عنده حالة في الاجسام وانها هي كالمغناطيس مع الحديد
في الملازمة والانفعال ومناسبة الطبيعة وليس احدهما
حالا في الثاني لكنه ينفعل له بضرب من واسطة خفيه هي الطبع
فلا تزال فيه الى ان يفسد البدن كما ان الحديد يخلو مع
طول المدة فلا يقبل تلازمه المغناطيس وزعم آخرون ان
النفس وان حقيقة الحياة معنى يكون عند اعتدال المزاج

فاذا مات الانسان فنيت روحه وهولاء ذاهبون الى
ان النفس محدثة عند حدوث البدن وهي مع ذلك لا
تفنا ومن حقق من الفلاسفة على هذا المذهب والاكثر
على مذهب افلاطون وسنكشف ان شا الله تعالى غايله
مذهبهم في المعراج الثالث في حدث العالم الاعلا فلنرسم
هاهنا ثلثه فصول **الفصل الاول** في قوى
النفس وعلة تحرك البدن لها **الفصل الثاني** في كون
النفس جوهرا غير متحيز قايم بنفسه مستغن عن المحل
الفصل الثالث في ان النفس لا تعدم وانها باقية
الفصل الاول ربما اعتقد من لا تحقيق لديه ان
الشرع يزجر عن التعرض لهذا القدر في تصحيح او ابطال
وليس في الشرع دليل يدل على ذلك وقوله سبحانه قل
الروح من امر ربي جواب مقنع اذا فهم الامر بما هو عليه ولو
اراد تعالى الزجر لدل الحكم عليه وقد كشفنا عن القوى
الجسمانية وهذا الجسم يجري من النفس مجري الثوب من الجسم
فان الجسم يحرك الثوب بواسطة اعضايه والنفس تحرك البدن
بواسطة قوى خفيه ومناسبة وقوى النفس تظهر في مواضع
من

141

من البدن وربما بلغت عشرا نذكرها والنفس في ذاتها واحده
وانما ترجع التسمية الى الالة كقولنا سمع وبصر وشم وذوق
ولمس والنفس في ذاتها واحده وهي الذايقة الشامة المدركة
فهذه خمس قوى ظاهره والدليل على ان النفس هي المدركة دون
هذه الاعضا ان العضو ومتى حدث فيها سدة تمنع اتصال
النفس اليها بطلت كالخدر والموت وهذا شاهد لا يفتقر
الى دليل **والقوى** تنقسم الى قسمين الى محركه والى مدركه
والمدركه قسمان ظاهره وباطنه فالظاهرة ما ذكرناه والباطنه
ثلاث احداها القوة الخيالية والوهمية والفكرية
فالخيالية في مقدم الدماغ وراء القوة المبصرة **خاصيتها**
بقاء صورة الاشيا المرئية فيها بعد تغميض العينين وانقطاع
ما تدركه الحواس وتسمى الحس المشترك والثانية **القوة**
الوهمية وهي التي لا تدرك المعاني فالاولى مختصة بقبول
المعاني وصورها وموادها وهذه تحفظ المعاني دون صورها
وموادها اذ تدرك الشاه عداوة الذيب مجردة فتنفر عنها
والسخلة تدرك خيال الام فتالفها ومحلها التجويف الاخير من
الدماغ الثالثة القوة المفكرة وشانها ان تركب

الصور بعضها مع بعض وهي في التجويف الاوسط بين حافظ
الصور وحافظ المعاني فهذا المراد برمز القايل
رجلان خياط واخر حايك يتقابلان على السماك الاعزل
مازال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل
ومواضع هذه القوى مبرهنة في صناعة الطب فان
الافات متى نزلت بهذه المواضع عدمت المنبتات وزعموا
ان القوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات تحفظ تلك الصور
فتبقى فيها بعد قبولها بحسب الحواس الحس اذا تكرر ذلك
عليها والشي يحفظ الشي بغير القوة التي بها يقبل اذ الما
يقبل الانطباع ولا يحفظ بخلاف الشمع فانه يقبل بالرطوبه
ويحفظ باليبس والحافظة تصون المتخيلة كما ان القوه
الذاكرة تصون الحافظه والقوه المحركة اما باعثة على الحركة
واما مباشرة للحركة فالحركه الباعثة هي القوة النزوعية
الشوقية ومتى رات امرا لا ترغب فيه او ترهب منه بعثت القوة
المحركه المباشرة على الفعل فتبعث في الاعصاب والعضلات
والرباطات من القلب ما يبسط من جهة اليد او يقبض اليه
اذ هي اذا فرحت نشرت الدما في العروق وكان الفرح واذا

حزنت

حزنت انجذبت فانجذب الروح الحيواني الى القلب فاغتم وحزن
ثم من شان هذه النفس ادراك المعلومات المغيبه ولها
قوتان اما عمليه واما علميه والعملية قوة هي مبدا محرك
لبدن الانسان الى الصناعات الانسانيه واما العلمية
فهي المدركه لحقايق العلوم مجردة عن المادة والصور وهي
القضايا الكليه المجرده وهي العقل وبهذه القوة تتلقف
عن الملايكه العلوم وبالقوة الثانيه تصلح ما وكلت به من
الامور الجسمانيه وهذه الامور كلها محسوسة مستند
محل برهانها الى الحس فلا نطول بتمهيده كما ان ما ذكرناه من
الجسمانيه اكثرها محسوسة وما غاب فقلدنا فيه المعنين
بالتشريح على انه اكثر ما يوصف واذا فهمت الجسم والقوى الحيوانيه
وان النفس هي المحركه الباعثه وان قواها بالاعتبار والاضافه
الى المواضع كما ان الثوب الواحد ولكن يسمى منه موضع كما
وموضع منه طوقا وموضع منه جيبا وقد قدمنا ان لها
قوتين عمليه وعلميه وان العلميه مستعدة لقبول العلوم التي ما
لا يتناهي بالقوة وان الجسم منفعل للقوة المحركه والمحركة العملية
تحت هذه العلمية الشوقيه النزوعية ومنها مبدا الفعل

الي ان يبرز ويظهر فان قيل فلم لا نري النفس فان رويتها
تدل علي صحة وجودها وهلا تخيلناها قلنا فهذه مسالتان
احداهما لم لا نري والثانيه لم لا نتخيل فالجواب عن احداهما
وهي لم لا نري ثلثه اجوبه احدها ان كل موجود ليس من
شرطه ان يري اذ صحة وجود الموجود لا يستدعي ان يكون
مرئيا فان الاحوال اللازمة للشي اما ان يكون ذاتيه واما
ان يكون عرضيه والموجود فشرطه من الاحوال اللازمة
وكونه مرئيا عرضي له اذ يثبت وجود الموجود مع عدم من
يراه ومع ذلك يثبت الموجود ولا يبطل وجوده عدم الراي له
والدليل علي ذلك وجود الباري سبحانه وتعالي في الازل
لا الي نهايه ولم ير حتي الان وذلك لا يبطل وجوده نعم
يستدل عليه اما بقضايا عقليه واما باثر يثبت للحس
فيقضي عليه وقد شهدنا اثار النفس ووجود انفسنا
بالضرورة اذ يبقي الجسم ولا روح له ويكون الجنين تاما ولا
روح له في الشهر ولا روح له الجواب الثاني ان المرأي
يجب ان يكون من الراي علي جهة وعلي مسافة ويكون قابلا
للالوان اذ هي العله في اظهار المبصرات وربما قلنا ان النفس لا

نقبل الالوان اذ اللون مركب من امور تجتمع الجواب
الثالث لابد ان يكون في حيز وسنقيم الدليل علي ان
القوه العقليه لا حيز لها الفصل الثاني النفس
جوهر قايم بنفسه ولابد من كشف هذه العبارة فنقول
النفس تطلق علي جهات فيقال للقوه الغاذيه نفس وكذلك
المنميه وكذلك النباتيه وهذه انفس وليست المراد في
هذا الغرض فاول النفوس النباتيه ثم الغاذيه
ثم الناميه ثم الحيوانيه وهذه اول مراتب خروج فعل
النفس من القوه الي الفعل فالنفوس الحيوانيه هي كمال
جسم طبيعي بها يحس ويتحرك والبهيمة والانسان يشتركان
في هذه النفس وهذه النفس هي حرارة مودعة في النطفة
ودم الطمث المجتمع في الرحم وحولها كالغلاف فاذا اسقط المني علي
بقيه دم مجتمع في الرحم انتشر عليه كالنتوء في اللبن وعقد
بجره وسخن وامتد بالحر من خارج وتزيدت الحرارة الغريزيه
فاول ما يتكون القلب ثم تنتشر منه العروق والعصب
وينفس ذلك الحر فيه الي ان يكمل اعضا الجنين ومن يوم
تسقط النطفه الي يوم خروجها مقدار ما تقطع الشمس ثلثه

ارباع الفلك فالنطفة تستمد الحر من جهة الام والام من
الاغذية فاذا دخلت في الشهر التاسع صارت كالمفتول الخشن
المشرب بالزيت الصافي في شدة الملاومة والتأني للاشتعال
وهذا مثل لان الاشيا اعضوا دون النفوس الحيوانية لباب
الغذا والنباتات والعناصر فاذا بلغت هذه الرتبه استحقت
من الجود الالهي نفسا فحينيذ يوجد الرب قوة من عالم الامر
كما قال تعالى قل الروح من امر ربي وقال تعالى روحا
من امرنا وقال سبحانه فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
والعالم من محدب الفلك التاسع من الصفحة التي تلي جهة
فوق والتي تلي اقدامنا الينا مملوء جنودا وملايكة وما يعلم
جنود ربك الا هو وقد تبرهن في العلم الطبيعي انه لا يجوز
ان يكون عالم خارج الكرة التاسعه فان لا خلا البته وان كل
موجود للباري تعالى فهو داخل في جوف هذه الكره
فاما الاجسام فهي تستحيل عن العناصر الاربعة وكل ما تحت
مقعر فلك القمر مستحيل متغير والعناصر فتستحيل بعضها
الى بعض وما علا ذلك فهو جواهر من جواهر اخر والنفس جنس
من تلك الجواهر لا من العناصر فهي روحانية محضة وهي نفس

صغيره موازنه لنفس العالم الكبير وقد تكرر منا ان الانسان
موجود على مضاهاة العالم والنفس جوهر روحاني
لطيف ولا يجب ان ينكر المنكر ذلك وهو يشاهد شعاع
الشمس وروحانيته وبساطته حتى ان قرصها يكون بالمغرب
وشعاعها بالمشرق فما هو الا مغيب خلف جبل ينقطع الشعاع
الذي بالمشرق بلا زمان ولو كان جسما لما انقطع ذلك في احاد
السنين ولذلك اذا اخذت مراة وعكست بها الشعاع
انعكس ذلك الى حيث شيت ثم تقطعه عن موضع عكسته
اليه لا في زمان وجوهر الشعاع بالاضافة الى جوهر
النفس كثيف فليس في العالم موضع بيت ولا زاوية الا
وهي معمورة بما لا يعلمه الا الله تعالى ولذلك امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالستر في الخلوة وهو ان لا يجامع الرجل
امراته وهما عريانان وقال الله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى في الانسان ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد والارواح مشحون بها العالم
وانما نبهنا على ذلك تنبيها ان النفس تشبه عنصرا يكون منه
ما يشاكل لطافتها فاذا ماتت اوجد الله سبحانه نفسا جوهرا

لطيفا روحانيا عالما بالقوة في طباعها ان تعلم الامور
وتعقل باريها فتتشبث بهذا الجسم وتشتغل به وتنشا
معه حتى لا تعرف سواه وتشتد الفته وحرصه عليه حكمة
من الله تعالى فحرك الاجسام وذلك كمثل الحديد فانه
يكون جمادا لا يتحرك فاذا انضاف اليه امر يقوي طبيعته
قوي الاثر فيه ويأتي المحل لفعل النفس الكلية فحرك الحديد
وجرى فتراه كالحي فلا يزال في تلك الحال حتى ينخرم ذلك
النظام وتزول تلك الملاومة فلا تزال هذه النفس مع
هذا الجسم تمدها الملايكة من خارج بنطق عقلي لا يعرفه
الا العلما وقد اخبر الشارع صلوات الله عليه وسلامه
ان الخير من الملايكه والشر من الشياطين فلا بد من اثر
يحصل عن الملايكة ولما كانت النفس روحانية قبلت عن
الروحاني وتاثرت عنه فلولا العقول المعبر عنها بالملايكة
الممدة للنفوس من خارج لما عقلت معقولا البتة فان
النفس عالمة بالقوة فقط والملايكة تخرج ما في القوة الى
الفعل حتى تصيرها عالمة بالفعل فاعلا طبقة في الاستمداد
للانبيا عليهم افضل الصلاة والسلام ثم من يليهم وذلك

 بحسب تهذيب النفس وعلوها على هذه الجنبة وهذا هو المعنى
بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس وقال سبحانه وتعالى
في الاوليا رضي الله عنهم اوليك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم
بروح منه ويتفاوت الناس في الاخذ عن الملك تفاوتا لا
نهاية له ومن الناس من لا ياخذ شيا وهم المرادون بقوله
تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا اوليك هم
الغافلون وانما اوجد الله سبحانه النفس لامتحان الادمي
ولو اوجدها مبراة من المادة لم يكن منها عصيان فجعلها
في مادة كما قال تعالى لننظر كيف تعملون وذلك ان الملايكة
عرفت ان الموجود في مادة يعصي فقالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدما فالنفس تكتسب في بدنها الكمال الذي تلتحق
بالملايكة او بالشياطين اما بالاعلا او بالاخس ثم هي بعد
ذلك حية لان كونها موجودة مع البدن لا يدل على عدمها
بعدم البدن فان عنصريهما مختلفان والدليل على ذلك ان
نفوس الملايكه عليهم السلام وذوات الافلاك لا تتغير
الا ان يعيد باريها والافلاك تقبلة بجواهرها ولان الفنا
هو انحلال التركيب والنفس بسيطة لا مركبة والدليل عليه

علمها بالامور العقليّة والمغيّبة كالنبوة والكهانه ولا
يصح البته ان يعقل الجسم باتفاق العقلآ والحكمآ والمزاج
عبارة عن اعتدال الاخلاط في الجسم والاخلاط جسم ويستحيل
ان تكون مدركه عاقله وانما العاقل المدرك جوهرٌ
يناسب جوهر الملايكه وكل جسم فلا يلايم الا جنسه ولما
كان الجسم كثيفا صرف في الخدمة والحركات والامور
الجسمانيه ولما كانت النفس لطيفه اعدت للارادات والقدرة
والعلوم حاله في النفس والعلم لا ينقسم فمحله لا ينقسم ولان
الجسم لو كانت حركته منه للزم في الفلك ان يكون حركته
منه وقد تبرهن ان حركته من نفس محركه وكل محرك فلا
يكون محرك نفسه اصلا وبطل ان يحركه جسم آخر اذ لو
حركه جسم لا ستبد هو بالفعل فبقي ان يحركه غير جسم
وغير الجسم لا تركيب فيه وما يفسد فانما يفسد باجتماعه
من متنافرات فينحل وقد تقدم ان النفس لا تركيبه فالنفس
لا تنحل وما لا ينحل يبقى فالنفس لا تنحل فالنفس تبقى ثم
نقول جميع ما هو موجود فهو اما قايم بنفسه واما على ما
يعتقده المتكلمون فان الجواهر عندهم متماثله ولا فرق بين

146 جوهر النفس وجوهر الجسم وانما تختلف الجواهر عندهم
بالاعراض ويستحيل ان يكون الجوهر عندهم يحل في الجواهر
او يقوم به فلو كان الجسم جوهرًا والنفس جوهرًا لم يصح ان
يكون النفس صفة للجسم ولا اولا منه لتماثلها في الجواهر
واذا بطل ان يكون جوهرا او عرضا لم يبق الا ان يكون
جوهرًا قايما بنفسه ليست بجوهر ولا عرض فان قيل
لا يعقل في العقل الا جوهرًا او عرضا واما جوهر ثالث
فلا يدرى قلنا هذا الآن سخف بل ليس في العقل حصر يدل
على ذلك وانما اوجب تلك القسمه المشاهدة من حيث لم
نشاهد الا عرضا او جوهرًا وهذا قياس التمثيل وهو
قياس باطل وسنعيد كتابا لتقرير البراهين ان ساعدت
الاقدار بحول الله تبارك وتعالى واذا ثبت وجود معنى ثالث
بالبرهان قلنا هذا المعنى لا يخلو ان يحب له المحل او يجوز
عليه او يستحيل وباطل ان يجب له فان الواجب العقلي لا يفتقر
الى مخصص وذلك يلزم ان يكون النفس ابدا غير خاليه عن محل
ونحن نشاهد تركها للبدن ولا بد من ان يمر عليها الا يكون فيها
في محل هذا لو قلنا انها تنتقل من هذا الجسم الى جسم اخر

فنقول ما بين الانتقالين لا تكون في جسم والحكم الواجب لا
ينتقض في زمانين ما ثم نقول انها تنتقل الى محل فعليه
الدليل وهذا لا يقوم عليه دليل البتة واذا بطل ان يكون
المحل واجبا لها بقي ان يقال جايزا عليها وما جاز على الشي
افتقر الى مخصص والمخصص لا يوثر في محل الا ان يكون
المحل قابلا للتاثير وقد قدمنا ان النفس يستحيل انطباعها
في الجسم فصح وثبت انها يستحيل عليها المحل **الفصل
الثالث** وقد قدمنا اختلاف الفرق في ماهية
النفس وتقدم مذهب كل فريق والذي نخص به الان هذه
المسالة ان نقول فنحصر المذاهب في مذهبين اما ان يقال
ان النفس قديمة على مذهب افلاطون فان الباري سبحانه
عنده علة وجودها والمعلول عنده لا ينعدم هذا مذهبه
وذهبت طايفة من محققيهم الى ان النفس محدثة وهو
مذهب ابن سينا ولكن اتفق الكل على انها لا تنعدم وبذلك
اخبرت الانبيا عليهم السلام قال الله عز وجل خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم

يرزقون وقال عز وجل في نفس الكافر لا يموت فيها ولا يحيى
وقال سبحانه في اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى فاذا هم طرفان احدهما عدمها واتفق
الموالف والمخالف على انها لا تنعدم حاشا طايفة من الدهرية
لا التفات اليهم **الطرف الثاني** وهو ابتداوها فذهب
الاسلاميون والقايلون بالشرايع الى انها محدثة لكنها
جوهر لا تقبل العدم وذهبت طايفة من الفلاسفة
الى انها محدثة ولكن مذهبهم يعود الى مذهب افلاطون
وذلك ان معنى الحدوث عندهم انتقال ماهية الجوهر كالما
اذا اشتعل تحته النار يفنى فلم يبق تحقيقا لكن الما عندهم
استحال هوا وكذلك الهوا استحال نارا فالحدوث عندهم
عبارة عن انتقال جوهر من حالة الى حالة كانتقال الما الى
الهوا والذي يرجع اليه مذهبهم والله اعلم ان العناصر
الحاصلة في مقعر فلك القمر المنفعلة عن الافلاك تولد
النفس منها وحاصل ذلك راجع الى اشعة الكواكب ولكن
عندهم بين النفوس والاجسام مناسبة وعلاقة لا بد منها
وذلك يكون في ابتدا الجسم الكاين من الاغذية بان تكون

تلك الانفس ما بين الزوج فاذا انفعل الجسم وخرج الى
صفة العالم من طالع مخصوص انحرف اشعة الكواكب الى
الجسم بمناسبة مختصة بالطبع وعلى هذا بنوا الطلسمات
فان ابن ادم عندهم طلسم فيحتالون بابخره وجواهر وعقاقير
مختصه بالطبع من جواهر الارض تلايم طبيعة الكواكب
والحب والمنافره عندهم على قدر تناسب الطبع ولهم في هذا
كلام طويل والذي يقوم عليه البرهان ان النفس حادثة
والله تعالى موصوف بالاقتدار على خلق جواهر لا تعدم
وسنورد ان شا الله تعالى اصل مذهبهم في المعراج الثالث
في حدوث العالم العلوي فلا معنى لايراد ذلك في هذه فنتكلم
على انها لا تعدم فنقول الشي لا يوصف بالعدم ما
لم نقل انه قابل للعدم فاذا كانت النفس قابلة للعدم فلا
يخلو ان يكون ذلك في طبعها ويكون العدم ذاتيا لها واما ان
تعدم لاختلال شرط في وجودها واما ان تعدم لارادة
باريها ان تنعدم وباطل ان يكون العدم من صفات ذاتها
اذ ذلك يودي الى ان لا تبقى زمانين وهو محال وباطل ان
يقال هي باقيه بشرط اذ قدمنا ان القايم بنفسه لا يفتقر
الى

١٤٧

148 الى شرط وباطل ان يقال تعدم لارادة باريها فان ارادة
باريها لا يعلم الا من جهة الرسل عليهم السلام وقد اخبرت
الرسل عليهم السلام انها لا تنعدم والله الموفق

المعراج الثالث

لم يختلف احد من ذوي
العقول ان الصورة الجسمانية الحادثة في عالم الكون
والفساد حادثة مفتقرة الى علة وجودها اما باري واما
طبيعة على ما قدمناه وعالم الحس والشهادة والكون
والفساد وكلما حواه فلك القمر وكلما حصل في العوالم
العلوية وهي نفوس الافلاك وعقولها وما فيها من الكواكب
وغيرها فاطبقت الفلاسفة على قدم ذلك بلا خلاف في
الاعتقاد واختلفت عباراتهم في التعبير عن حصولها عن
الباري تبارك وتعالى وهو المبدا عندهم ويجري المبدا
الثاني الذي هو علة لما تحته من الباري سبحانه مجرى النور
من الشمس ونور الشمس ضروري الوجود معها فلا ينعدم
والباري سبحانه عندهم علته وهو معه كالمعنى الطبيعي
وغير متقدم عليه التقدم الطبيعي الدخيل ومعنى تقدمه
عليه بالمرتبه كتقدم الملك على الوزير والوزير على الحاجب ثم

بلغ

سموه بعد ذلك حدوثا وفعلا وفيضًا وكل ذلك على طريق
المجاز لا على طريق الحقيقه والعالم عندهم ينقسم الى قسمين
قايم بنفسه وغير قايم بنفسه فما ليس قايم بنفسه هي
الاعراض وحدوثها عندهم من دوران الافلاك والانتقالات
فتسري الادوار من شي الى شي وتكتسب الجواهر بذلك
احوالا وما هو قايم بنفسه منقسم الى ثلثه اقسام
اجسام وهي اخس الجواهر وعقول وهي اشرف
الموجودات ونفوس وهي واسطة بين الاجسام
والعقول وهي في حكم الواسطه بين العقول والاجسام
كالحرف الرابط بين الاسم والكلمه وهي غير موثرات في
الاجسام ثم الاجسام عشرة تسع سموات والعاشر
العناصر التي هي حشو فلك القمر ثم السموات التسع
حيّة عندهم ناطقه لها ترتيب ودرجات وهوان الباري
سبحانه وتعالى عن قولهم فاض عنه على الطريق الذي
الذي ذكرناها العقل الاول وهو العلم والكلمة
عند اكثرهم وهو جوهر قايم بنفسه ليس بجسم ولا منطبع
في جسم يعرف نفسه ويعرف باريه وهو ملك وربما

زعموا

زعموا انه هو العلم ثم لزم عن وجوده ثلثه اشيا عقل
ونفس وفلك وهو الفلك الاقصى التاسع وهي السما وجرمها
ثم لزم من الثاني عقل ثالث ونفس فلك الكواكب الثابته وجرمه
ولزم عن العقل الثالث عقل رابع ونفس فلك زحل وجرمه
ولزم عن العقل الرابع عقل خامس وهو نفس فلك المشتري
وجرمه هكذا الى فلك القمر ثم المواد تصير في سبب حركات
الكواكب امتزاجا محكما مختلفه ينفعل منها المعادن والحيوان
والنبات والعقول عشرة والافلاك تسعه فمجموع ذلك
تسعه عشر وزعم بعضهم ان ذلك هو المراد بقوله تعالى
عليها تسعه عشر وزعم بعضهم ان ذلك الاثنا عشر برجا
والسبع الدراري والى هذا يرجع حقيقه مذهبهم وعليه
مدار ساير مذاهبهم في كل فن واتفقوا على ان الله تبارك
وتعالى واحد وحدانيه محضة لا تقبل الانقسام لا بالحس
ولا بالعقل ولا غير ذلك وانه لا معنى له يزيد على ذاته من
علم او قدره او غير ذلك هذا هو مذهب المحققين منهم الذين
اتفقوا عليه وما يظهر من اختلاف في اقوالهم لتحيير جالينوس
حيث قال لا اعلم قديما او حادثا فقد قال الفارابي من

محققيهم ان ذلك ان العالم يتعارض عليه معنى وهو ضربان لانقسامه
في نفسه الى القديم والحادث فاذا افرد الكلام ارتفع
الغلط فمعنى قولهم العالم محدث له معنيان احدهما حقيقة
والثاني مجاز فاما ما هو حقيقة فهو تركيب الصورة في
عالم الكون والفساد من المادة واما المجاز فتسميتهم العلة
الاولى حدوثا وفيضا وذلك راجع الى تسمية مجردة فانه
لا يصح عندهم ان يصدر حادث من قديم البتة ولنرسم
فصلين احدهما يقتضي الدلالة على ان العالم محدث ويتضمن
الثاني الكشف عن ادلتهم في ان السماحية

الفصل الاول

لهم على مذهبهم ادلة نوردها وننفصل عنها
قالوا يستحيل ان يصدر حادث عن قديم حدوثا لا واسطة
له لان الدلالة اذا فرضنا وجود في الازل لا موجود معه
البتة فالموجودات لم تصدر عنه لان ايجاد لم يظهر به بل
كان عنه في حيز الامكان المجرد ثم انه حدث العالم فاحداثه
لا يخلو من حالين اما ان يكون بقي على حالته الاولى واما
ان يكون حدث له صفة تقتضي الاحداث وذلك يلزم
السؤال تسليم فيقال لم خصص هذا الوقت بالفعل دون

دون الفعل السابق ويحال الامر على فقدانه ووجودها
وبطل ان يكون لارادة حادثة فان الحادث لا يحل القديم
ويبطل ان يكون لارادة يخلقها في محل ثم يريد بها وكل هذا
باطل واما قولهم انه لم يفعل ثم فعل فذلك يوجب تغيير
حال قلنا ذلك باطل فانه سبحانه لم يزل عالما ولا يزال
ومقتضى علم ايجاد الخلق في الابتداء الذي اوجدهم فيه
وقصد الى خلقهم حين ابتدا خلقهم وذلك راجع الى اظهار
الفعل وليس من شروط العالم اذا كان قادرا ان يلازم
المعلوم والمقدور والباري سبحانه وتعالى لا يقال له لم
فسيسقط ما موهوا به فان قالوا الباري تعالى لا علم
له قلنا هو عالم لا يتغير عما علم في وقت ما لا في الماضي
ولا في المستقبل كما يدل عليه ومن الدليل على حدوث هذا
العالم ان في القول بتقدمه اثبات حوادث لا نهاية لها فان فلك
الشمس يدور في سنة فتقع ادوار الشمس في ادوار زحل
في ثلث العشر وتقع ادوار الشمس في ادوار المشتري في
نصف السدس فانه يقطع مدة اثنا عشر سنة فاذا
دوران زحل لا نهاية لاعدادها وكذلك الشمس وكذلك

المشتري وكذلك يبطل ان يقع الشمس لاحدهما في التكسير
علي ما وصفوا بل فلك الكواكب الذي يدور عندهم في ستة
وثلاثين الف سنة مرة ثم نقول اعداد هذه الدورات
لا تنفك ان تكون شفعا او وترا او لا شفع ولا وتر وباطل
ان يقال لا شفع ولا وتر فان العدد اما شفع او وتر وقد
صححتم هذه المقدمة في المنطق وكذلك ان قلتم شفعا ووترا
فان قلتم شفعا فما لا نهاية له يعوزه واحد ليصير العدد
به وترا ومحال ان يعوزه فان قيل وترا ثبتت النهاية
فان قيل ما لا يتناهي لا يقبل الاتصاف بالشفع والوتر
قلنا هذا محال اذ جملة قامت من سدس وعشر يقبل ذلك
بالضرورة وغاية كلامهم مطالبة الباري تعالي بلم خصص
وقت المبدا من غيره وهذا الاعتراض لا يعقل له مناسبة
ولا يلزم بحال وكل ما يهذون به يحمل علي العلم والارادة
علي اننا نقول ربما نقول الاصلح بهم خلقهم في الوقت الذي
وجدوا فيه **الفصل الثاني** وهذا الفصل
ينقسم الي ثلثة اقسام الاول في ذهابهم الي ان السماء
حية الثاني قولهم ان السما عالمة بجزيات العالم الثالث

في

في ترتيب الحركات قالوا السما حية ولها نفس نسبة
نفسها الي جسمها كنسبة انفسنا الي اجسامنا وكما
تنقسم حركاتنا الي الطبيعة والارادة كذلك حركة هذه
ارادتها وطبيعتها قصدها عبادة رب العالمين والتقرب
منه اذ كل تحرك ارادي لغرض اذ بذلك يفارق العاقل
ساير الحيوان ثم قصد التقرب والغرض عندهم التشبه
بالباري سبحانه وتعالي في الصفات لا في الذات فان الكمال
الاعظم والبهاء الاتم والجود الافخم لله رب العالمين
وكل وجود بالاضافة الي وجوده ناقص فالملك اقرب اليه
ونعني بصفات الباري سبحانه العلم والحلم والجود والرحمة
والنزاهة عن الظلم الي غير ذلك والانسان متي استعمل
هذه الصفات قرب من الملك فهو قرب مناسبة في الخلق
والصفات لا في المكان وكذلك الملايكة مع باريهم قالوا
ومنتهي طبقة التشبيه بالملايكة والملايكة عندهم عبارة
عن النفوس المحركة للسموات قالوا وكما لاتها تنقسم الي ما
بالقوة والي ما بالفعل فما هو بالفعل كمال علي شكل كري
وذلك بالفعل حاصل ابدا وما لها بالقوة والهيه في الموضع

والاين وكل موضع ممكن لها ولما لم يمكنها عموم اثباتها تحركت
بنعتها فلا تزال تطلب وضعاً بعد وضع وانما قصده
التشبه بباريه في صفات الكمال فهو يتحرك لافاضة
الجود على ما تحته من العوالم اذ ليست تختلف في التثليث
والتربيع والمقابلة والطوالع وهذا كلام لا يوجها يقوم
عليه برهان فان الحركة المشرقية هلا كانت مغربية
وهلا كانت المغربية مشرقية فاما عنوان كلامهم وادلتهم
في انها حية فزعموا ان السما متحركة قالوا وهذا معلوم
بالحس والضرورة وكل جسم متحرك فله محرك ولا بد وهذه
المقدمة احرى اذ لو تحرك الجسم بمجرد كونه جسما لكانت الاجسام
كلها متحركة والمحرك لها اما ان تكون طبيعية لها كهوي
الحجر الى اسفل واما ان يكون المحرك خارجا عنها كرامي
الحجر الى فوق فيكون قاسرا له على ذلك واما ان تتحرك
بارادتها وبطل ان تكون حركتها قسرية لان محركها اما
جسم فيلزم فيه ما لزم في هذا واما ان يكون محركها الله
تعالى بغير واسطة قالوا وذلك محال لانه لو حركه من
حيث انه خالقه للزم ان يحرك كل جسم فلا بد من اختصاص
الحركه

152

الحركه بمزيه ولا يمكن ان يقال يحركها بالارادة لان ارادته
تناسب الاجسام نسبة واحدة فلم خصت هذه بالتحرك دون
غيرها والحركة الطبيعية فيها محال لان الطبيعية تلزم
ضربا واحدا ثم الحركة الدورية لا يصح ذلك فيها فان
كل مهروب عنه فلا يلزم عودها اليه فتتساوى الاماكن
ونحن نسلم جميع ما ذكروا حاشا قولهم بطل ان يتحرك
لارادة الله تعالى اذ يلزم من ذلك في كل شكل السما
وتحريكها على نقطتين ولم اختصت بهذه الصورة ٥
القسم الثاني قالوا اذا صح ان السما متحركة بالارادة
فهي عالمة مطلعة على جزئيات العالم قالوا والمراد باللوح
المحفوظ نفوس السموات وان انتقاش جزئيات العالم
فيها كانتقاش المعلومات في القوة في الانسان قالوا
والملائكة السماويات نفوس السماوات والكروبيون
المقربون لا يتصرفون في الاجسام واستدلوا على ان السما
عالمة بالجزئيات بان قالوا الحركة الدورية ارادية
والارادة الكلية لا يصدر منها شي فان كل ما خرج الى الفعل
موجود وجزئي ونسبة الارادة الكلية الى الجزئيات على

والارادة تتبع المراد والمراد الكلي لا يتوجه اليه الارادة الكليه صح

وثيرة واحدة فلا يصدر عنها شي جزئي كل ما خرج الى الفعل
موجود وجزئي ونسبة الارادة الكلية الى الجزئيات
بل لا بد من ارادة جزئية للحركة المعينة وذلك يلزم تصور
مرادها واذا ثبت تصورها للجزئيات علمت ما يلزم منها من
اختلاف النسب من الارض من اختلاف اجزائه في الطلوع
والغروب والاستواء فاذًا الحركات السببية للمسببات
سلاسل ينتهي الى الحركة السماوية الارادية والانسان
انما لا يعلم ما يقع في المستقبل لجهله بالاسباب وهذا
كله باطل في حق السما فانه مود الى تتابع حركات لا نهاية
لها وهذا محال نعم يصح هذا في حق الباري سبحانه وتعالى
حيث ان المعلومات عنده على وتيرة واحدة تابعة لارادته
وعلمه وذلك كله لا يلزم عن شكل يوجب له ذلك او دوران ما
لزم عن شكل ودور افتقر الى مريد موجد لذات الشكل
والدور فمريد بالعلم اولى وبطل تساوي الخالق والمخلوق
فانه اذا علم الفلك لوازم الحركات الى ما لا نهاية له وعلم
الباري سبحانه لوازمها الى ما لا نهاية له فلا يخلو علماهما
اما ان يتطابقا او يتضادا ومتى تطابقا او تضادا فهو نقصان

لمن يستحق الكمال لا تم وقد اتفقوا على ان الباري سبحانه
وتعالى منفرد بذلك **القسم الثالث** ما ذكرناه
في القسمين السابقين ينقسم الى ما لا يصح ولا يقوم عليه
برهان والى ما يقوم عليه برهان كعلمنا ان السموات متحركة
وان الحركات مختلفة في التغريب والتشريق اختلاف المطالع
والمغارب وتعلق الحوادث بذلك لكنا نزعم ان ذلك تابع
لارادة الباري سبحانه وتعالى وعلمه به في كل دقيقة من
الزمان وهم يزعمون ان السما ونفوس الافلاك مستقلة
بذلك من جهة ارادتها وعلمها فنجعل هذا القسم ثلثة
فصول **الفصل الاول** في ان الله سبحانه
عالم بالمعلومات **الثاني** انه مريد للكائنات ن
الثالث في غرض القسم في ترتيب الحركات
فصل اتفق المثبتون للصانع على ان الله
تعالى عالم واختلفوا فيما به عالم وهل علمه زائد على الذات ام
لا وهذا الاتفاق في اثبات العالم كاف ونزيده بيانًا بان
نقول لا يخلو العالم ان يكون له محدث ولا محدث له فان لم
يكن له محدث بطل ما قدمناه وان كان له محدث لم يخل ان

يحدثه وهو عالم به او غير عالم به فان قيل احدثه ولا علم له
به فهو اما مقهور او ذاهل وهذا باطل اذ ذلك محال
وقد تقدم ما ينفيه فلم يبق الا انه عالم فان قيل انه
عالم بالكليات واما بالجزئيات فلا فذلك يوجب تجدد علمه
بتجدد الحوادث وذلك باطل والذي يلزم في حدوثه
جزء منه فان الحدوث لا يختلف ولو صح ان يحدث خردلة
دون علمه لجاز ان تحدث السموات دون علمه فان قيل
سلمنا ان محدثا لا يحدث وهو لا يعلم بل الملايكة
الموكلون بذلك في علمهم بالمعلومات استقلال فهذا
منتهى شبههم قلنا ذلك محال فان الباري سبحانه وتعالى
عندهم عقل محض ومن شرط العقل المحض المبرا عن
المادة ان لا يجهل معلوما وانما طرى الجهل على الانسان
من حيث هو في مادة فاشتغل بها عن غيرها فنقول
قد علمتم ان السما عالمة بالجزئيات فهلا اوجبتم ذلك
لرب العالمين على الوجه الذي اثبتموه للسما فان قالوا
يلزم طرو الحوادث عليه قلنا لا يلزم لان علمه قديم
علم ما يكون من تركيبات العالم وانتقالاته الى منتهى

للعالم وعلى اصلكم من حيث علم الاسباب الاول يلزم
علمها وتوابعها وتوابع توابعها فان من علم السبب وما
من سبب الا وله مسبب هكذا الى منقطع السلسلة
ثم الحدوث التغير يطرأ على الحوادث وهي جارية على ما علم
فعلمه واحد لا يتغير وانما تغيرت هي من حيث علم تغيرها
في علمه انها ترتبت بعضها على بعض فان قيل فهل علمه
زايد على ذاته وهو غير ذاته قلنا ذهبت المعتزلة
الى ان ارادته غير علمه وذهبت الاشعرية واكثر
الفرق الى ان علمه غير ذاته والذي اعتقده ان الله سبحانه
وتعالى عالم وقد قام الدليل على علمه فهذه المقدمة
الثانيه ان ثبت ان اثبات كون العالم مغايرا للذات وهذا
محال وذلك ان نقول لا يخلو العلم ان يكون نفس
الذات وهذا لا نعتقده او نقول انه زايد عليها
وهو مذهبكم فاذا كان زايدا عليها فلا يخلو ان يستقل
دون الذات بان يكون واجب الوجود او يكون الذات شرطا
فيه فان استقل دون الذات وكان قديما قايما بنفسه فهما
الهان الذات والعلم وذلك محال فان قيل الذات من شرطه

قلنا لا يخلو ان يكون قديما فان كان قديما بطل ان يكون
القديم شرطا للقديم وان كان محدثا لا يخلو ان يقوم بذات
الباري سبحانه او بغيره فان قام لزم قيام الحوادث بذاته
وهذا باطل وان كان بغيره فالعلم اذًا ليس من صفات
ذاته فان قيل فهذا اذًا نفس اعتقاد المعتزلة قلت نقابل
فهم في فصل وهو ان مذهبنا ان الله سبحانه عالم بالكليات
والجزئيات ولا يطلق عليه لا عله ذاته ولا غيرها لان الحكم
باضافة اسم الي الباري سبحانه واطلاقه طريقه الشرع
وليس في حكم الشرع ما يدل علي ان العلم زايد بل ورد ذلك
منتفي وشهدت ادله العقول علي ان الله تعالي عالم وان
العلم لا يصح ان يكون موجودا قديما قايما بنفسه مستغن
عن الباري سبحانه وبطل ايضا ان يكون قديما مفتقرا
الي شرط **الفصل الثاني** هذا الفصل مقصود
الارادة وهي مسالة مشكلة وعليها ابتنا تعطيل
المعطلة فلا بد من تفصيل القول فيها ان الله تعالي مريد
فنقول الارادة حقيقتها المفهومة اجماع النفس عند
الفعل عند استنباط القوة وتحركها اليه في القوة

الجبا اليه في شي يرغب فيه او يهرب عنه وهذا الوصف
مستحيل في ذات الباري سبحانه **فاذًا الارادة
الالهية** عبارة عن ايقاعه الفعل من انه غير ذاهل
عنه والقصد الي احداث المحدث والعمد اليه يسمي اراده
وحقيقه ذلك يؤول الي خروج الفعل من القوه الي
الفعل وقد قام الدليل علي ان الله تعالي عالم وانه مبدي
العالم وثبت افتقار العالم اليه واتفقوا علي ذلك الكافه
وان سموه علة فقد اطبقوا علي ان العالم لا قوام له دونه
وثبت علمه به وعلمه تعالي بالمعلومات فيما كان او يكون
علي وتيرة واحدة لا يتغير ولا يجهل ولا يذهل والعلم متي
اضيف اليه فهو قبل الفعل ابدا او دايما بعده ثم تعلق
العلم بانه سيكون واذا اضيف الي جهة المعلومات
فتنقسم المعلومات في حقه الي ما يكون والي ما كان فكل
ما يكون فهو في القوة وما كان فقد خرج الي الفعل
فتتغير حال المعلوم وهذه قاعدة عظيمة اذا فهمت علي هذه
الرتبة واذا تقرر هذا فكل ما هو في القوة ان سيكون
فالرب سبحانه مريد لان يكون من حيث رتب تعالي الاسباب

علي ما جري به علمه فهي مطابقة علي ما سبق به العلم فاطلاق
الارادة في هذا الموضع علي معني ان المراد معلوم ونظم
القياس كل مراد فمعلوم وكل معلوم فجار علي ما
اراد الله عز وجل وكل مراد فمعلوم وكل م جار علي ما
علم الله تعالى واذا صح ان يكون المعلوم علة المراد الذي في
القوة فما هو بالفعل تابع لما في القوة والامر ظاهر فما
خرج الي الفعل فنفس حدوثه دليل علي ايقاع الله تعالى
له وايقاعه له هو المطلوب بالارادة والارادة تابعة
للعلم فان قيل فالمعلومات هل هي متناهيه قلنا هذا
السوال يفتقر الى تفصيل ولا يخلو السايل ان يضيف التناهي
الى المعلومات والي علم الباري تعالى فان اضافه الى
المعلومات فمن ضرورة العقل ان يكون المعلوم محاط به وكل
محاط به فمحدود وكل محدود فمتناه وكل معلوم متناه كان
المعلوم في القوة او خرج الي الفعل فاذا العالم باسره من
الكرة التاسعة وما تحويه وتوابعها من اجناسها وانواعها
وما يلزم عنه متناه محصور في علم الباري سبحانه وتعالى
فان قيل هذا مسلم ولكن السوال هل الباري سبحانه

وتعالى عالم بما لا يتناهي ام لا قيل هذا سوال يستحيل
من هذا الوجه فان كل معلوم متناه وكان حاصل السوال
ان تقول كل غير متناه متناه اولا وهذا انحراف عن
صوب الصواب فان قيل فهل يقال يصلح ان يكون العلم
حاصرا لما يتناهي ام لا قلنا العلم في نفسه لا يصح الاتصاف
به متى فرض الا مضافا الى معلوم والا بطلت خاصيته فمتى
اضيف كان المعلوم منحصرا فبقي ان يقال ذلك علي وجه
واحد وهو ان يكون للعلم القديم تعلق بازاء عوالم تتعاقب ومتى
اضيفت الى نفسه انحصرت ومتى اضيف الحصر والتناهي الى
علم الله تعالى بطل لان العلم لا يقال فيه متناه او غير
متناه وهذا اصل الغلط فربما ظن من لا حقيقة عنده
ان المعلومات متى كانت متناهية كان علم الله سبحانه
متناهيا وهيهات ما قدروا الله حق قدره فالمعلومات هي
المتصفه بالنهاية من حيث تقبل التناهي حتى زعم اكثر
المتكلمين ان الكيفيات لا يقال فيها متناهية او غير متناهيه
فكيف بعلم الباري تعالى فانه ليس من قبيل الاعراض ولا
من قبيل الجواهر فكيف ما ادرت المسالة رجع حكم النهاية

الي المعلوم لا الي العلم وذلك لا ينقص من قدر الله تعالي
ولا يقال له بذلك عاجز

الفصل الثالث

لا خفا علي ذي بصيرة احاط علما بما قررناه من افتقار العلم الي
الباري تعالي واثبات العلم له وان المعلوم لا يخرج عن
العلم اذ ذرة في السموات او في الارض لا تتحرك او تسكن الا
وهي مقيدة في علم الباري سبحانه وتعالي في كتاب لا يضل
ربي ولا ينسي وما من حركة ولا قبض ولا بسط ولا وسوسة
ولا هاجس الا والباري تعالي عالم بذلك الان كما علمه في الازل
وكعلمه بعد انقضا الفعل فكيف لا وقد قدمنا ان اكثر
المنتهين الي الحذق والعلم بالاله جل جلاله برهنوا علي ان
الفلك عالم بجزئيات العالم وهم قد اقروا بان الفلك مسخر
مدبر عليم قاصد بحركته التقرب لباريه تعالي فمن اولي
بصفات الكمال السيد او العبد فسبحان ذي العرش المجيد
والبطش الشديد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وهو ادني الي عبده من حبل الوريد ما يكون من نجوي
ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادني من
ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبيهم بما عملوا يوم

157 القيامة ان الله بكل شي عليم وقال سبحانه وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا
يابس الا في كتاب مبين وهذه الاية من الاي التي هي ام الكتاب
فذكر تبارك وتعالي ان عنده مفاتيح الغيب ومن قام عنده
البرهان بما تقدم طلب معني يحمل المفاتيح عليه وقد اهتدت
الفلاسفة اليه لو انصفوا فوا ذلك الي رب العزة فان
الاسباب ومسبباتها علمها الله تعالي ويصح ان يعلمها
اولا ثم لا يعلمها بعد حدوثها اذ ذلك يودي الي التغير ويبطل
ان يعلمها علما كليا ثم يستحيل له علم عند حدوثها وذلك ايضا
باطل وصح ان الله تبارك وتعالي عالم بها قبل كونها عالما
بدقايقها لا تتعدوه فلو صح ان تتعداه لخرج ان يكون عالما
بها واذا ثبت ذلك بحسب ما ترتب في العلم ترتب في الوجود
فلا يعدوا منها شي علمه وان اردت مثلا فالخبز لا يخبز ما
لم يكن عجينا ولا يصح ان يكون عجينا ما لم يكن دقيقا ولا يصح
ان يكون دقيقا ما لم يكن قمحا او حنطة ولا بد من طحنها ولا
بد من حجر وطحين ومن محرك للرحا وصفات المحرك فهذه

اسباب لازمة ضرورية لابد منها فهكذا فافهم الباري سبحانه
مع علله فالاسباب هي المفاتيح والمسببات هو المفتوحات
بها ولا يصح ان يستولي عليها غيره ومن علم بعضها فبعلمه
ومن علم بعضا لا ياتي عليها جميعا كاينا من كان نبيا مرسلا
او ملكا مقربا وذكر تبارك وتعالى الظلمة نهاية في تعظيم علمه
بالاشيا الغامضة التي في نهاية الغموض وكذلك ذكر
الرطب واليابس من حيث ان كل رطب يقتضي البارد والحار
وكذلك اليابس اذ كل ذلك من ضرورته فالسموات والارض
وما فيها في علمه وله المثل الاعلى كسفرة بين يدي احدنا
يدبر فيها ما يشا وعلمه بجزئيات الامور وما بينهما الي
علمه وقدرته انزر واحقر من تشبيه السفرة الي احاطة
علم بها بما لا يتقدم ولا يتناهى فانما هو ضرب مثل لكنه تعالى
يتقدس عن الجوارح والادوات والمباشرة وكان اللايق بجلاله
ان ينفعل الاشيا له بمجرد قصوده لكونها ولكن خص بعلمه
وحكمته ان يكون العالم على نظام وترتيب ليترتب بعضها على
بعض وعلى بعلمه بالضرورة فلا ينكر ولا يتمارى فيه ولا استحالة
فيه وانما الممتنع ان يكون في ملكه ما لا يريد او يفعل شيا محدثا

دونه

دونه او يحدث ما لا يعلم في ملكه تعالى وتقدس في ذلك سبحانه
واذا حصلت ما تقدم علمت ان مبدا الحركة منه تبارك وتعالى
اذ قام البرهان على جري العالم كله وترتيبه على علمه السابق
وان علمه لا يتغير وتقدم لك ان العالم منفعل له وذلك عندي
لازم للعالم لزوما ضروريا وهو تعالى له مختار والحديد منطبع
للمغناطيس بخاصية فيه هذا في عالم الحس فما ظنك برب
العزة ذي الجلال والاكرام والكمال فاذا فهمت هذا فاعلم
ان الحركات ثلثه اما على الوسط كتحريك الافلاك واما
من الوسط كالهواء والابخرة الصاعدة علوا واما الي
الوسط كحركة الحجر الي اسفل يطلب مركزه بطبع فيه ثم
هذه الحركة ضربان ضروريه واختياريه ولها نسبتان نسبة
الى نفسها ونسبة الي باريها فمتى اضيف فعلها الي باريها
فهو مختار لها باجمعها ليس شي منها الا بتدبيره وحكمه
وقضائه وحكمه له اقتضت كونها على جهة مخصوصة وزمان
معين وشخص معين تقدمت تلك الحركة او تاخرت كانت
بالقوة او بالفعل وهذا مبرهن لازم ضرورة واما النسبة
الثانية وهي نسبتها الى المتحركين فتنقسم ثلثه اقسام اما

مختارة وهذا يختص بالحيوان واما مضطرة وهذا يشمل
الجماد وهو اما لازم واما عرضي فاما الافعال المختارة فهي
موقوفة على اشارة النفس وتحركها والاشيا تحت النفس طايعة
لها انطياع النفس لباريها جعل ذلك في طبيعة الخلقة ٥
والنفس متعلقة باشارة العقل والعقل منفعل لباريه
واما نفوس الملايكة فحركتهم الاختيارية عن عقولهم وعقولهم
عن باريهم فلا عصيان في افعالهم البتة لا يعصون الله ما
امرهم ويفعلون ما يومرون فهم ابدا جارون على علم الباري
تعالى وموافقون لما يرضاه واما غير ذلك من الحيوان المركبة
في المواد فلما لم تكن مجردة عن المادة وكان لها علوق بالابدان
وكان للنفس جنبتان جنبة الى الملا الاعلا وجنبة الى العالم
الاسفل ونعني بذلك كونها كالفصل المشترك اي هي مامورة
بان تراعي جهتين جهة الملايكة وان يكون متشبهة في الفضايل
بها وان تكون عاكفة كعكوفهم فهم على عبادة باريهم فهذه جنبة
امرت بمراعاتها الجنبة الثانية وهي الجنبة السفلى وهي
علاقتها بالجسم المنفعل من المواد المركبة من الطباع وهي مولفة
باصلاحه وسياسته كالملك الذي عمر بلده وولع بسد ثغره
واصلاح

واصلاح رعاياه وعمارة ارضه ومقاتلة عدوه وجلب
المنافع اليه وصرف المضار عنه وصارت النفس متحيرة
تطالبها الجنبتان كل واحدة بان توفيها من العدل قسطها
وتجريها على القانون العدل والمسيرة الالهية ولما
خلقها الله تبارك وتعالى على هذا النسق والترتيب خصت
حكمته تعالى الانسان بان اعانه وقواه واعطاه اداوة ومكنه
من الجنبتين فايده من جهة الجنبة العليا بالعقل ليتلقف عن
ملايكة الله تعالى ورسله ويفهم به مراد باريه وكان حاله
مع النفس كعبد بعث الى ثغر بعثه ملك مطاع الاوامر مخوف
الزواجر فامره بسد الثغور وادرار الاقوات ومقاتلة
الاعدا وان يطابق غرضه مع بعده عنه ثم قال قد ملكتك
من ثلاث اشيا تكون عونا لك ولا حجة لك على بعدها احدها
الثغر الذي بعثتك اليه فقد اكملت قصوره ودوره وحصونه
وجدرانه وانهاره واشجاره وثماره والاته وما تكدرت
وتناهت الثاني اني دفعت اليك عبيدا واعوانا وخدما
وجعلت في طباعهم الانفعال فهو بما شيت تمتثل ان شيت من حق
او باطل لا يخالفون رغبتك ولا يعصون امرك فعليك بالسيرة

الحسنة فيهم ولا يغتر بمكنتي فاني ذو بطش شديد وان حلمت
السالف الذي دفعت اليك وزيرا حكيما متطلعا على ما في العالم
باسره عالما بالسيرة الحميدة والطرق الرشيدة عارفا
بعواقب الامور وقد احللته من نفسي بمنزلة الوزير واكرمتك
بان جعلته وزيرك فاحذر ان تنفذ امرا دون امره ولا تغتر
بما جعلت في طباع العبيد من طاعتك ولا بما جعلت في نفسك
من القوة فما غني من استشار وهذا الوزير الذي يستمد من
آراي في كل حين فهل تحققت ذلك منه لانه لا يعصيني طرفة
عين فصار العبد في الثغر بهذه الثلثة اشيا فمثال
النفس مثال العبد ومثال الثغر مثال الجسم ومثال
ما فيه من العدد والاقوات مثال ما في الجسم من الطبايع
والقوى حسبما ذكرناه في المعراج الاول ومثال لوازم الثغر
ونوايبه مثال ما يقوم به الجسم من الاغذية والمنافع ومثال
الملك مثال الباري سبحانه وتعالى وله المثل الاعلا واذا فهمت
هذا فاعلم ان النفس منبثة القوى في الجسم كما قدمناه
وان الله سبحانه وتعالى سخر لها الحواس الباطنة والاعضا
الظاهرة بالطبع فمتى تحركت بامر تاتى هذا في طباعها ما لم

يمنع

يمنع مانع من ذلك الامر وان اعتبرنا جهة المنفعل فهي مضطرة
وان اعتبرنا جهة النفس في نزوعها وامعانها للمطلوب
وسبب حركتها هل هو ارادي او اضطراري فلنا هذا محل
غموض عجز اكثر الخلق فيه عن النهوض وذلك لبعد غوره ودقة
مسلكه وهي المسألة المعروفة بالقدر والنزاع فيها من خلق
آدم الى هلم جرا وحقنا لضعف قوانا وقلة استعمال قوانا
الموهبة لنا واشتغالنا بالرذايل الدنياويه والخدع الخزعبلا
ان لا نتعرض لهذا المقام فلكل مقام مقال ولكل طريقه رجال
ولكن نخوضها خوض الجبان الحذور لا خوض الشجاع الجسور ۵
فنقول قدمنا انقسام الحركات وان بنا الكلام على
حركات الانسان ولا شك ان منها الضروريه والاختياريه
فاما الضروريه فطبيعة لازمة سنتكلم عليها عند تكلمنا
عليها ان شا الله تعالى بمحله ولم يختلف احد فيها انه لا يتعلق
بها ثواب ولا عقاب وانما النزاع في الاختياريه فان هذه مرتبطه
بالتكاليف فلا بد من فهم المثال الاول فهو تمهيد قدمناه لهذا
الموضع فنقول قدمنا ان للنفس جنبتان مثلنا ذلك
بالوزير والثغر فالجنبة العاليه جنبة الوزير والجنبة الخسيسه

جنبة الثغر فمتى كانت النفس تحركت نحو الفضايل فذلك بتلقف عن
العقل والعقل عن ما فوقه فهي مشابهة على تحركها ونزوعها الى غرض
تمولات والمعقولات واقعه بفعل الله تعالى وتحركها نعني عند
انبعاث الداعية عند اتصالها الى العقل وحقيقة الاضطراب
عن الثغر ودواعيه واستعمال العلم بتنظيف المحل اذ لا بد الا
على محل قابل له بان النهاله الصوارف والموانع باشارة العقل
وتدبيره مشابه عليه من حيث انها واسطة الى انفعال الاجسام
وكثيرا ما ان العالم منقسم الى عقول فاعله مجرده وهي الشريفه
والى اجسام خسيسة وهي الكثيفة التي هي المفعوله كما ان العقول
فاعلة ولما استحال على العقول المجرده المباشرة وكانت في
طرف من مضادة الاجسام كما ان العلم في طرف والجهل في طرف
وكان ضدا مطلقا قضت الحكمة الالهية لها بان اظهرت
تاثيرها بتدريج فجعلت نفسا ممتزجة تشبه العقول من وجه
والاجسام من وجه وذلك راجع الى مناسبة والمناسبة
راجعة الى وجهين اما الى جنبه اسفل فبالرذايل واما الى
جنبه اعلا فبالفضايل والنفس معلقة بينهما والاجسام تتعلق
بالنفوس والنفوس بالعقول والعقول بالباري سبحانه فالمبدا

الاول

الاول هو الآله فخروج الامر منه كخروج الامر
عند الملك الى الوزير ثم من الوزير الى الحاجب ثم الى المصروف
او المكرم ولله المثل الاعلى فالرب سبحانه هو المبدا والطاعات
متى خرجت الى حيز الفعل فهي من الله سبحانه باتفاق الكافه
والنفس متى خرجت الى حيز الفعل فهي من الله سبحانه
والنفس مشابه على جهة الوسط من حيث انها آلة وما
مثل ذلك الا مثل اكرام الموتى بالتنظيف والاكفان والحنوط
والقبور وتحريم اهانتها واحراقها وان كانت لا تحس به في
ذلك بل الفضل الالهي لا حد له ولا يجري على مقدار ولو كان
الباري تبارك وتعالى لا يفعل شيا الا باستحقاق الفاعل
تحقيقا كمثوبته لم يكن كريما مطلقا ولم يطلق عليه اكثر
من عدل فان العادل من قارع الحسنة بالحسنة والكريم من وهب
من غير يد متقدمة فخص تبارك وتعالى الاجسام بالمكرمة
من حيث انها كانت آلات مستعمله في الطاعات مع اتفاق الخلق
ان الفعل تحقيقا للارواح فكذلك النفس بالاضافة الى العقل
يكرمها الباري سبحانه على جهة الوساطة وان كانت لا فعل لها
تحقيقا بل الفعل تحقيقا للمشير بذلك والملهم اليه والمحرك

وهو العقل اذ الحاجب وان شكره المكرم من جهة الملك
فالوزير احق بالشكر من حيث بلغ اليه وكذلك فلتفهم ان
العقل مشكور من جهة الوساطة وان الشكر المجرد والحمد
الموهوب لله الذي كان المبدا فلو لم يرد التوفيق من عنده لما
كان للعقل ثبور اصلا اذ هو مربوب فالجواد المطلق
والكريم المحض هو الله رب العالمين ولم يشك ذو عقل
ان الفضائل من الله وانما اختلفوا في الشر فزعم المعتزلة
ان الشر ليس من الله تعالى و لما راوا تلازم الافعال
اخرجوا الفعل الى العبد وجعلوه مستندا به فان قيل
الاشكال باق فان الحركة التي هي الصلاة مثلا ان كانت فعلا
للعبد فلا مدخل للباري سبحانه وتعالى فيها وان كانت لله
فلا مدخل للعبد فيها ويستحيل ان يكون الفعل مشتركا كما
زعمت قلنا الحركات مضافة الى الاجسام فبطل التقسيم
والنفس لا حركة لها في نفسه فانها انما لها الاشارة والتدبير
والجسم معها كالمغناطيس مع الحديد والانتقال للحديد
اذ تحرك الى المغناطيس حل فيه وظهرت الحركة عليه بل فعل
فيه بخاصيته فبطل السوال فان قيل ان بطل في الحركة فلا

تخلو

تخلو النفس عن الارادة والسوال فان قيل ان بطل في الحركة فلا
في الارادة باق قلنا ارادة الخير تابعة للعلم وقد قدمنا
ان النفس تابعة للعقل والتحرك من جهة العقل خير محض وهو
محرك من جهة الباري سبحانه وتعالى وليست اعني الحركة الجسمانية
بل اعني الشوقية النزوعية وهو علوها والتفاتها الى الجنبة
العليا وحقيقة ذلك راجع الى ترك جنبة اسفل والترك ليس
هو بفعل وانما هو عدم فعل فهما شيئان النزوع وهو فعل
الله تعالى والثاني هو ترك الاحداد وهي ملاحظة للجنبة
السفلى وذلك ترك والترك عدم وليس بفعل فان قيل
الترك ان كان اختيارا او اضطرارا فالسوال لازم قلنا هو
اختياري من وجه واضطراري من وجه آخر وفهم هذا يستدعي
تجديد عهد بما سبق وهو ان النفس وان سلطت على العالم
الاسفل فهي تتوصل اليه بآلة الجسم ثم افعالها تظهر في
الجسم في مواضع عشرة احصيناها فيما تقدم فمنها الحواس
الخمسة من الشم والذوق واللمس والسمع والبصر وهذه علة
وسبب القوى الخمس الباطنة اعني القوة الخيالية والذاكرة
والحافظة فان هذه القوى كالجواسيس في المدينة يعرفون

الاخبار الي الخدمة والخواص كالكتبه والحجاب والوزرآ فما تقيد
عند الجواسيس رفعوه الي الكتبه وما تقيد عند الكتاب رفعوه
الي الملك وهي النفس ثم اختلفت مدركات الحواس الخمس فكانت
حاسة البصر موكله بعالم الالوان علي اختلافها في الصفات
والمقادير وحاسه الذوق بكل مطعوم هكذا الي تمامها
وكل ما ارتفعت من هذه محفوظ عند الكتبه الخزان وقد قلنا
ان الجسم كالثغر وان النفس مشغوله بافتقاد ثغرها في كل
دقيقه للزوم هذه المدركات للنفس لزوم ضروري اعني عند
صرف الجهة اليه بلزوم ذلك طبعا فانك متي حدقت بصرك
مرتين حصل عندك رويه بالضرورة شيئا او ابيت وكذلك
ساير الحواس الخمس فلا نطول فالحصول عند التعرض له لازم
والتحرك الي الابصار للنفس مختار فصح وثبت ان الجنبة
السفلى الجسمانيه افعالها جسمانية محضه والافعال
الجسمانيه كلها ضرورية طبيعية فقد انقضت المباحثه ونفرغ
الكلام من هذا الجانب من حيث وقفنا للافعال بعد اسبابها
علي ارادة النفس وارادتها هي الفيصل من الجنبتين جنبة
اعلي وجنبة اسفل وكما وكلت بسياسة جنبة اسفل علي

163 وجه مخصوص وكان له وجهان الي الجنبة اضطراري فاذا
استعملت السبب حصل المسبب بالضرورة فحصول المسببن
جهة اسفل ضروري لا ثواب عليه فقد استرحنا من هذا الطرف
وهو الطرف الضروري وبقي الاختياري فوقفناه من جهة
الجنبة العليا علي نزوع النفس وارادتها ولذلك ايضا من جهة
فوق فنتوقف البحث والنظر في هذه الدقيقه وهي الارادة
والنزوع وقد قدمنا انه تارة يكون اضطراريا وتاره اختياريا
محضا وذلك لا ينحصر بزمان مخصوص بل النفس يدخل عليها
الخير من جهة العقل وهو للعقل عند اشارته فهي مثابة
لنزوعها ونزوعها يظهر تاثيره في الجسم اذ لا يظهر الاثر فيها
باكثر من الشوق والشوق المطلق فيثاب علي جهة الوساطه
كما قدمنا واما الشر فيدخل عليها من جهة الخير
فيكون اولا اخيرا ثم ينعكس ومثال ذلك انك متي ركبت دابة
استعرتها من دار رجل فتصرفت بها في حاجتك وكانت دابة
جموحه صعبة المرام فخطرت بها علي دار سيدها فصرفت عنانها
فتقاعست فعاقبتها بالسوط والمتها وتحملت عليها فلا شك انك
يمكنك صرفها وكان حقك ان لا تخطر بها علي دار سيدها فكيف

وانك سقتها الى باب الدار وادخلت يدها في عتبة الباب ثم
كبحتها لم تطعك بوجه بل تدخل اكثرها وربما جرحت راسك
والمتك وكنت عند العقلا مذموما فانك مكنتها من
طبيعتها ثم اردت حجابها وقد كتب الله سبحانه في كتابه
السابق وقضى بقضايه الحتم بان تمكن الطبايع من مطبعاتها
فالنار متى تمكنت من القطن احرقت ضروره فلتفهم ان القوى
الحيوانيه المنفعله عن الطبايع لها نزوع بالطبع الى مركزها
والروح الحيوانيه الشهوانيه بالطبع والعنصر يميل الى
عنصرها كالحجر يهوى الى اسفل فالنفس متى مكنت الجواسيس
ابتداء حتى صار ذلك لهم ملكه فذلك لازم ضروري خلقه الله
تعالى وانما تعاقب من حيث لم تحرس جواسيسها ابتداء وهذا
كما انا نقول للرجل النظرة الاولى نجاة لك حلال فانها
لازمة ضرورة فلا يتعلق التكليف عليها واياك والثانية
فان العين اذا انفتحت على صورة جميله ثم آلت الطبيعه الى الطبيعه
لزم ذلك لزوما ضروريا لو انفرد لم تعاقب النفس عليه وانما
تعاقب على اهمالها اشارة العقل في الكف ابتداء فمتى تكررت
الجواسيس على القوى الباطنة لزم النفس ذلك وشغلها

164 فهي مامورة ان تلزم الجنبة العليا والامر كله لله سبحانه فهو
المخترع للافعال وهو موجد الاسباب الاول فالمسببات
افعاله فهذا لا حيلة فيه وهذا اقصى الغرض في تقرير هذه
المساله وفي الحديث حاج آدم موسى فقال انت الذي اخرجت
الناس من الجنة فقال اتلومني على امر قدر علي قبل ان اخلق
فغلبه آدم عليهما السلام وشهد له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك حيث قال وحاج آدم موسى فاذا الاشعرية
والمعتزله والمجبرة اذا تكلموا على الافعال الجسمانية ولم تتعرض
لها وانما تكلمنا على النزوع الشوقي وجعلناه السبب او وقفنا
الجبريه في الافعال الجسمانية وهذا منتهى الكلام في الجنس
الانساني من الحيوان واما حركات البهايم فهم موكلون
بالجنبه السفلى وكيف تنكر ذلك وانت تبصر كثيرا من الخلق
كاجلاف السودان وغيرهم لا فرق بينهم وبين البهايم لا يعرفون
الملايكة ولا باريهم بل يعبدون الثمار والاشجار كما قال سبحانه
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومحرك الحيوان ما
تورد الحواس على القوه المتخيله فهي فيهم كالقوه العقليه فاذا
بدا ان تتادب باداب القوه الخياليه متى انتقش فيها امر محذور

فانها اذا راته حذرته وكذلك امر نافع ولا يبعد ان يكون لها
القوه الحافظه تحفظ بها الصور واما العوالم العلويه فتنز
حركاتها لا يحيط بها الا الله تعالى وحده العالم بمبداها وانما
ادركنا منها ما تكرر علينا بالتجربة او باشاره العقل اليه
اشارة جلية وذلك كنمو اجسامنا بالاغذية والاغذية من
النباتات وهما كالفاعلين وهذا بالاضافة الى الماء والتراب
يكونان فاعلين بمعنى ان حصول التاثير لها حصول الذبح بالسكين
ولكن لو انفردت الشاه والسكين لم يتم الفعل اصلا فلا بد
من سبب جامع والنار والهواء امتزجت معهما اشعة الكواكب
وازدحمت في مقعر فلك القمر ودارت بالارض كدورتها كما
تدور الهاله بالقمر ثم هذه الاشعه تتحرك بحركات هي
نافعتها وهي الكواكب السبعه وقد زعمت الفلاسفة ان
هذه الكواكب حية وانها مع العالم الاسفل كنحن مع اجسامنا
وان لها الفعل الاختياري والفعل الاضطراري وهذا الاسلم
فلم يدل على ابطاله كتاب ولا سنه ولا اجماع ومن انكر ذلك
من الناس فعلى طريق التغليط ولا برهان البته فلنجعل ذلك
جايزا اذ مذهبنا ان الباري تعالى هو الفاعل المطلق وانه

مسبب الاسباب وموكلها بمسبباتها فسوا على مذهبنا
كانت حية او جمادا فغصارى الامر ان يكون كنحن ولا ننكر
وجودنا ولا تصرفنا في عالمنا ومنافرة هذا رعونه محضة
وحماقه تامة ولنقل قولا يهون ذلك وربما زعم السامع ان
تكون الملايكة مرئيه والظواهر دلت على انها محجوبة فنقول
الموجودات على ثلثه مراتب موجودات تعقل وهي موجودة
ولا ترى وهي العقول فهي مدركة بالعقول لا بالابصار
القسم الثاني النفوس وهي مدركه بالعقل ولا يجوز
ان ترى والثالث الاجسام وهي تدرك بالعقول والابصار
ولا تدرك هي انفسها ولا غيرها مما نشاهد من العالم الاعلا
انما هي اجسام للنفوس والعقول وحقيقة الملك انما هو
نفسه لا جسمه كما ان حقيقة الانسان نفسه فقط ونحن لا
ندرك نفسه بل انقطعت العقول في درك ماهية نفسه
بالبصيرة فكيف بالبصر فتكلمنا على هذه الاجسام الظاهرة
فنقول سبب الانفعالات الهوا والنار وما تحت
فلك مرتبط بالدواير ودوران الفلك التاسع فانه ينقسم الى
اثني عشر جزءا وهي البروج ثم الكواكب السياره مقسطة عليها

فمنها ماله بيت ومنها ماله بيتان ثم لهذه الاجسام طبايع
مختلفه حاصلها الحر والبرد والرطوبه واليبوسه وهذه
الطبايع وسايط لانفعال المنفعلات فتمر الكواكب على البروج
واختلاف الحركات وكون هذه الكواكب في درجاتها ومراكزها
واختلاف مطالعها كما نقول مثلا اذا اجتمعت الشمس
والقمر في منزل رطب دل على المطر العظيم وتفصيل هذا
محال على علم النجوم وليس هذا موضعه ولكل مقام مقال
وانما غرضنا التنبيه واصل هذا كله الحركة المشرقيه التي
هي من المشرق الي المغرب وقد حكينا عن الفلاسفه فيما
تقدم علة ذلك وكيفية تقسيمهم العقول والنفوس وانكرنا
عليهم كون الباري سبحانه لذلك علة وانها ملازمة له وانكرنا
دعواهم الحصر لاغير والا فيجوز ماسوى ذلك جوازا نرده
الى طريقنا في التوحيد المحض فان معتقدنا ان الله سبحانه
واحد وحدانية محضة صرفه وانه هو القايم على العالم حتى
لو تصور عدمه لم يكن له ثبوت اصلا والتصديق بما جاء به
المرسلون ومن هذه الحركه الدوريه تتناسخ الحركات
وتتناسق وقد تكلمنا في ذلك كلاما بليغا فلا معنى لتكراره

فان قيل لم تنكرون على من يعتقد ان هذه الانوار الطاهره
فاعله او عالمه او حيه فان الله سبحانه يقول الله نور السموات
والارض فربما قالت المجوس ان هذا النور آله قلنا
نعتقد فصلا في المعراج الرابع وهو الذي يلي هذا ان شا الله

المعراج الرابع

اعلم ايها الاخ ان الله تبارك وتعالى هو نور السموات
والارض ولسنا نعتقد بكونه نورا كونه شعاعا منبسطا
مرئيا على الجدران بل ذلك على نسبة اخرى فاعلم ان النور
المطلق على ستة اشيا احدها نور حسيس بحسب عنصره
لا دوام له فهو عرض سريع الزوال مفتقر الى مواد عنصريه
وهو اذا اضو النيران الثاني النور وهو اشرف من هذا
وان كان عنصريا فهو شريف بحسب نسبته وبحسب نفسه
وهو نور البصر وهو يدرك الاشيا ويدرك الالوان والمدركات
النور الثالث نور شريف من نور العالم الاعلا وله
شرف بحسب نفسه وبحسب ما ينسب اليه وهو اشرف من
النور البصري وهو نور الشمس فانه علة لوجود العناصر ووجود
النيران والاجسام وهو لا في مادة مركبة فلذلك عبدته المجوس

النور الرابع نور شريف وهو نور محض قايم بنفسه
يدرك الاشيا على حقايقها ويدرك ابناعها وهذه الامور
منقسمه الى ما يدرك به ولا يدرك نفسه كالنيران والبصر
والشمس والى ما يدرك به ويدرك نفسه وهو العقل وهو
نور حقيقي والقران يسمى نورا ولكن يستعار له من هذا
معنى النورانية وهذا العلم يسمى نورا السادس النور
المطلق وهو البارى سبحانه وتعالى ومعناه في الروحانيه
اكثر من معنى العقل فان معنى العقل هو نورانيه العقل
وهي كشفه للحقايق فبهذا المعنى يقال للبارى تعالى الحق
المبين والعالم بخفيات الامور فهذه سته انوار بالاستعارة
للقران والرسول صلى الله عليه وسلم حقيقتها البارى
سبحانه وتعالى وهي مجاز فيما عدا ذلك فان قيل فقوله
عز وجل مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قلنا المراد بهذا
النور العقلي فهاهنا اربعة اشيا المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيتونة اما المشكاة فمثالها النفس ومثال
الزجاجه القوة الخيالية ومثال المصباح العقل والزيتونه
التي هي الشجرة العقل الفعال ولما كان المصباح هو النور

فلابد في اظهار ثمرته وحكمته للاجسام في آلة جسمانية
تشاكله وتشاكل الاجسام كالنور ويفتقر الى زيت يناسب
النار بالحر ويناسب الفتيلة بالرطوبة فلسنا بما قدمناه
ان العقل لا يباشر وان كانت واسطته النفس فهي المشكاة
ثم كانت النفس لها من جبلة في معرفة المحسوسات كما
قررناه فجعلت له الحكمة الالهية قوى فمنها القوة الخياليه
التي ترتسم فيها النفس ما توردة الحواس وكان مثالها
مثال الزجاجة وانما خص الزجاج لانطباع المرئيات فيه
كالمراة الصقيلة التي تبصر فيها ولان الزجاج اصفى الجواهر
من حيث يشف ما وراه والانبيا صلوات الله تعالى عليهم
وسلامه يعلمون الغيب بواسطة هذه القوة فيعبرون
الصورة ويفهمونها ولها علم مختص وهو علم تعبير الروية بمجرد
خواص هذه القوة واما الشجرة فهي العقل الفعال من حيث
انفعلت الاشيا عنه فكما ان المصباح الواحد توقد عنه
المصابيح لم يقل سبحانه نبت فان النبات يدل على نقصان الاصل
وانما قال تعالى توقد فنبه بالوقيد على ان هذه الشجرة لا
تنقص وعلى ان هذه الشجرة ليست كالشجرة المعهودة لان الشجر

يوقد منها وخصها بالزيتونه لدوام ورقها وفوايدها وغزارة
منفعتها وكثرة ورقها وشعبها وانها وان كانت زيتونة
فيخرج منها نار يستضا بها ووجه المشابهة واستيعابه
يطول وقد شرحناه في كتاب مشكاة الانوار **واما**
النار فهي عبارة عن الانوار الالهية وتحتمل وجها آخر
ان يكون الشجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والنار الملك
فان قيل عظم الاختلاف في هذا الغرض من حيث تحققوا
الملائكة والملازمة النورانية وهو المصباح والمشكاة
والزجاجة والشجرة والنار فقلت جعلت مثال المشكاة
النفس ومثال الزجاجة الخيال ومثال المصباح العقل
الجزوي ومثال الشجرة العقل الكلي ومثال النار النور الالهي
واشراقه وهذه كلها لا توصف بالكثافة والتجسيم على ما
تقدم وقد وصف الله سبحانه وتعالى ذلك بان قال نور على
نور وهذه الموجودات تشاكلها وتناسبها اذ تشاكلت
وتناسبت لصفة النفس وبعدها عن الكدورات فظاهر
مذهبهم يشير الى الحلول وانشد في ذلك

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر

فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

قلنا هذا عين الحلول واعتقاده خطا محض وسفاهة صرفة
فان قيل قول الصوفية مشهور حتى قال احدهم انا الحق
وقال اخر سبحاني وقال اخر ما في الجبة الا الله قلنا
اذا قررنا ابطال الحلول انطباق جوهر على جوهر او جسم على
جسم او عرض في جوهر وقد قدمنا البرهان الحق ان العقول
والنفوس قايمة بانفسها لا تحل شيا البتة ولا هي محمولة
فاغنى ذلك عن اعادته وهذا في رب العزة اعظم فان قيل
ويرجع الكل الى الاله وتكون العقول والنفوس لا تفارق
الباري سبحانه وتعالى الا بالفعل فانهم اجمعوا في الجوهرية
وحقيقة الحياة والقيام بالنفس قلنا لا نثبت للباري سبحانه
ما اثبتناه لانفسنا فانها لا قوام لها دونه وقد قام
البرهان على حدوثها وذلك باطل ان تكون هي هو وهو هي
فان في ذلك لزوم فيكون العالم كله آلهة وهو محال وبطلان
يحل في النفوس وينطبع فيها انطباع الخمر في اللبن كما
زعمت النصارى في المسيح عليه السلام فان ذلك من صفات
الاجسام فلم يبق الا الالزام راجع الى معنى الانفعال والاتحاد

بالفعل الى وقوف الاشارات والحركات عليه فيكون هو
المحرك القابض الباسط والنفوس معه كالحديد مع
المغناطيس على وجه التمثيل ولله المثل الاعلى ونفي الواسطة
على الطريق التي قدمناها ومن حقق من الصوفيه وعلم وقوف
الاشيا عليه وان الامور لا قوام لها دونه قال احدهم ما في
الجبه الا الله مبالغه في التوحيد وقال اخر سبحاني لانه
راى الياء مكان الاضافة وان الفرق ضرب من الشرك في قوله
سبحان الله فان الاوصاف لا يعبد بها الا المفصل فان
قوله سبحان الكريم نفي البخل واذا قلنا سبحان الله فمعناه
نفي الشرك ولا يكون النفي الا مع توهم الشرك والموحدون
منهم من بلغ بهم التوحيد الى ان راوا التبري منه سو ادب
ولكن الكلام اذا وقعت الضروره اليه التجى اليه لا معنى
الهرب عنه فقد وقع في اشد كما زعمت الفلاسفه ان الباري
تبارك وتعالى لا يقال له موجود فان ذلك يودي الى دخوله
مع الموجودات تحت الجنس وهذا نفي لفظ لا نفي معنى وهو سهل

المعراج الخامس

هذا المعراج معقود للنبوه والنبي ومعنى ذلك والامم

مختلفه

مختلفه في ذلك على ثلث فرق فرق تنفيه وفرقه تثبته وهي
فرقتان فرقه تزعم ان ذلك واجب موله فكانت لنفسه قوة
تنفعل لها الامور واوجب له المولد ان يكون فاضلا احسن السيرة
هذا مذهب الفلاسفه والفرقه الثانيه اعتقدوا مع
النبوه وهو حصولها للشخص بخرق الله تعالى العاده على
يديه باظهار فعل غريب واشترطوا ان ينضم اليها ثمان
شروط احدها ان يكون في زمان تصح فيه الرسالة
الثاني خرق العاده له بالمعجزة الثالث ان تقترن
بدعواه تحديه الرابع ان يوافق دعواه بعمله الخامس
ان يتعلق مقاله بالقلب السادس ان لا يظهر على وجهه
ما يدل على كذبه السابع ان يكشف القناع في التحدي
الثامن ان يعجز الخلق عن معارضته ويلتحق بهذا شرط
تاسع وهو كون المعجزة من جنس ما يتعاطاه اهل زمانه ثم ما
يصل الى الرسول اما بواسطة الملايكة بان يتمثل له
بشرا سويا او على صورة واما بغير واسطة بان ينقش الله
سبحانه ذلك نقشا في الحاسة المتخيله وقد قال الله سبحانه
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او

بواسطه ملك من الملايكه وهو الحجاب او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشا انه علي حكيم ونبينا صلي الله عليه وسلم قد
ظهر علي يديه من خرق العادات ما ظهر علي ايدي الرسل
صلوات الله تعالي عليهم وسلامه وذلك ينقسم الي ما بقي
والي ما كان فمعجزاته صلي الله عليه وسلم من شق القمر
وكلام الذراع وحنين الجذع واستدعا المطر ونبع الما من
بين اصابعه وجعل قليل الطعام كثيرا وغير ذلك واما
ما بقي فالقران وما اعلم به من الاشراط والدول وقد
كان ذلك ونحن نشاهده وبطل ان يكون النبوة بمعني الملك
فان الانبا بالغيب معني اخر خلاف السياسه وبطل ان
يكون ذلك سحرا فان الساحر لا قيام لسحره الابه وهذه
الشريعه خمس مايه عام ثم هذا القران الذي عجز الخلق
من اخرهم عن الاتيان بمثله الي هلم جرا وكان صلي الله عليه وسلم
اميا نشا بين الاميين لا معرفه لهم بالعلوم فاتي بهذا
القران الذي اشتمل علي علوم الاولين والاخرين وكل من
شك في نبوته صلي الله عليه وسلم فليتامل بعده صلي الله
عليه وسلم عن العلوم ثم لينظر القران وما انطوي عليه من

الصنايع

الصنايع العلميه من الالهيات والمنطقيات والجدل
والخطابه وساير الاشيا التي حصلها الاولون والاخرون
من العلوم وسمته علما او فلسفة وغير ذلك وكيف فيه
اشكال البراهين في غايه والجدل علي وجهه والاقيسة
علي وجهها مع ما تجرد اليه من العلم الديني وهي سياسة
الخلق المعجز عنها بالاحكام الشرعية وهو يتيم نشا في
حجر عمه لم تعلمه قريش قط ولا مارس علما ولو مارس علما
ودرس لما انتهي ابد الاباد الي النظم فضلا عن هذه المعاني
الغريبه وكل من حاول معارضته قصد معارضه النظم وهو
قصاراه ثم لم ياب الا بالكلام الغث المشترك ولو انه يجري
من تعاطي المعارضة الي انطواء القران علي هذه الصنايع
العلمية تضمينها لما تعاطي المعارضه ابد الابدين ولتقنع
حيا مما جاء به ومن شك ان ذلك امر الهي وتاييد رباني
فقد طبع الله علي قلبه ونعوذ بالله من ذلك وصلي الله
علي محمد نبيه واله كما هدانا من ظلمات الشك وسلم تسليما

المعراج السادس

ما ايتي القول من طريق الرسول صلي الله عليه وسلم ضربان

طلب وخبر والطلب ضربان امر ونهي وقد تكلمنا على الامر
والنهي واصول الشريعه وكيف يستعمل في الكتاب والسنة
رسالة الاقطاب واما الخبر فينقسم الى اخبار من
مضى كاخبار الامم وعما ياتي كامور الزمن واما الاخرة فكل ما
نطق به القران او تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو
يقين لا شك فيه وهو ينقسم الى ما يحتمل التاويل والى ما
لا يحتمل التاويل فكل ما احتمل التاويل عذر المتاول له وما
لا يحتمل التاويل وتركه تارك عن قصد كفر بتركه
والامور المشكله ثلثه مسايل
مسالة النفس وقد فرغنا منها الثانية مسلة حشر
الاجساد الثالثة الجنه والنار مسالة قال الله تعالى
كما بدانا اول خلق نعيده وهذا هو نص في الاعادة وقال الله
تعالى في العظام قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقال الله
تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجا واكثر اي القران في البعث نص في اعادة الانفس
الى قوالب الاجسام ولا امترا في ذلك ومن امتنع منه شك
في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم او كفر به عمدا والمنكرون
له

له فريقان طايفه زعمت ان لا بقا للنفس فان العالم متناسخ
تابع للدولاب الفلكي الى نهايه وقد تقدم الرد على هذه
الطايفة الطايفة الثانية وهم من الاسلاميين وهم
اكثر المتصوفه المتفلسفة زعموا ان الانفس باقيه وان
الاجساد لا تعاد وحجتهم ان الجسم يستحيل عن اغذيه
نباتات ولحوم وربما اكل شخص شخصا اخر فيجتمع جسم واحد
من اجسام فلو اعيد الجسم لبطلت الاجسام الماكوله وبطل
حشرها وان حشرت زال جسم هذا الاكل وهو يطول
يستغني عنه فانا نقول لا نلتزم لكم ان الله سبحانه
وتعالى يعيد عين الاجسام بل ضمن ان يرد الانفس الى خلق
جديد وبراه كما فعل ذلك ابتدا وقد ورد في الخبر ان الله
تعالى ينزل قطرا فيكون ذلك اصلا لخلقه الاجسام وهو
قادر على اختراع ما يشا وكيف لا وقد قال علماوكم المتقدمون
من اهل الهند وغيرهم عمر العالم سته وثلاثون الف سنة
وقالوا ايضا خمسون الفا على اختلاف بينهم في ذلك وقالوا
ثلثه الاف سنة وستون الف سنة ثم يعادون جديدا
وتبدل الارض غير الارض والسموات ويرجع القطب اليماني

شمالي والشمالي يماني والخراب عامرا وبالعكس والبر بحرًا
والبحر برًّا فان قالوا هذا لا فايدة له في حقكم فان يلزم ان
تبدل ثانية قلنا ذلك جايز في قدرة الله تعالى ولكن
الرسل صلوات الله تعالى عليهم قالت انه لا يفعل ذلك وان
للعالم ثلث حالات حالة عدم تقدمت وحاله وجود نحن فيها
وحاله اعادة **مسـئـلة** قالوا انكرنا وجود الجنة
والنار يعني ان تكون لذاتها والامها محسوسة جسمانية
قلنا علة الاستحالة عندكم تاثير الطبع في الاجسام
بواسطة حركات الفلك الكواكب وقد قال قدماوكم
ان للعالم تحويلا واخبرت به الرسل عليهم السلام وتتابعت
على ذلك فتلك النصبة بخلاف هذه فبم تنكرون على من يزعم
ان هذه النصبة كما اقتضت اسبابها الفنا تقتضي اسباب
تلك البقا وتكون الحكمة فيها ان تكون غرضًا مقصود البقاء
الاجسام وكيف لا وقد قال الجماهير منكم بل الاطباق على
ذلك ان جوهر الشمس لا تقبل البقا والجسم عندكم وان تركب
وكان تركيبه حادثا فجواهره قديمة ولم لا تنتهي الى نصب الاسباب
على جهة تقتضي البقا ثم الجنة والنار عبارتان عن قطرين

بكون

172 ١٧٢٩

يكون احدهما فيه قصور الذهب والفضة واللولو والياقوت
والثمار ثم لمن استقر فيها بقا بلا موت وواجد هذه اللذات
ابدا لا يالم ولا يحزن ولا يظما ولا يجوع ولا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما والاخر على الضد
من هذا وهو النار اعاذنا الله منها ۝ ۝ ۝

المعراج السابع

غرضنا فيه بيان معنى الموت وقصور الجسم عن الانفعال
للنفس لعدم الحس والحركه فمن زعم ان النفس قديمة زعم ان ترك
النفس البدن كالرجل ارتحل عن بيت اضيف فيه الى داره على
الرسم المتقدم وكمن لبس ثوبا حتى انقطع وتخرق عليه فسقط
عنه الثوب وبقي عريانا والملك الموكل بالموت موكل بسبب الموت
وهو سوق الالام وبعث النفس على الاسباب المهلكة فيكون
الموت بواسطته ولا يبعد في العقل ان يكون للنفس ملايكة
تتلقاها بالسخط او بالبشرى كما شهدت به الظواهر واما
هل الموت كمال او نقص فحقيقة النقص الرجوع من الاعلى الى
الادنى والكمال الارتقا من الادنى الى الاعلى فان الانسان ان
كان يرتقي الى الاعلا بسبب الموت فهو كمال وذلك انه متردد في

بلغ

اطوار الخلقة من كونه ترابا وغذا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم لحما ثم عظاما ثم تكون نفسه ثم يكون مولودا رضيعا ثم
فطيما ثم غلاما ثم شابا ثم شيخا وجاهلا ثم عالما وجمادا
ثم حيا مدركا ما من منزله الا وهو يجدها كالا والانسان
لو جعل له عقل في بطن امه لما رضي ان يتبدل بها سواها
وذلك للالفه ٥ وينشد
لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكا الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها فانها لارحب مما كان فيه وارغد
اذا باشر الدنيا استهل كانه بما سوف يلقى من اذاها يهدد
فلولا عدم الالفة ووحشة التبدل لما بكي والنفس خوان
بل الشيخ الكبير علي طول تجربته اذا رحل من داره الي دار
اخرى يجد الما وسهرا وربما لم ينم ولذلك الغريب وانما
كانت الغربة مولمه لعدم الالفة حتى قال الشاعر
احب بلاد الله ما بين منعج الي وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها نيطت علي تمايمي واول ارض مس جلدي ترابها
وعلي الجملة فعلوم الشريعة باسرها في الامر والنهي محاذية
هذا المقام ولذلك من الرسل صلوات الله تعالى عليهم الخلق

بالا قلال من الدنيا ورغبة الزهاد في ترك الوطن والاهل والولد
ورغد العيش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن في
الدنيا كانك غريب وعابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور
وقال صلى الله عليه وسلم انما الدنيا كظل شجرة استظل
الرجل بها ثم زال عنها وتركها فالمقصد الرياضة وتمرين النفس
على الشدايد الي ان تنمحي هذه الامور عن النفس وان يزال عنها
الالفه وان تكتسب بغضا لهذه الامور فاذا ماتت وان
استبشعت ما حصلت فيه فلا تجد غيره فهي مضطره
اليه ثم لا تلبث الا قليلا وتفرح فرحا لا نهاية له فاذا
كانت وضيره مشغوفه بالمال والولد والاقبال علي
الشهوات والعكوف علي الملاذ الدنياويه مع انها نفسانيه
سايقة الي النفس جهلا ومكربا وشاغلا عند الموت
فانه انتقال من ضد الي ضد وهو هلكه فامر الرب سبحانه
لطفا منه بالعباد ان يكون للعبد بين الضدين تدرج وقد
جعل الله لذلك مثالا ظاهرا في الحياة الدنيا في الازمنة
فجعلها اربعة اقسام علي ممر الشمس في بروجها فجعل
اعدل الازمنة تنبت فيه الاجسام وتنموا فيه النباتات

وتتكون الالوان وتخرج زخرفها وقد قال الله عز وجل انما
مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض وهذه المدة من الزمان كحال الشباب للانسان والربع
لا تصير بهذه المنزله الا بزمن متقدم عليه وهي النقلة
الشتويه فانها بارده رطبة تنزل فيها الامطار وتسخن
الارض وتحمى بها فهي كحال البدايه للانسان فلو ان الله
تعالى يخرج الخلق من الشتا الى الصيف بغير فصل الربيع
لما تواعز اخرهم فان الابدان والنباتات استولى عليها البروده
والرطوبه والنقلة الصيفية الغالب عليها والمستولي عليها
الحر واليبس فلو خرجوا من البرد المفرط الى الحر المفرط ومن
الضد الذي هو الرطوبه الى المضاد الذي هو اليبس لكانت
الهلكة لكن الله تعالى بحكمته فصل يفصل فيه بينا سبب
الفصلين معا فاوله بالبرد واخره بالحر على تدريج خفي لا
تحس به الاجسام الا بعد انفصاله وذلك لممر الشمس على
الثمانية عشرين منزله من المنطقه الوسطى التي تجري فيها
الكواكب فلها مشرقان وهما منتهى تحركهما في الافق الشرقي في
الطرفين فاذا انتهت نهايتها في الطرف الشرقي بعد عن

الطرف الذي في اول مبدا الجنوب فيكون الجنوب حينيذ لا حر فيه
فيكون الشتا بذلك الافق لان ضعف شعاعها في الموضع يجلب
البله ويتصاعد به البخار وينعكس الحر في بطن الارض ويسقط
ورق الثمار لان الما ينجلب عن اعاليها الى اسفلها من حيث ان
الابخرة الحارة بنفيها البرد من اعلا الارض فتطلب المدكن
فاذا استسخنت الارض استدعت الرطوبات فتجذب ما في النباتات
واذا زالت الرطوبات من الاوراق والاغصان غلب عليها اليبس
فتكمشت وتساقطت ويكون الطرف الثاني ثم اذا علا عليه الحر
واليبس فيكون القبض كيف ما انجذبت الشمس على تدريج لانها
تقيم في كل برج شهرا وتقطع في كل يوم من البروج درجة
والدرجة لا تحس وهي تسير فكلما انجذبت زاد حرها وفي
ازدياد حرها تسخن الارض وتنحل الرطوبات وتسخن اغصان
الشجر من فوق فاذا اسخن الغصن استدعا الما وطلبت
رطوبته الحر الذي تحته وتستدعيه الذي تحته من الذي
تحته حتى يقع الاستدعا من قاع الشجرة وتستدعيه الشجرة
من الارض والارض بعضها من بعض فاذا حصل الما في العود
اذابته الشمس وجرى في العود بطبخها وبها تستمد من

174

لطيف الما ولطيف التراب وتحليله الشمس ثمره ثم يخرج ما
في طبع ذلك العود من الثمر باذن الله تعالى والشكل يخرج
بطبعه الذي ركبه فيه الفاطر الحكيم بواسطة حر الشمس في
اقبالها وادبارها حسب ما تمر في البروج والشمس جعلها
الله تعالى سبب الحركات والنسل فهي علة النباتات
والحيوانات والمعادن ابخره تحتقن في الارض فتعقده
وهذا تبرهن عند الحيل كعلم الكيميا فانهم يزعمون ان الزيبق
ينعقد باشمام رائحة الكبريت وامداده من خارج بان يذاب
ويطرح عليه او يغلي ويترك ثم عند اجتماع الما والكبريت
يكون مادة للجوهر الارضي اما باعتدال المزاج وصبغ فيكون
منه الذهب وبافراط فيكون منه النحاس او تقصير خفيف
فيكون منه الفضه هكذا زعموا وهذه الحركة الشمسية
متعلقه بالحركة المشرقيه ومثال ذلك الرحا مع قطبها
فان القطب يقطع شبرا في شبر واخر دايرة الحجر تقطع خمسة
اشبارا واكثر في الاستدارة فكذا الطواحين وكذلك الدواير
والسواني فان الدايرة العظمى المحركة للمجاز التي تدور بحركة
الما تقطع ما مسافته في الاستدارة عشرون ذراعا او

هكذا معدن الكبريت كبريته تمر على تسيح الما في الارض

اكثر وراس المغزل في تلك المسافة دور الدينار والمدة 175
واحده وكذلك يبرهن اصحاب النظر في علم الاثقال والمقادير
ان الحركة الكلية هي سبب حركات الافلاك وانها حركة واحدة
وكذلك نشاهد السانيه تدور الحمار الى جهه وتختلف دوران
تلك الدواير فالحمار يقطع على استدارة والقوس الاعظم الذي
يكون عليه الطوس يقطع على استدارة في جهة اخرى
ودواير اخر تقطع على جهة اخرى قالوا ولما كانت الشمس حارة
نارية الجوهر جعلت الحكمه الالهية والتدبير الرباني لها نظيرا
على مضادة طبعها اذ لو دام الحر المفرط لاحرق فسخر الله
تعالى القمر يمر بتبريده فيبرد ما استحر فيكون النما في
معتدل بينهما ثم جعلت حركته سريعه ثم حركته لو ساوت
حركة الشمس لما وصل نفعه الى الناميات الا بعد فسادها
وكذلك ايضا لم يصل حر الشمس الا بعد فساد ما انفعل عنه
لو كانت حركته سريعة قال الله سبحانه وهو الذي جعل
الشمس ضيا والقمر نورا وهذا ايضا غرض اخر يخص النفوس الحيه
فان الشمس هي النور الذي به يخرج الحيوان من القوه الى الفعل
ولها في النفوس البشريه تاثير بديع فبالنور قوام الكل وجعل

القمر مرآة يقبل ضياها بالليل ويعيده على الخلق حتى لا
يفقدونه ليلهم ولا نهارهم ولا وربما توهم المتوهم ان الافق
قد يخلو من نور الشمس والارض وهذا توهم فاسد والافق
معمور بنور الشمس والسموات والارض لا يغيب عنها طرفة
عين وانما ينكر الناس ذلك بالاضافة الى حالهم في كون الشمس
في مقابلتهم على وجه افقهم اذ يكون النور في عنفوانه كثيرا
اذ يكون النور فلا يزال القرص يبعد عن ارضهم وتقل الانوار
فحال النور عند العصر بخلاف حالها عند الظهر وحالها
عند المغيب بخلاف حالها عند مغيب الشفق وحالها نصف
الليل بخلاف حالها عند مغيب الشفق وهو ابعد ما يكون
النور من ذلك الافق ولذلك يكون الظلمة وتضعف روية
الانسان في ذلك الوقت ولكن مع ذلك اذا لم يكن بينه وبين
السما حايل من سقف او سحاب يبصر فان النور لا ينعدم
وهو مع ضعفه ينتفع به فان نور الكواكب من الشمس وهي
واقعه على الارض واذا قربت الشمس من جهه المشرق زاد
النور من جهه المشرق فلا نزال كذلك حتى تشتهر فيكون فجرا
اولا ثم اذا كثر كان فجرا ثانيا فاذا تزايد كان اسفارا فاذا

فاذا طلع القرص كان نهارا واما في الليالي المقمرة فبكبر جرم
القمر ولقربه من الارض ينتشر النور فيه وينعكس على الارض
فيكون النور بالارض كثيرا والشمس انما يكثر الضوء في القمر
او يقل بقربه او بعده منها واذا كان منها على اربعة عشر
منزله كثر ضوءه قالوا وفي خاصية القمر جذب الرطوبات
والشمس تحلل وهذه الكواكب انما توثر في العناصر الدايرة
بالارض لانها تناسبها في اللطافه وتعرى من المنفعلات
من وجه آخر فهي واسطه بين الحيوانات والنباتات والمعادن
تناسب الكواكب بالبساطة والمنفعلات بالكثافه وقيل
قالوا ان المنفعلات تنفعل من هذه العناصر وان الحيوانات
والنبات والمعادن نفس الهوا والما والنار والارض
لانهم قالوا ذلك انما يكون على طريق الدور فاذا تكونت ثم
فسدت عادت عناصر فهي تستحيل بعضها الى بعض ولذلك
قالوا سمي عالم الكون والفساد لا يبعد ان يكون شعاعات
الكواكب هي الموثرة للعناصر موثره واسطة بين الموثرات
وبينها والله تعالى اعلم فانها ابعد من قبول الفساد وايه
ذلك ان شعاعات الكواكب هي من الشمس ومن انفسها ايضا

فلو كانت تنقص او تزيد لقبلت الكون والفساد ولظهر ذلك
عليها وقد زعم القدما ان النار المحدقه بالارض انما هي من
الادخنه والغبارات الصاعده والاهويه المحترقه والهوا
من البخارات المتحلله من الارض والما على حسب ما تكلموا على
ذلك في الاستقصات وايضا ولا يبعد ان تتحرك هذه العناصر
مباشره وذلك عند هبوب الرياح وتموج الهوا والله اعلم
وقد ذكروا القدما ان الامطار والرياح انما تكون بحسب
ما تكون النيران في مواضع مخصوصة من بروج مخصوصة
من برج وبرج فلتكن اشعتها هي التابعة لحركتها الممتزجة
لهذه العناصر المحركة لها ثم النفوس النيرات محركات حسب
تتحرك وترتقي في الحركه الى الحركة الكليه كما سبق وقد
زعم الاوايل ان تلك الحركه عن شوق واختيار عقلي مستند
الى مشية الله تعالى وارادته فهو البارى المبدع الخالق
المصور لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وهو مرتب الكل
احسن ترتيب ومقدره اكمل تقدير والكل مستمرون جارون
على حكم منهاج ذلك الترتيب المحكم والتقدير المتقن لا يزيد ذرة

ولا ينقص ذره كذلك تنقرض الاولون وينعدم الاخرون والسما
كما هي ونجومها والارض بما فيها من الحيوانات والنباتات وغير
ذلك لم يظهر عليهم شي ينكرونه ولم تزل كذلك حتى يعيك الله
سبحانه باريه تاره اخرى حيث قال كما بداكم تعودون فالعالم
باسره كالشخص الانساني البشري ذو عمر ومبدا واخر
وقد تقدم مرارا ان الله تعالى خلق الانسان على صورة
العالم فاوله بشر ضعيف على تدريج كما سبق في المعراج الاول
فاول ما يخلق الله مادة يتكون منها ثم يخلق فيه الروح
الحيواني ولا يزال يتدرج فيه قليلا قليلا وكذلك النفس
الناطقه تظهر قواها شيا شيا فاضعفها حالة الرضيع
ولا يزال ينمو الى ان يشب فيخلق الله له الاوهام والظنون
فيكون عنده كالقوه العقلية فاذا كبر قليلا خلقت فيه القوه
الهيولانية وهو العقل الغريزي وهو المبادي الاول وهذا
في العادة في الخمسة عشر الى الثمانية عشر عاما ثم لا يزال كذلك
حتى يخلق فيه العقل النظري وهو ان يكون يدرك الامور
الجايزه والمستحيله فهي كعيون تنفتح في قلبه ومثاله الانسان
في بيت مظلم فاذا قابله سراج على بعد نظر نظرا ضعيفا ثم

لا يزال يقرب منه ونظره يكثر الي ان يتصل به فيقوي نظره
نظرا كليا فلو اتفق ان يتحد السراج به حتي يكون في دماغه
ملابسا للقواه لكان اكثر فكذلك فافهم ان القوة النفسية
لا تزال تتزايد الي ما لا نهاية له فليميز ما بين النبي والصبي
من الدرجات فنفس الانسان اخذه في الكمال من حين تخلق
الي حين موتها فالموت اذا كمال الاجسام لان النفوس تتبرا
عن المادة وتلحق بالافق مع الملايكة وهي الجنبه العليا وهي
جنبه الملايكة فان كانت نفسا شقيه كانت كمالا لانها باعتبار
تخلصها عن المادة ونقصانا من حيث تتخلف عن الجنبة
العليا فلا تزال كييبة حزينه علي جسمها وملاذها
وحواسها فانها لم تعهد تركه قط ولم ترفض ذاتها علي ترك
الملاذ وكانت حين نزعها كييبة علي البدن ولا تزال في حسرة
وندامة والم ونهش وعقارب وحيات وسلاسل واغلال
ابد الابدين ودهر الداهرين الا من شا ربك وما تشاء
ربك ان ربك فعال لما يريد فاذا واجب علي من رزقه الله
تبارك وتعالي عقلا وميز باربه وعرف نفسه ان يسعي في
حيله الخلاص لنفسه في اثناء الحيل الدنياويه والاخرويه
وذلك

وذلك هو السعيد المطلق وليكن في الدنيا كمن امتحنه سلطان
زمانه وبعثه الي ارض يكرهها ويكره اهلها واغنيتهم ولغتهم
فاذا حصل بينهم علم انه متي اعتزلهم وتركهم قتلوه وعذبوه
وان خالطهم كفوا عنه فيكون ابدا يعاملهم بظاهره فيكلمهم
ويا كل معهم ولكن قلبه وهمته وعشقه لقطره الذي خرج
منه فاذا اخرجه الملك من بينهم فرده الي قطره كان فرحا
علي مفارقتهم مسرورا بقطره فلو كلف عليهم وضرب همته
اليهم ثم بعث اليه لكان خروجه خروجا كدرا فانه ربما
عشق نسايهم وسيرتهم فلا يزال معذبا وهذا غاية في معني
الموت وقد فهمت العالم باسره وحقايقه وان استعملت
ذهنك وفكرك حتي انفهم لك ذلك كنت ربانيا ونعم العبد
لبا ربك وناسبت الملايكة فوقعت المحبة والالفه بينكما
وان انت لم تعبا به ولم تعول عليه او علمت ظاهره دون باطنه
فما اقل نفعك به وما اعظم حسرتك اعاذنا الله واياك من
ذلك هذا تمام السبعة معارج التي تستعمل فيها القوه
الفكرية وهي نهاية الغرض الذي اردناه وربما تقربنا الي الله
تعالي ورغبنا فيما عنده في ان ينبه علي الاشيا التي يكون

ميزانا ومرآة للقوة المفكرة حتى لا تغلط في اكثر تصرفاتها
فان خلاف الناس ومذاهبهم جمة لا تنحصر ومن عول على
اخذ العلم عن امام لا سيما مذهب الامامية فانهم يزعمون
ان الارض لا تخلو طرفة عين من امام قايم لله بحجة يخرج
الخلق من التخمين الى اليقين وينجيهم من ظلمات الشكوك
فعلى مذهب هولا ايضا ان سافر الانسان عن الامام
وزال عن بلده والمسايل ابدا لا تنحصر فيحتاج ان يراجعه
في كل حقير وجليل ونحو هذا التنبيه ان يكون مستقلا
بنفسه مستوعبا في اسفار كثيره ومجلدات عله ولكن
صادقا بالرغبة ايها الاخ قلبا مشتغلا مستبد الفكر
ولسانا كليلا قد تحير بين امور متناهية وبقي بين الاخرة
والدنيا فان تلافاه الله سبحانه وتعالى بدعاء الصلحاء
وضراعة الاصدقاء والا فقد شقاه وعاش معيشه ضنكا
في دنياه والله تعالى ينفع بعضنا ببعض بعزته انه على ما
يشا قدير

فصل

السعادة ضربان ضرب هو
سعادة مطلقة وسعادة مقيده فاما السعادة المطلقه
ما اتصلت في الدنيا بما لا نهاية له والمقيدة ما كانت مقصوره

على حال او زمان فكل سعادة فبسبب والسبب من انواع
النجح واما السعادة المقيدة فتحصل باربعة اسباب اعني
الاسباب العمليه احترازا عن الحرف والصناعات وهي اما
سفسطه واما خطابيه واما جدل واما شعر اما
السفسطه فنهايتها وغرضها ومقصودها ان يولف قياسا
او ينظم حجه تشبه الحق وليست بحق بنفسها لتغلب خصمك
من حيث لا يشعر انك اذا قلت اليس النجار صانعا فيقال
نعم فتقول اليس هو جسم فهذا قياس مولف ولكنه فاسد
وسفسطه ومباهته ودخل الفساد من قوله كل صانع
جسم فانه خطاء والا فما الدليل عليه فنهايته سعادة
هذا التمويه على الخصم وهي منقسمه الى التلبيس في النظم كما
قدمناه والى التلبيس في شبه الحروف والاسماء اذا قلت
العين تبصر والدينار عين فالدينار يبصر فهذا غلط من
جهة اشتراك الاسم وحده ان تقول ان حد الدينار غير حد
العين وهما مختلفان في الحد والحقيقه وكذلك في النقط
مثل قوله عذابي اصيب به من اشا ومن اسا واستيعاب
هذا يحتاج الى مجلد واما الخطابه فغرضها اقناع السامع

بما تسكن نفسه اليه سكونا ما من غير ان يبلغ النفس وهذا
كما تفعله الخطيب من الناس فانه ينظم كلاما عذبا مشجعا
يذكرهم الموت ويفزعهم منه ويخوفهم وغرضه الايقاع
في النفس وتحريك القوه الشهوانيه والغضبيه بان يشبه
الاشيا بعضها ببعض كقول القايل

هو البحر غص فيه اذا كان راكدا على الدر واحذره اذا كان مزبدا

فهذا اذا سمعه الممدوح انبسطت له نفسه لانه شبه جوده
واتساعه بالبحر وانه ذو صولة كالبحر وقد يحرك الشاعر
القوه الغضبية كقول القايل

لو كان يخفى على الرحمن خافية عن العباد لخفت عنه بنوا اسد

وكقول بعض الشعراء ينفر زوجته عن النكاح ٥

فلا تبكين ان فرق الدهر بيننا اعم القفا والوجه جعد الانامل

اذا قيل له وقد شرب في محجمة خرجت من كور الزجاج فيقال
له بها يمص الحجام دم الجذام والمبروص فيما فرها ولا يشرب
فيها وكما اذا ارسل عليه جل وقيل له حية عليك نفر
او قيل له هذا العسل اصفر كانه عذرة لنفر من ذلك
واستبشعه وهذا غرض الخطابه والشعر واما

الجدل

الجدل فغايته غلبه من يخاطبه باشيا مشهوره كما قال
الله تعالى لليهود ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فانه علم في العادة ان المحب
لقا المحبوب وتاليف القياس فيه ان يقال ان كنت تحب لقا
زيد فانت صديقه لكنك تحب لقاه فانت اذا صديقه ٥
فيجي البيان فيه على وفق المقدمة ونظم القياس لليهود
ان يقال ان كان اليهودي يحب لقا الله تعالى فهو ولي
لكنه يكره لقا الله فاذا ليس هو بولي وكما قال ابرهيم
عليه السلام للذي حاجه في الله ان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب فغاية هذه العلوم موقوفه
على منافع دنياوية الا ان تصرف الى الاخرة وهي مضرة
اذا طلبت لنفسها ونافعه اذا طلبت للاخرة فاذا مقدار
سعادة هذه العلوم مقدار ما تقصد بها ٥ **واما**
العلوم التي تطلب بها السعادة العمليه والعلميه
النافعه فتنقسم الى اربعة اقسام طبيعيه ورياضيه
وسياسية والاهيه والغرض بالطبيعه معرفة العالم
وتركيبه ومزاجه وصلاحها وفسادها وهو خادم معين

[illegible]

كالخبز والغذا للانسان وكذلك هو مع تلك العلوم واما
الرياضيات فاربعة انواع الهندسة والحساب
والمنطق والنجوم فاما الهندسة فمقصودها معرفة
الاطوال والكميات والمقادير وهي التي يستعان بها
واما الحساب غرضه معلوم والمنطق غرضه
ليبين الامور العقليه من المحسوسة ويميز البرهان من
الشك في الاعتقاد واما علم النجوم فمقصوده
معرفه الافلاك وحركاتها وكواكبها وساير احكامها
وفايدته معرفه الكاينات واما الالهيات فمقصوده
اربعة اشيا العلم بالله سبحانه وتعالى وملايكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر واما السياسة
فمقصودها تهذيب النفس في جلب منفعة ودفع مضرة
اما عاجله او اجله والخلق مع ساير العلوم وهي معهم اما
كالغذا لهم او كالدواء والرسل صلوات الله تعالى عليهم
وسلامه مبعوثه لتبيين الجميع ومقاديرها في السعاده
على ما ذكرنا لكن تختلف اشخاص الناس وحالاتهم على اختلاف
فراىهم وغرايزهم ومقدار عقولهم والتقسيم ياتي على هذه

فنقول النسبة

فنقول اما ما هو كالغذاء فالعلوم الالهيه فلا غنا
باحد عنها فان ساير هذه العلوم دورانها على بيانه والخالق
هو الاصل ولا الحال المرجهل باريه واما ما هو كالدوا
فيخص ويعم اما في بعض العلوم وهي ما تعلق منها بفروض
الاعيان فعلى كل شخص ان يعرفه هذا في العلم السياسي
واما في غيره من العلوم فليستعمل الانسان منه مقدار
حاجته اليه ان احتاج والا فالاشتغال بما يفيد احسن
اذ الانسان ذو اشغال كثيرة واما ما هو كالدا فهو ايضا
بالنسبة الى حالات الاشخاص وهو كل شي متى اوصلناه
الى شخص وجدناه يضر به فهو دآء في حقه فان العسل
وان كان حلوا عند من افرط عليه البلغم فهو مر عند من
افرطت عليه الصفرا وهو في حقه داء والامور انما هي بالاضا[فة]
فلله تعالى خلق تضر بهم الحقايق كما تضر رياح الورد
بالجعل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوا
الناس بما يفهمون وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الدر
في اعناق الخنازير فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
فان قلت هذا لا شك فيه غير ان العلوم الالهية مختلف

فيها وقد كثرت فرق الاسلاميين فعلى من اعول فاعلم
يا اخي انك متى كنت ذاهبًا الى ان تعرف الحق بالرجال ضل
سعيك فان العالم من الرجال انما هو مثل الشمس او
كالسراج يعطي الضوء ثم انظر ببصرك فان كنت اعمى فما يغني
عنك السراج والشمس فمن عوّل على التقليد هلك هلاكا
مطلقا فان كنت فكيف الخلاص منه فهذا الآن حديث
يطول ويحتاج الى اطناب واسهاب وقد علمتك الى
مشغول مبدد شمل النفس كليل الخاطر ولكن لتعلم

ان الاوصاف الراجعة الى الله تعالى

تنقسم الى ثلثه اقسام اما وصف يجب له واما مستحيل
عليه واما جائز في حقه فلا يتلقف بسبب احد الجائزين
فيه الا من جهه الرسول صلى الله عليه وسلم فكل واجب
او مستحيل فخذه من جهة العقل فان قلت فذلك اطلب
فمن اين اخذه وكيف اتوصل اليه فاقول سابين لك من
ذلك مقدار ما يليق بهذه العجاله فان قلت وكيف اصنع
ايضا في فروع الاحكام وهي الامور السياسيه فقد
اختلف الايمة كمالك والشافعي وابي حنيفة واحمد وغيرهم

رحمة الله عليهم ورضوانه فاقول فاذا الاشكال
من جهة الخلاف في اصول الدين وعدتك بالباقي فاما
الخلاف في الفروع فلك فيه طريقان احداهما ان تعرف
اصول الفقه واحكام الشريعه معرفه دون تقليد ثم تعمل بما
علمت وتترك الناس جانبا خالفتا او وافقت فهذه حيلة
وقد جعلته في كتاب سميته برسالة الاقطاب
مختص باصول الفقه خاصة على الطريق البرهاني فان شئت
فاحفظها واحفظ احكام الحديث والسنه او يكون عندك
كتبها وذلك مختصر في ثلثه اسفار اما احكام الحديث
فقد جمعها الزنيري وفي احكام القران اسمعيل القاضي
وغيره واحكمها الاحكام لابي الحسن الطبري الملقب بشفا
الغليل وعليك باصول الفقه تهتدي الى ما غاب عنك فان
تعذر عليك فقنا فعليك بحيلة ثانيه وهو ان تنظر كل مختلف
فتصيره الى الطرف الاكمل مثال ذلك مذهب ابي حنيفه
رضي الله عنه في التوضي بنبيذ التمر فاستعمالك مذهب مالك
في تركه فهو احوط وكذلك مذهب الشافعي رضي الله عنه في
التوجيه والبسملة وقراءة ام القران في الصلاة فاستعماله فهو

احوط من مذهب مالك فيه فهاتان حيلتان بطريق للكمال
فان عجزت عنهما فعليك بتقليد امام واحد فاعمل على مذهبه
فاحكام الظاهر يسيرة الخطب فان قلت قد فهمت هذا
وانما المشكل عليّ هو امر من الامور العقلية حتى اميز بها
الحق من الباطل فقد علمت من هذا الخلاص في الفروع فاعلم
ان الامور التي تخوض فيها القوة المفكرة ترجع الى اربعة
اقسام معقولات ومحسوسات ومقبولات ومشهورات
فاما المعقولات فما لا يدرك الا بالعقل على التجريد
كعلمنا ان الضدين لا يجتمعان وان الشي لا يصح ان يكون
متحركا ساكنا في حال واحد وان الواحد قبل الاثنين وان
الحادث له اول وان كان مع الحوادث معًا زمانيا فهو محدث
وكل ما لا تدريه الا من جهة العقل فهو معقول **واما
المحسوسات** فما تدريه الا من جهة الحواس الخمس كالفرق
بين الالوان والفرق بين الطعوم والفرق بين الملموسات
والفرق بين المشمومات والفرق بين المسموعات والفرق
بين المذوقات **واما المشهورات** فهي العادات
الراجعة الى عادات الخلق والبلاد والامم والازمنة كعادة

183 الناس في اللباس والفرح والاغاني والاحاديث والسير
الكريمة كترك الظلم وبر الوالدين وشكر المنعم وكف الاذى
عن الجار والنصفة من الظالم وافشا السلام التي هي
الان متممات الاحكام الشرعية وهي من قبل الرسل عليهم
السلام تعقل فقد كانت العرب وساير الامم النبلا
كاهل الهند وغيرهم يستنون بذلك وعلى الجملة لكل امة ملك
يحمي من الظلم فبذلك قوام العالم **واما المقبولات**
فما اخذ من طريق الاخبار وهو كل ما يخبر به العدل الثقة او
الثقات فمتى ورد عليك شي من اي علم كان ووقع سمعك (او بلغك)
او اورد عليك فانظر وسل من اي قبيل هو من هذه
الاربعة اقسام فاما العقليات فلا تتبدل احكامها عما
هي عليه في العقل **والمحسوسات** لا تتبدل ولكن
يتطرق اليها الغلط بافات تحدث في الالات الجسمانية
واما المشهورات فغير موثوق بها فانها تختلف باختلاف
الامم والبلاد وحالات الاشخاص فالحق كل قبيلة بقبيلة
ومينه من سواه فلا تغلط ابد الاباد فما قام عندك من
دليل او حس على مطلوب وتصحح اخراجه وبرهانه وتبرهن

لك البرهان على صحة ملك الاجزا والبرهان التي تبرهن به
على مطلوبك وهو برهان حق وما ورد عليك مما سوى
ذلك فانزله على مرتبته ولا تعد شيا عن محله ولا تجعل
المقبول معقولا والمعقول مقبولا ولا المشهور محسوسا
ولا المحسوس مشهورا نعم يبرهن ما حد المقبول مثل ان
القران ماخوذ عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله
بن عبد المطلب الكاين بمكه صلوات الله عليه وسلامه
وكذلك نعلم سيرته وجوده المستفيض واما الاحكام
فماخذها القبول ولا يلزم ان تبرهن لنا لان الخلق محتاجون
اليها ولو ادركوا الاحكام بعقولهم لما كانت فايدة
للرسول صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن في عقولهم استقلال
بها اولا فكذلك اخرا اذا اتصلت بهم فلذلك لم يطلب
ان يقوم على الاحكام برهان وهذا ما اردنا ان نشير اليه
من المدخل الى العلوم الالهية وننبه به على الاسرار
الروحانية فان ساعد الذهن السليم والغريزة المعتدلة
على الحاق ما في معناه به كفى المسترشد ولا تشوق الى
المطالعة والرب تعالى المسول ان يلم الشعث ويجبر الصدع

ويرى البصيرة ويجرى على اللسان الصدق ويختم بالخير
ويجعلنا به وله فيما ناتى ونذر وان يتجاوز عنا اذا وفدنا
عليه محتاجين الى عفوه فقرا الى فضله منقطعين عن
الاهل والوطن مخلفين الابنا مبعدين عن الابا قد حيل بيننا
وبين القريب والصاحب وبقايا الموالي والاقارب اذا ا
برقت العين وجفت الشفه ويبست القدم حيث لا
ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون لا يستجيب لمن دعاه
ولا يبرى شق الجيوب عليه حين وفاته واذكركم الله تعالى
اخواني واوصيكم به فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور ثم السلام على نبي الامه وشفيع الرحمه
محمد وعلى جميع اخوانه من النبيين والمرسلين وال كل
وساير الصالحين ابد الابدين ودهر الداهرين وسلم
تسليما ٥ تم كتاب معراج السالكين ومنجي
الهالكين وحجة العلما الراسخين
الامام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي رحمه الله عليه ورضوانه وعلى
جميع ايمة المسلمين ونالنا العفو ولساير المسلمين امين

بلغ مقابلة

في التوحيد من كلام محمد ابي بكر الرازي

التوحيد في اللغة الحكم بان الشي واحد والعلم بانه واحد
يقال منه وحدته اي وصفته بالوحدانية وفي اصطلاح
اهل الحقيقة هو تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في
الافهام ويتخيل في الاوهام والاذهان ومعنى كون الله
تعالى واحدا نفي الانقسام في ذاته ونفي التشبيه والشريك
في ذاته وصفاته وللتوحيد عبارة ومعنى فعبارته كلمة
ومعناه الاخلاص فيها وهو التجرد عن الكونين وعن الاوصاف
البشرية عند ذكرها وذلك هو المراد بقوله عليه السلام
لا اله الا الله مفتاح الجنة وقد ورد ذلك مفسرا في قوله
عليه السلام من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل
الجنة.

في معرفة النفس والروح والقلب وعجايبها

النفس والروح في اللغة بمعنى واحد والنفس ايضا بمعنى الجسد
والقلب في اللغة هو المضغة المعروفة ويعبر به عن العقل
وبه فسر القرآن قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
قال ابن فارس خالص كل شي واشرفه قلبه وفي اصطلاح
الحكما ايضا لا فرق بين النفس والروح كما قال اهل اللغة

وعند الاطبا النفس قوة كلية مدبرة للبدن متصرفة في
انواع قواه الجزئية والروح عندهم بخار الدم ولطيفه وعند
بعض اهل الحقيقة النفس والروح والقلب بمعنى واحد وهو
الارادة المتعلقة بهذه المضغة المعروفة وذلك المعنى
هو المراد بقوله عليه السلام الا ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد
كله الا وهي القلب وعند بعض اهل التحقيق من اهل السنة
الروح هي الحياة وعند بعضهم هي عين لطيفة مودعة في
هذه القوالب لازمها الحياة عادة ولها ترق في حالة
النوم ومفارقة للبدن ثم ترجع اليه حالة اليقظة والانسان
هو مجموع الروح والنفس والجسد وقد سخر الله تعالى هذه
الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة وكل العقاب والثواب
والارواح مخلوقة ومن قال بقدمها فهو مخطي خطا عظيما
وقال الامام القشيري رحمه الله تعالى النفس في اصطلاح
اهل الحقيقة ما كان معلولا ومذموما من اوصاف العبد
وافعاله واقواله ويحتمل ان يكون النفس لطيفة مودعة في
قالب البدن وهي محل الاخلاق المذمومة كما ان الروح لطيفة

مودعة وهي محل الاخلاق المحمودة ومثال النفس والروح
من الاجسام اللطيفه والملائكه والروح اشرف من القلب
والنفس على ثلثة اقسام النفس الامارة وهي الاخلاق الذميمة
كالشهوة والغضب والكبر والحرص والحسد والبخل والريا
والنفس اللوامة وسياتي بيانها والنفس المطمينه وهي نور
من انوار القدس فايض على جوهر القلب والنفس اللوامه
هي النفس المطمينه اذا تدنست باوساخ المعاصي تلوم صاحبها
على ما فعل والنفس بمعنى الجسد هو العالم الاصغر وهو
انموذج واصطرلاب لجميع ما في العالم الاكبر من الاثار
العلوية والصور السفلية فيها من العجايب ما لا يدركه الا
الراسخون في العلم والى ذلك وقعت الاشارة الالهية وفي
انفسكم افلا تبصرون فنظير الافلاك السبعة
الراس والبدان والفخذان والساقان على الترتيب من الاشرف
الى الادنى كما في الافلاك ونظير البروج الاثني عشر منافذ
الانسان وهما العينان والاذنان والمنخران والفم والسرة
والانثيان والسبيلان وكل ما كان من هذه المنافذ زوجا
فان احدهما شمالي والاخر جنوبي كما في البروج فان سته منها

شماليه وسته جنوبيه ونظير الكواكب السيارة السبعة
القوى السبعه السيارة في البدن وهي قوة البصر والسمع والذوق
والشم والنطق واللمس والفهم ونظير عقدة الراس والذنب
من الفلك سوء المزاج وصلاحه بجامع حقايقهما وظهور الاثر عنهما
بقدرة الله تعالى وحركات القوى في البدن كحركات الكواكب
وطلوعها وموت القوى كغروب الكواكب واستقامتها
كاستقامتها وامراض القوى كافات الكواكب والعقل في
الجسد كالشمس والعلم كالقمر والعلم مستفاد من انوار
العقل كما قيل ان نور القمر مستفاد من نور الشمس والله
هو العالم بحقيقة ذلك والارواح في البدن كالملايكة
في الافلاك فهذا وجه مشابهة الجسد للعالم العلوي
ووجه مشابهته للعالم السفلي ان الجسد بمثابة الارض
والعظام فيه كالجبال والامخاخ فيه كالمعادن والباطن كالبحر
والامعا والعروق كالانهار والجداول واللحم كالتراب والشعر
كالنبات والايدي والارجل كالاشجار والاصابع كالاغصان
والوجه كالمشرق والقفا كالمغرب واليمين كالجنوب والشمال
كالشمال والامام والورا كالقبول والدبور والانفاس كالرياح

والكلام كالبوارق والاصوات كالرعود والصواعق والفرح
كالنور والهم كالظلمة والبكا كالمطر والضحك كاشراق الشمس
واليقظه كالحيوة والنوم كالموت وايام الصبى كالربيع والشاب
كالصيف والكهوله كالخريف والشيخوخه كالشتا وكما ان في
النبات ما يغلب عليه بعض الكيفيات ومنها ما هو معتدل
فكذلك في اعضا الانسان واجزايه وكذلك في الاجسام ما
ينمي وما لا ينمي وكذلك في الانسان واما طباع الحيوانات
واخلاقها فتوجد كلها في الانسان ايضا في اختلاف احواله
فتارة يكون شجاعا كالاسد وتارة جبانا كالارنب وتارة
بخيلا كالكلب وتارة متملقا كالهر وتارة وحشيا متكبرا
كالنمر وتاره انسيا كالحمام وتاره محتالا كالثعلب وتارة
سليما ساذجا كالشاه وتارة عجلانا كالظبي وتارة بطيئا كالدب
وتاره عزيز النفس كالفيل وتاره خسيسا كالجمل وتارة
جهولا كالحمار وتارة ذكيا كالفرس وتارة مختالا كالطاوس
وتاره اخرس كالسمك وتارة ناطقا كالهزار وتارة ختالا
كالذيب وتارة حريصا كالخنزير وتارة مشوما كالبوم وتارة
ضارا كالفار ومن شرف الانسان ان الله تعالى خلق جميع الموجودات

187 ولم يثن على نفسه الكريمه بخلق شي منها كما اثني على نفسه بخلق
الانسان لغرايب صفاته وعجايب ذاته فقال تعالى الرحمن علم
القران خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلاله من طين الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين
وقال بعض اهل الحقيقه القلب نور له شعبتان شعبه
ممتده الى عالم الملكوت وشعبه ممتده الى عالم الكون والفساد
فله بالشعبه الاولى نسبة الى الملايكه وبالشعبه الثانيه
نسبة الى اهل الارض وبالشعبة الاولى يصلح معاده
وبالثانيه يصلح معاشه فمتى ادركته جواذب العناية
الازلية الى لقا الحق بذوق حلاوة اللذات القدسية
غلبت الشعبة الاولى على الثانية عليه يحصل معها الفنا
عن عالم الحس والبقا في عالم القدس فيصير مكاشفا
مشاهدا لما في العالم العلوي من العجايب والغرايب فذلك
يختص الله تعالى بها من يشا من عباده الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين
وكان الفراغ من نسخه ثامن شهر شوال
سنه سبع وستين وسبعمايه

١٨٧

188

كتاب محك نفس الانسان

تصنيف الشيخ الامام العالم العامل القدوة
الكامل دليل السالكين ومرشد الطالبين الشيخ شمس
الدين الديلمي قدس الله روحه ونور ضريحه

ويتلوه كتاب المعارج من تصانيفه

ايضا نور الله تربته العزيز

امين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى
اله وصحبه الاكرمين وسلم تسليما كثيرا فصل
اعلم ان هذا كتاب محك نفس الانسان يبين فيه ان النفس من هي
وايش هي ومن هي واي الاشيا هي ومن اين جات ولاي علة
جات اما الاول من هي اعلم ان النفس هي المخاطب
المكلف المامور المنهي المحمود المذموم المثاب المعاقب العامل
المتكلم من هذه الاشخاص الانسانية ٥ اما الثاني ايش
هي اعلم ان النفس جسم لطيف مثل الهوا والريح مركب في
بدن بني آدم كالسمن في اللبن والشيرج في السمسم ولطافتها
قابل التربية حتى يصير بالتربية مثل ضيا النهار وتلتحق
بالروحانيات وتتجاوز عنها بالتدارج وحسن التدابير
اما الثالث ومن ايش هي اعلم ان خلقتها كان الله تعالى
خلقها من العدم المحض ترابا مختلطا بتراب الارض ثم اخرجها
من تراب الارض وخلق نورا روحانيا مخصوصا والقى عليها
خميرا لها ثم خمر اربعين يوما قال الله تعالى خلق الانسان
من صلصال كالفخار وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من

من طين فكانت النفس مخلوقة من ذلك التراب الطاهر والنور
الروحاني التي مزج بها وخمر فيها وهكذا نفوس بني ادم كلهم
مخلوقة مع نفس آدم معا معا بدلالة ما قال الله تعالى ولقد
خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة اسجدوا لآدم فسجدوا
وكان كل نفوس بني آدم مسجود الملايكة مع آدم عليه السلم
وقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم
الآية والخبر المشهور المروي عن النبي عليه السلام ان الله تعالى
مسح ظهر آدم بيمينه واخرج ذريته مثل الذر الحديث تدل
دلالة ظاهرة على ان نفوس بني آدم كلها كانت مخلوقة في ذا
الزمان نفهم ان شا الله وحده اما الرابع اي الاشيا هي ٥
اعلم انه ليس النفس ذلك البدن المركب من اللحم والدم والشحم
والدسم والعروق والعظام والجلود والدماغ والى ما اشبه
ذلك من الاعضا والعضلات والاخلاط الجرمانية الكثيفة
وليست هي ايضا روحا من الارواح الروحانية ولا عرضا من
الاعراض ولا معنى من المعاني وانما هي جسماني لطيف يشبه الهوا
مركب في هذه الاجرام الكثيفة التي ذكرناها اما الخامس من
اين جات هي اعلم ان الله تعالى بعد ما خلق نفوس بني ادم كلها

وجرى ماجرى معها في السوال والجواب نقلها الى حيث
اخرجها من اصلاب الابا وينقلها في الاحوال والتارات كما
يشا الى ان يخرج كل واحد منها من اصلاب ابايها الى ارحام
الامهات ومن ثمه الى وجه الارض كما يشا الله تعالى انه على
ما يشا قدير اما السادس لاى عمل جات اعلم ان الله
تعالى في انشا هذه النفوس مرادات مختلفه غير ان المراد
الاعظم والمطلوب الاعلى ماصرح في كتابه جل وعز فقال
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالله تعالى نفى كل
المقاصد من خلقه الجن والانس ثم استثنى العبوديه وكانت
العبوديه كل المقصود بظاهر الايه وكانت العبوديه لازمه
للعبد كالربوبيه لازمه للرب تعالى وقد ورد في الخبر عن الله
تعالى قال خلقت الخلق ليربحوا علي لا لاربح عليهم وفي الخبر
عن بعض الانبيا انه قال يارب لم خلقت الخلق قال كنت كنزا
مخفيا فاردت ان اعرف فان قال قايل لم قلتم ان النفس
هي المخاطب المكلف الماموز المنهي الى اخر ما ذكرت الجواب قلنا
انما نريد بالنفس ما ذكرنا فلو انكم اردتم بالنفس شيا اخر لا
ننازعكم في التسمية بعدما عرفتم وفهمتم ما سميناه نفسا

فذلك

فذلك هو النفس عندنا وهو الانسان وقد ذكرها الله تعالى 190
في كثير من الايات واراد بها ما ذكرنا قال تعالى ان النفس لامارة
بالسوء ولا اقسم بالنفس اللوامة يا ايتها النفس المطمينة ارجعي
الى ربك راضية مرضيه اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ونفس
وما سواها الى قوله تعالى وقد خاب من دساها فان قال لم
قلت انها جسم لطيف الجواب انما قلنا انها جسم لانها كانت
ترابا بديا ثم نطفه ثم علقه على ما سبق من بعد ان شا الله وحده
وهذه اجسام كثيفه فما يكون بعضها كان جسما ضرورة وانما
قلنا لطيف لما ذكرنا انها ليست بلحم ولا شحم وعظم واشباهها
بل هي في هذا البدن المركب من هذه الاشيا وتخرج من البدن عند
النزع قال الله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت
والملايكه باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم وقال يا ايتها النفس
المطمينه ارجعي الى ربك راضيه مرضيه وعن عبد الله بن مسعود
اخرجوا النبي عليه السلام نفس المومن تخرج رشحا ونفس الكافر
تخرج من بين جنبيه كما تخرج نفس الحمار وعن ابي هريرة عن النبي
عليه السلام انه قال قال الله تعالى للنفس اخرجي قالت لا
اخرج الا وانا كارهة يعني لا اخرج من البدن اختيارا وهذا

في قبض

وهذا قول الله تعالى في خبر آخر ما ترددت في شي ما ترددت
روح عبدي المؤمن يكره الموت وانا اكره اسآته ولا بد له منه
وفي هذا الخبر سماه روحًا وانما اراد به النفس الجسماني التي
نريدها نحن والدليل على انه اراد بالروح الجسماني انه اضاف
اليه القبض وما يقبض من العبد يكون جسمانيا او في جسم
وظهر بهذه الجمله ان النفس تخرج من البدن بالنزع ويبقى
البدن بلا نفس ولا يراها احد عند خروجها من البدن ولا يدركها
بالمماسة فدل على انها لطيف الطف من الهوا والنفس فان الهوى
والنفس يدرك بالملمس وايضا فان النفس التي نقولها نحن هي
التي تسميها الفلاسفه نفسا حيوانيا وهم لا ينكرونها ولا كونها
جسمانيا لطيفا كما نقولها وانما هم ينكرون اضافة ما اضفنا
اليها من الامر والنهي والمدح والذم والثواب والعقاب والمكالمه
والمعامله واشباهها وينكرون كونها انسانه فعاله قواله مخاطبة
بالاوامر والنواهي محموده مذمومه بالطاعات والمعاصي ويزعمون
ان اصل الانسان الذي يضاف اليها هذه الاعمال ويصدر منها
هذه الافعال شي روحاني غير مخلوق من التراب ولا هو
جسماني ولا هو في هذا البدن ولا خارج البدن ويستحيل لها

الدخول

الدخول والخروج والانتقال من مكان الى مكان وانا نقول
انه شي جسماني مخلوق من الطين والتراب وكان الخلاف بيننا
وبينهم في ذلك تفهم ان شا الله وحده فصل في تفسير البدن
والنفس والقلب والروح والعقل اما البدن فلها اسما
كثيرة نحو قولنا البدن والجسد والشخص والجثه والقالب والشكل
والهيئة وما اشبه ذلك ويقال بالفارسية تن وپيكر
وحقيقه ذلك هي هذا الشكل والصورة المنقشة المصورة
الانسانية التي تراها المبنية اللحم والدم والعظم والشحم والعروق
والاعصاب وغيرها من الالات التي تسمى قلبا وكبدا ورئة
وطحالا ومعدة وامعا المجلل بجلد مخصوص محسوس مجموع
ذلك ظاهرا وباطنا هي البدن الانساني الادمي فاما النفس هي
جسم لطيف كلطافة الهواء والطف مركبه منتشره في جملة
الاعضا والاجزا من البدن وتسمى بالفارسية حاره ومرام
ولكن جان درى وكيان بهلوي وكان في الاصل خوذان فجعل
الخا كاف لقرب مخرجهما ثم جعل الكاف ميما لقرب مخرجهما ايضا
ثم جعل الكاف وهي اصل الانسان العالم العاقل المخاطب المكلف
المتكلم المريد الكاره القادر على الصنايع المستعمل للالات

البدن والجوارح من الايدي والارجل واللسان والاسنان
واشباهها وكان اولا معدوما فاوجدها الله تعالى ترابا ثم
قلبها على الاطوار والتارات حتى جعلها على ماترى من الاحوال
والاوصاف فاما القلب فانها تسمى بالفارسية دل وكما
ان للبدن قلبا هي قطعة لحم ودم مخصوص كذلك للنفس قلبا
في قلب البدن وهي الطف من النفس وكما ان قلب البدن الطف من
جملة البدن ثم انا وجدنا في بعض المكاشفات في قلب النفس قلبا
آخر الطف من قلب النفس وذلك قلب مفرد ليس لها اطراف
وجوارح ولا من جنسها ولا من خلاف جنسها لكن البرهان العقلي
يتقاعد عن الدلالة اليها فنقتصر في ذلك الشرح على قلب النفس
ثم ان هذا القلب محل كثير من الاعراض والمعاني التي لا يتصور
قيامها في ساير الاطراف والجوارح وذلك نحو الارادات والكراهات
والظنون والاوهام والفراسات والعلوم والاعتقادات
والسرور والحزن والتفكرات والهموم والغموم والتذكرات
والروح الروحاني الذي نسميه سرا فانما هو نور روحاني
ونسميه ايضا همة ويقال بالفارسية روان وانه لطيف كلطافة
ضيا النهار وليس بجسم ولا عرض لكنه شبه جسم لطيف من

حيث

ثم القلب لطيفة ما اما الروح الروحاني الذي نسميه سرا

١٩١ ~~١٨٩~~

192

حيث ماله طول وعرض وعمق ولهذا اضاف اليه النفخ حيث
قال ثم سواه ونفخ فيه من روحه وقال فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فانما اراد به السر ومن حيث ماله
من اللطافة ولطافة مكانه لم يكن جسما وليس مكانه القلب
وان كان في القلب مكانه وانما مكانه مكان الروحانيات كضياء
الشمس وان كان مقامه فيما بين السما والارض ولكن مكانه
مكان الروحانيات لا مكان الاجسام والاعراض وليس مخلوقا
من التراب وانما اصله نور روحاني بخلاف القلب والنفس فانهما
من التراب وانما سمي بالفارسية روان لكثرة النقلة والحركة
له وبسبب كثرة حركاته ونقلاته تكثر النقلات من النفس
والعقل والقلب متابعة له لضرورة انه لا يتمكن واحد من هولاء
على عملها ولا يصلح لشانها بدون بذرقته ذلك فلما كان ذلك
الروح دايم النقلة من حال الى حال ومن عالم الى عالم لزمتهما
متابعته غير ان للنفس قوة صرفها الى ما يشا من الاعمال كانه
آلتها فيعمل النفس ما يعمل والهمة بذرقتها ومراقبة لها
حتى صح عمل النفس كما يشا ومن هذا الوجه سمي ذلك الروح همة
وانما سمي القلب قلبا ايضا لكثرة نقلتها في الافكار بما ذكرنا

من السبب المقلب له وهو السر واما العقل فانها نور روحاني
ايضا شبه شعله السراج ومقامها في القلب ولكن الروح
الذي نسميه سرًا وهمه لا يعمل عمل العقل ولا يصلح لشانها
كما نبين من بعد ان شا الله وحده سوال فان قال
قايل هذه الاشيا الخمسة التي اشرتم اليها شي واحد وما
ذكرتم اساميها المترادفه فلم قلتم انها خمسة اشيا مختلفة
مقدره مفارقه بعضها بعضًا الجواب بلي ان هذه الخمسة
اشيا مختلفه متغايرة بعضها بعضًا ولكل واحد منها
خاصيات دالات علي المغايرة المفارقه اما البدن ظاهر
بجميع اعضايها واجزايها وجوارحها وان كان كل ذلك الات
النفس تعمل بها اعمالا لكن هذه الحركات والسكنات والقيام
والقعود والاكل والشرب كلها امور ظاهرة قايمة في
اجزا البدن لا في غيره وهي الات يقوم بها هذه الاعمال واما
النفس فهي ما ذكرناها من قبل انها جسم لطيف وانها تخرج
من البدن بالموت والنزع ويبقي البدن مع جميع الاعضا
والجوارح بلا نفس مستعمل للجوارح وذكرنا انها هي التي تقولها
الفلاسفه نفسا حيوانيا وليس هي بالاتفاق معهم هذه الابعاض

والجوارح التي سميناها بدنا وظهر الفرق بين البدن وبين
النفس والقلب والروح والعقل بذلك مع الفلاسفة واما
المتكلمون من اهل القبلة فالمعتزله يسلمون ان الانسان المخاطب
المكلف العامل المستحق للثواب والعقاب ليس كل اجزا البدن
والجوارح وانما هو اجزا معدودة مخصوصة مخلوقه من الما والطين
وهم يسمون ذلك الاجزا جمله الانسان فاذا لا يخالفوننا الا في
لطافتها ويخالفوننا ايضا في خروجها من البدن بالموت ويقولون
بل يبقي ميتا حتي يدفن ومعني الموت زوال الحياه عندهم لا زوال
النفس والروح فعلي هذا كان الفرق بين نفس الانسان وبين
البدن والجوارح ظاهرا وكانا شيئان اثنان ومذهب الاشعريه
قريب من مذهب المعتزله في ذلك فانهم ربما يقولون جز فرد
لا يتجزي الذي اذا انضم اليه مثله سمي جسما وربما يعود
الدلالة من بعد علي ان نفس الانسان يخرج من البدن بالموت
ويبقي البدن مع ساير الجوارح بلا نفس عامل ويدفن البدن في
القبر ولا يدفن النفس فيظهر بها المفارقه بين النفس والبدن
اما القلب هي المركب في النفس كما اشرنا اليها وانها بعض النفس
مع انه الطف من بقيه ابعاض النفس واضوامنها وانها

خزينه النفس تضع النفس فيها لطايف الاشيا الروحانيه
نحو العلوم والفهوم والحكم والعقول والاسرار والنيات
والاضمار والهموم والغموم والسرور والهم وامثال ذلك ثم
ذلك القلب في البدن في جانب الصدر بدليل ان بعض الامور
التي للنفس في القلب وتوجد بالوجدان من النفس وتدرك منها
فانما توجد وتدرك من قبل الصدر وذلك نحو الهموم والغموم
والسرور والهم وامثال ذلك ثم ذلك القلب في البدن في
جانب الصدر بدليل ان بعض الامور التي للنفس في القلب وتوجد
بالوجدان من النفس وتدرك منها فانما توجد وتدرك من قبل
الصدر وذلك نحو الهموم والغموم والفرح والسرور والخوف
والرجا والخشوع والارادات والاعتقادات والفكرات وما
اشبه ذلك كلها مما يدركها الاكياس من جانب الصدر الا ترى
ان الهم والغم والخوف والامن اذا غلبت وغلبت تضيق القلب في
الصدر ويتوجع ثمه ويضطرب اضطرابا ظاهرا ثمه فدل على
ان مكان القلب ثمه ولا يخالفنا في ذلك الا الفلاسفة يقولون
كل هذه المعاني للدماغ لا للقلب والمسلمون كلهم متفقون على انها
القلب التي في الصدر فان نصوص القران تدل على ذلك قال الله تعالى

كتب في قلوبهم الايمان وقال في حق الكفرة ختم الله على قلوبهم
وقوله فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقال في قلوبهم مرض
اي جهل ونفاق وقال افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم وقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور وامثال ذلك الايات الدالة على
ان محل هذه المعاني هو القلب كثيرة واذا كان كذلك ظهر الفرق
بذلك بين القلب وبين البدن والنفس فاما العقل فهي الالة
التي تعمل النفس بها انواع الانظار والافكار والاستدلالات
والتدبيرات التي يعرف بها عواقب الامور والاحوال ويعرف صلاحها
وفسادها ويتامل بها في امور السموات والارضين والجبال وقعور
البحار ونجوم الارضين ويطلب بها مغيبات الاشيا كما يطلب
المحسوسات بالسراج في الليالي مثلا وهي نور روحاني يراها
اصحاب البصاير بعيون باطنة فاما غير اصحاب البصاير يعرفها
بالبراهين ويعلم ان الصبي والمجنون لا عقل لهما مع كمال بدنهما
وجوارحهما وكمال نفسهما فظهر بذلك الفرق بين العقل وبين

النفس والبدن والقلب اما الروح الذي نسميه سرًّا
وهمّة فانها نور روحاني على ما ذكرنا وعملها مراقبة النفس
حيث تعمل النفس بالآت البدن والقلب فانها لا تعمل اعمالها
الا اذا كانت الهمة معها مراقبة لها ولو عمل عملا بدون مراقبة
هذا الروح كان العمل فاسدًا مختلا ناقصًا مثل معاملات
النايم فلهذا المعنى لو دخل السوق كل كامل النفس والعقل
مستيقظ غير نايم صحيح الحاسة يرى في السوق اشيا جمّه
مختلفه ويسمع كلمات مختلفه جمّه ولا يفهم ولا يحفظ شيًا من
ذلك الا ما صرف اليها همّته فما ادرك بحضور الروح الذي نسميه
همّه نفهم ونحفظ فغاير ذلك الروح العقل والقلب والنفس
والبدن والجوارح بذلك تفهم ان شا الله وحده وهذا الشرح
بهذه البراهين انما كان لاقوام لا يدرون هذه الاشيا بالحواس الباطنه
فان من يرى يستغني عن البيان بالبرهان فافهم ان شا الله وحده

فصل في اطوار نفس الانسان اعلم ان اطوار خلق
الانسان ما اشرنا اليه انه خلق اولا من العدم ترابا مخلوطا
بتراب الارض ثم ميز تراب آدم وجميع ذرياته فخلق نفس آدم مع
نفوس جميع اولاده في صلبه ثم لما كمل خلقتهم امر الملايكة بسجود

آدم عليه السلام حتى صار آدم مع جميع ذرياته مسجود
الملايكه قال الله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا
للملايكه اسجدوا لآدم ثم اخرج جميع ذريات آدم من صلبه وخلق
لهم العقول الكاملة وخلق القدره والمكنه من سماع السوال ورد
الجواب ثم قال الست بربكم قالوا بلى ثم رد الكل الى اماكنها
من اصلاب الابا لكي يخرج الكل في اوان اخر واوقات متغايرة
من اماكنها الى وجه الارض كما يشا الله تعالى قال عز وجل ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفه في قرار
مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا
المضغة عظامًا فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين فالله تعالى بيّن في هذه الآية
اطوارا جمّة غير ما سبق بيّن انه جعله نطفه ثم علقه ثم
مضغه ثم عظاما ثم لحما ثم جعل خلقا آخر اشرف مما سبق من
الخلقه والصنايع ثم خطب على ذاته جل وعزّ بالبركات والمحامد
قال فتبارك الله احسن الخالقين دل على ان هذا الطور الاخير
احسن واشرف ومعنى قوله ثم انشاناه خلقا آخر اي جعلناه
نفس الانسان وقال بعض من قصر معرفتهم في لغة العرب والعجم

المراد بقوله ثم انشاناه خلقا آخر اى جعلنا هذا الخلق الاخير
هو روح روحانى نفخه الله تعالى فيه وليس هذا الروح مخلوقا
من التراب والطين والما وانما هو نور روحانى وهذا خطا
من قايله لان الها فى قوله ثم انشاناه كناية راجعة الى مذكور
سابق كانه قال ثم جعلناه خلقا آخر فحرف الها راجع الى
مذكور سابق والمذكور السابق الذى كانه قال ثم جعلناه خلقا
صرفه فى هذه الاطوار هو التراب اولا ثم انشانا مع آدم عليه
السلام ثم نطفه فى صلب الوالد ثم علقه فى رحم الوالده ثم مضغه
فتبين بذلك البرهان ان الذى صرفه الى خلقه فى المرة الاخيرة
هى التى كانت فى الابتداء ترابا ومثال ذلك ان السمسم حين
نبت ابتدا كان ما وطينا ثم حشيشا ثم وردا ثم انعقد حبة
السمسمه كانها قطرة ما ثم لم يزل يزيد حتى كمل رطبا ثم ان
الله تعالى جعل منها بعضها شيرجا وبعضها كسبا فالشيرج
مثال نفس الانسان وفى هذا المقام قال فتبارك الله احسن
الخالقين ثم ان له اطوارا اخر بعد ما كمل النفس وهو ان يخلق فيه
روحا روحانيا يقال له السر والمهجة وهو ما نص عليه فى قوله تعالى
ونفخ فيه من روحه وهذا الروح مخلوق عندنا وانه يكون كامل

الخلقه من الابتدا الى الانتها لا يزيد ولا ينقص ثم انه تعالى وتقدس
يخلق مع هذا الروح فى قلب النفس مادة العقل لا يزال يزيد الى
ان يكمل العقل والعلما انما يسمونه عقلا عند الكمال وانما يحمل على
ذلك عند بلوغ الغلام حد المراهقة وعين الشرع لبلوغها حد
الكمال وقتا واختلف علما الشرع فى ذلك الوقت قال ابو حنيفه
رحمة الله عليه هى احد الانواع الثلثه اما الاحتلام واما احبال
المراة واما البلوغ الى ثمانيه عشر سنة ثم هذا العقل والسر
للنفس هما اطوار تربيتها وانها بسببهما يكون كل يوم او كل وقت فى
طور ومقام آخر من اطوار تربيتهما كالبدن يزيد وينمو بانواع
الاغذية ثم بعد البلوغ لهذا النفس اطوار وتربيات من طور الى آخر
فانه الآن يجرى عليها تكاليف العقل والشرع وله الآن اكتساب لها
دخل وآثار فى تربيتها حتى لو كان على وفق العقل والشرع وكان
نور الايمان ونار المحبه بدرقه اكتسابها لا يزال يزيد فى الصفات
الحميده حتى يبلغ الى حد تسمى مطمينه ويكون انور ما خلق ابتدا وتصير
الطف من شعاع الشمس واعلى منها وتبلغ الى اعلى عليين وتجاوز
عن المقربين من الملايكه ومن هنا كان مثال نفس الانسان
الشيرج الممسوسة نارا يشتعل اشتعالا ويملى البيت منها

شعاعًا وضياءً والضياء هي الطور الاخير لهذا الدهن لكن
النفس لا يزال يزيد بعد ذلك وليس لها في المحسوسات نظير
بعد ذلك في اللطافة والضياء اذ ترافع من شعاع الشمس فالان
صلح ان يمثل بها فيقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الاية
وقال في التوراة التي الان في ايدي اليهود ٥ ويقدو الوهيم
اِثْ هو اوذومْ بَصَلمينو كِذْ هوثينو بَصيلمْ الوهيم
بورو اوذومْ معناه ذلك ويقرو يعني خلق وهذه كلمة
فارسية يعني يا مزيد ٥ الوهيم يعني الله تعالى اثْ هو
اوذومْ ذاك ادم ٥ بَصَلمينو يعني بصورته كذْ موثينو يعني
كمثله ٥ بَصيلمْ يعني بصورة ٥ الوهيم يعني الله تعالى ٥ بورو
يعني بدأ اي خلق ٥ اوذوم يعني آدم عليه السلام ٥ وفي الحديث
عن النبي عليه السلام انه قال ان الله تعالى خلق آدم على صورته ٥ ثم
انه لو كان تربية النفس بعد البلوغ على خلاف العقل والشرع
والطريقة فالعياذ بالله يتراجع الى اسفل السافلين ويتمنى
ان لم يكن انسانا وبقي ترابا كما كان اولا ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا فصل في تركيب النفس والبدن والعقل والسر
والاخفى ٥ اما تركيب البدن ظاهر محسوس بعين الراس واما

تركيب

تركيب النفس في البدن فاعلم ان هذه النفس مع ما انها جسم لطيف
مثل الهواء فانها بصورة البدن مغروزة مركبة في البدن يدل عليه
قوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك مثالها خابية مملوءة من الرمل
صب فيها ماء حتى امتلات فالرمل مثل البدن والماء مثل النفس
فافهم ثم بينهما امتزاج وتماسك لا ينفصلان الا بشدة عظيمة
ومشقة شديدة ويسمى انفصالهما نزع الموت فاذا انفصلا تحقق
الموت الاول وفات الحياة الاولى فافهم ان شاء الله وحده فاما
قلب النفس ايضا بشكل قلب البدن وفي قلب البدن وليست منفصلة
من النفس بل هي في صدر النفس غير انها الطف من ساير اطراف
النفس كما ان قلب البدن الطف من ساير اطراف البدن وهذا
القلب جسماني مخلوق من التراب كالنفس وانها خزانة النفس
كما ذكرنا من قبل واما الروح الذي نسميه سرا او همة وكذلك نور
العقل كلاهما في قلب النفس وشعاعهما يتشعشع من زجاجة
قلب النفس ويخرج منها الى ساير اجزاء النفس وابعاضها لكن ذلك
الشعاع النافذ منها الى ساير اجزاء النفس يتلون بلون القلب
ان كان القلب صافيا وان كان كدرا سودا او غيره او زرقا وما
اشبه ذلك كان وصول شعاعها كذلك فلهذا كان عقل الكافر

والفاجر والظالم وغيرهم لا يثمر ثمرة الا على وفاق لون قلبها
اللهم الا ان يلحقه نظر الحق بالرافة والرحمة فيخرجه من ذلك
التهلكه جبرا وقهرا واعلم ان الروح الذي نسميه سرا
وجهان وجه الى عالم النفس ووجه الى عالم الرب والروحانيات
فيطالع باحد وجهيه الى هذا العالم وبالاخرى الى ذاك العالم
الا ان يكون ضعيفا لا يقوى على مطالعة العالمين معا في وقت
واحد فلا يطالع عالم الارواح الا اذا نامت النفس وكلت
العقول عن تاثيرها وهذا الروح للنفس كالروزنة المفتوحة
من القلب الى عالم الروحانيات حتى اذا قلدت النفس وقويت على
مطالعة الروحانيات وعلى خروجها في ذلك العالم كان الممر والمشرع
هذا الروح ولو خرج من عالم الروحانيات نور الى النفس والجوارح
واطرافها الظاهرة او غلبت شعاع تجلي الحق تعالى كان من ذلك
الروزنة ايضا فلو غلبت بعد ذلك وتجاوزت عن النفس واجزائها
كان من ذلك المخرج الآن عين العين ثم صماخ الاذن فان
زادت الغلبة والغليان خرجت من كل مسام البشرات ومن
تحت كل الشعرات ينابيعها هذا البيان ان المدخل والمخرج وهو هذا
الروح ولا يفهم حقيقة ذلك الا بالمشاهدة والوجدان من

النفس

النفس دون الحكاية ٥ اما الاخفى فانه روح اعلى وارفع من
السر وليس مقامه في النفس والقلب ولكن في فرع السر حيث
تجاوز فرعه من عالم الاجسام الى عالم الروحانيات وذلك الاخفى
قايم دايما في الحضرة ولا يكون لكل احد اخفى وانه كالحاجب للسر
والقلب والنفس في الحضرة ٥ ثم اعلم ان هذا النفس بهذه
الاوصاف المذكورة والذات المخلوق من الطين لها ايضا خميرة
من نور مخصوص روحاني وضعها الله تعالى عليها حين خمر
طينة آدم اربعين صباحا فامتزجت مع الطين فاتحدا وصارا
نفسا واحدة لا مغايرة بينهما في النفسية حتى لو كان الانسان
من اهل النار لا يفارقها ذلك النور وكان معذبا مع ركنه الآخر
وهو الطين وقد ورد في بعض الاحاديث ما يدل على انهما معذبين
بخلاف نور العقل والسر والاخفى ٥ فان قال قايل ما
فايدة القاء ذلك النور الروحاني على التراب عند خلق النفس ولاي
غرض القي عليها وتخمر بها قلنا فايدة ذلك هي ان الله تعالى انما
خلق النفس ليعود روحانيا في العاقبة ويسافر في عالم الارواح
والروحانيات ويتجاوز عن ملايكتها فلم يصلح الطين المجرد
لهذا الشان وانما يصلح بان يكون لها مادة وخميرة روحانية

ممتزجة بذاتها ليكون قوة لها كالجناح فيها فبهذا فارق نفس
الانسان نفوس ساير الحيوانات فافهم جدا ان شا الله وحده
اذا عرفت ذلك فاعلم ايضا ان الله تعالى وضع في نفس الانسان
صفات مخصوصه اربعه لكل واحد منها شعب صفات كثيرة
حميده وذميمه احداها صفة الملكيه وثانيها صفه السبعية
وثالثها صفه البهيميه ورابعها صفه الشيطانيه اما
الملكيه كانت مطلوبه فان المطلوب من ذلك النفس الصلاح
والسداد الكلي والطاعة والعبوده الجمليه ولم يكن ذلك بتيسير
الا بقوه صفه الملكيه ٥ واما السبعيه كانت مطلوبه
طلبا مهما فان لهذا النفس حسادا واعدا كثيره فمست الحاجة
الى ان يكون لها صفة ذات هيبة وارهاب تحسر عن سبلها
اعداوها وينفر عن طرقها حسادها خوفا ورهبا يتجلى لها
مسالكها عما يصدها عنها ويزاحمها فيها واما البهيمية لم يكن
منها بد لان ارتقاه الى اعلى عليين والتجاوز عن الملايكه المقربين
لا يتيسر الا بترك المشتهيات الدنياويه والمرغوبات
الاخراويه والاعراض عن جنات النعيم ونيران الجحيم ورفض
مرادات النفس العاجلة والآجلة غير الله تعالى وحده وذلك

الترك

الترك والاعراض والرفض لا يتاتى لها هونا ولا ياتا لها
مسرعا الا بقوه صفة البهيمية واما الشيطانيه احتيج
اليها فان طريقها الى اعلى عليين طريق ذات اخطار ومهالك
وفيها اوديه النيران مشتعله وبحار مسجره وجبال موقده
ويوادي عليها اساد وافاعي ولا ممر لها الا على هذه المهالك
المهيبة في هذه المسالك البعيدة فلم يكن لها بد من صفة
غداره غراره متمرده للوقاحه مفيدة للجراة والجساره
معميه عن الخير والشر مع النفع والضر حتى يتقوى بها على
التهور والاقتحام في مثل تلك المفازه المهيبه فلم يكن ذلك الا
ما سميناها شيطنيه ولولا ذلك الصفه لم يتجاسر على تحمل
الامانه العظيمة التي لا نهاية لعظمتها وفر عن تحملها السموات
والارضين قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا لتهوره وجراته على تحمل ذلك الامانة
تفهم ان شا الله وحده فصل في بيان مقامات ترقي نفس
الانسان في عوالم التربية اعلم ان نفس الانسان اذا كان لها
تربيه قويه وسلك طريقا مستقيما وسرى فيها سيرا سريعا

مستمرا ينقل فتورها ولا يقيم في المقامات ولا يتوطن في
منازلها فانه كان في كل لحظة وساعة لطيفة على مقام اعلى
وارفع مما كان من قبل في اللطافة والتنور وقوة المعارج
والمعاريج والدرجات ٥ واما المقام الاول هو ان يرتفع
من درجة العامة وعلامة ذلك ان يرى في منامه الانبياء
والمرسلين والملائكة المقربين صلوات الله عليهم اجمعين اكثر
مما كان يرى من قبل ٥ ثم يرتقي الى الثاني من المقامات وعلامة
ذلك ان يرى في اليقظة انوارا وكواكب وشموسا واقمارا وما
اشبه ذلك وهذا اول مقام المكاشفات ٥ ثم يصعد الى
المقام الثالث فيرى الانبياء والملائكة يقظة ويكالمهم ويسمع
منهم وفي هذه المنازل والمقامات الثانية والثالثة يبدو له
الغائبات والكرامات ٥ ثم يعلو الى المقام الرابع وهذا مقام
رفيع عالي همته ولا يرتقي اليه الا الاقلون من اهل المقام الثالث
وهنا ينكشف له صفات الله تعالى ونحن نسمي مكاشفات هذا العالم
مشاهدة وهذا المقام عالم التكوينات ويسمى ايضا مقام الطمانينة
اذ صار نفسه مطمئنة هنا فبسبب ذلك وصل الى مشاهدات
الصفات ولانه يحصل لها هنا الطمانينة في معارف صفات الله

تعالى

تعالى لسبب مشاهداتها مرارا جمة ويقال ايضا لهذا المقام
مقام الاحسان فانه متصل له هنا علم اليقين بالله تعالى وبصفاته
جل وعلا بواسطة المشاهدات والاحسان في لغة العرب علم
اليقين يقال فلان يحسن الخط واللغة والحرف والصنايع وفي
هذا المقام صارت النفس في صفائها وتنورها بمرتبة يكون لها
ادنى شعاع والى الآن كان مشاهدتها لما يشاهد في اليقظة
والمنام بين القلب وهي الروح الذي نسميه سرا ومن الآن يسعى
شعاعها مع نور السر الى عالم الارواح الروحانية وفي هذا
العالم امور لا تحصى ومعاملات لا تعد وعموم معارف الصفات
انما تحصل في هذا العالم ٥ ثم يرتقي الى المقام الخامس وفي هذا
المقام قد قوي شعاع النفس وصار مساويا للسر فيرتقي من
المشاهدة الى المعاينة ويقال لهذا المقام مقام الفنا فان
النفس في هذا المقام تعجز وتفنى وتضيع وتفسير الفنا ان لا
يرى العبد هنا غير الله تعالى ولا يجد غيره ولا يعرف الا هو الله
تعالى حتى لا يرى ولا يجد نفسه ايضا ولا يعلمها وفي هذا المقام
منازل ومقامات كثيرة فينقطع فيها الاكثرون ولها اسماء
والقاب فالاول لمحة ثم لمعة ثم ذوق ثم وصول ثم جمع ثم سكر ثم

غرق ثم جمع الجمع وربما يقال عين الجمع ثم حرق ثم سحق ثم محق
ثم محو ثم يهب نسيم البقا ثم صحو ثم افاقه ايضا ثم فنا فنا وهو
البقا الكامل ٥ ثم يرتقي الي المقام السادس وفي هذا المقام صار
النفس بذاتها كشبه الشعاع والي الآن كان جرمه كجرم شعله
المشتعله ولهبها والآن صار شبه الشعاع من جهه اللطافة
فالان كان سيرها بنفسها والانوار الروحانيه التي لها اعني السر
والاخفي كلها كانت سقالها ويكون سيرها بمتابعتها ويقال لهذا
المقام مقام فنا الفنا ومقام البقا يعنون بذلك ان الفنا الذي
كان في المقام الخامس قد فني وفي هذا المقام قد يرتقي عن الملايكة
ثم يصعد الي المقام السابع الذي يقال له مقام الحيره ومقام
العلم المجهول ومقام علم جهل هذه ثلثه اسامي لها وفي هذا المقام
يطلع علي حقيقه قوله تعالي ليس كمثله شي ويتحير فيها ولا يمكنه
اعادة جز ظاهر من ثمه وكل خبر عن كل مخبر يخبر عن هذا العالم
اذا نظر فيه المخبر يعلم انه علي خلاف ما اخبر ولم يات من ثمه
خبر اصح واشرح من قوله تعالي ليس كمثله شي ٥ ثم يرتقي من
هذا المقام الي المقام الثامن ويسمي لذلك المقام عالم العلم البيضا
وفي ذلك العالم فان قربه قريبة ودرجة رفيعة بحيث يضرب الله

تعالي مثل

مثل نوره به فيقول الله نور السموات والارض مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح الاية فالمشكاة هي النفس التي بلغ صفاؤها
وضياؤها الي ما ذكرنا من المقام الثامن والمصباح هو السر
والزجاجة هي القلب والشجرة كلمة لا اله الا الله والزيتونة الاعتقاد
الكسبي الاستدلالي غير التقليدي من اهل الشرق والغرب
والزيت الايمان العطايي المكتوب في قلبه والنار هي نار المحبة فاذا
كان للمهدي مثل ذلك المصباح والزجاجة والشجرة والزيتون والزيت
وانضاف اليها نار المحبة ثم ارتقي علي ما اشرنا اليها من المراقي
والدرجات ففي المقام الثامن المذكور صلح ان يضرب له مثل ذلك
المثل ونقتصر الاشارات علي هذا المقام فان كل واحد من هذه
المقامات الثمانيه مشتملة علي منازل ومقامات لا تحصي ولا تسع لها
العبارة وانما اشرنا نحن الي هذه المقامات اجمالا وتعميما ثم المقام
الثامن لا نهاية ولا غاية لمنازلها ومقاماتها وفي هذا المقام ينقطع
كل مخلوق ولا يبلغها بلوغا كاملا تاما الا الله تعالي ولو جمع كل ما
مسح كل الخلايق والانس والجن والملك وغيرهم من المدارج والمراقي
وكل ما راوه وسمعوا وخطر ببالهم ثم قوبل بالمقامات التي فوق المقام
الثامن كان اقل من قطرة وادني من ذره من عالم الربوبية ٥ وفي

هذا المقام يحصل معرفه الوحدانية العظمى عطآ محضًا من الله
تعالى لا بلوغا اليها معاينة ومشاهدة تفهم ان شا الله وحده
اذا عرفت ذلك فاعلم ان نفس الانسان وان بلغ الى هذا المقام
وصار لطافه كشعاع الشمس والطف منها وجد مثل ذلك
المعاريج في عوالم الروحانية فان مقامه بعد في البدن ولا ينقطع
من البدن الا بالنزع والانزهاق المسمى بالموت والوفاه ولا يخرج
من ان كان جسمانيا ترابيًا ولو شا الله تعالى ان يعيده ترابا اعاد
ولو غلط احد من المشايخ فقال انه روحاني الاصل لا من التراب
والمآ يمكن ان يكون غلطه من هنا راي النفس في هذا المقام فظن
انه كان كذلك من الابتدا في هذا المقام ۞ سوال لو قال قايل
قد ذكرتم من قبل ان النفس في المقام السادس كان سيرها بنفسها
والسر والاخفى يصيران تبعًا لها في السير والآن قلتم انها لا
ينقطع قيامها من البدن الا بالموت كيف ترتقي الى فوق العرش
وتبلغ الى اعلى عليين وهي قايمة في البدن وايضا لو كان للنفس في عالم
العرش واعلى عليين سير وارتقا لزم ان ترى المحسوسات الجسمانيه
ثمه كما ترى على وجه الارض وفي كل مكان سارالها بسير القدم
الجواب اعلم ان النفس التي نقولها بما قلناها من الصفه كان

سيرها في عالم الروحانيات بشرط الخروج من عالم الاجسام ومخرجها
الى ذلك العالم من داخل القلب في روزنة السر فاذا خرج من ثمه
انقطع من عالم الاجسام ثم خروجها من ذلك الطريق لا يستدعي
انقطاعها من موضع حبسها الله تعالى فيها فان سيرها سير
الانوار ومثالها الجوهر المضي الذي يضي البيت في الليل المظلم اذا
وضعته في قاروره صافيه فانه يخرج شعاعه من القاروره
وهذا مثال اوردناه على سبيل التقريب وبينهما بون بعيد فان
ذلك النفس في اللطافة مثل شعاع الجوهر والطف واقوى بكثير
لا كاصل الجوهر لكن الله تعالى حبسها في ذلك البدن فلا يطلق الا
عند الموت فافهم وانما يسير منها شعاعها فافهموا ونقول اصلها
محبوس منعقد في البدن واطرافها يسري في عوالم الروحانيات
فافهم جدا ان شا الله وحده ۞ ثم اذا كان سيرها في عالم الارواح
حتى وصل الى عليين لا يجب ان يرى الجسمانيات ثمه اذ لا جسماني ثمه
ولانه لو مر على السموات العلى من هذا الطريق لا يجب ان يرى
الجسمانيات لانه انما يرى الجسمانيات بالآلة الجسمانية وهي عين الراس
وانما يرى بعين الراس بقدر ما يبلغ اليها شعاع عين الراس ولا يبلغ
ذلك الى السموات العلى ولا الى العرش والجنه والنار فلا يرى النفس

شيا من الجسمانيات ثم تفهم ان شا الله وحده ٥ سوال
فان قال قايل يستحيل ان يصير الجسماني روحانيا ولم يقل
احد كذلك الجواب نقول هذا انكار بارد وعناد مجرد بلا
برهان فانا نرى ترابا ينقلب حجرا وينقلب الحجر جوهرا مضيئا
يضي بيتا مظلما مثل الشمع ونرى ايضا ان الما والتراب ينموا
وينبت الى ان يصير سمسما وجوزا ولوزا فاذا مسهما نار اشتعلا
فصارا شعله تضي البيت كلها بذلك الشعلة كان ما وترابا في
الابتدا بلغ الى حد كان ضيا ملي البيت وما ذلك على الله بعزيز
لان ربي لطيف لما يشا وانه على ما يشا قدير فاذا جوزنا ذلك
في هذا المحسوس من الما والتراب بطل دعوى الاحاله والاستحاله
لذلك في نفوس الاعزا من الانبيا والاوليا والصديقين بل عرفنا
يقينا من الله تعالى انه قادر على اعظم من ذلك بالف الف درجة
وابلغ واحسن منها وقدره الله اعظم من ان يدرك احدها غاية
وكنهها فاما قوله لم يقل احد كذلك قط قلنا لا باس به فان
الواجب ان يكون القول صدقا صحيحا مستقيما سوا قاله قايل
او لم يقل وكل مقال كذب كان لغوا باطلا وان قالها الف الف من العقلا
والسلام على من اتبع الهدى ٥ فصل في بيان كيفية

النفس وكيفيه احوالها عند الموت وبعده وحاله الحشر والنشر
اعلم ان حقيقه الموت للنفس والبدن ان تنفصل احدهما عن
الاخر بالنزع واذا انفصل النفس عن البدن بقي البدن قطعه
لحم وعظم نخر فينمحق ويصير ترابا واما النفس يقبضها ملك
الموت فيوديها الى حيث شا الله تعالى في عليين او سجين كما
قال تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين كلا ان كتاب الفجار
لفي سجين وانما عني بكتاب الابرار والفجار ذاتيهما مجازا فان
كتابهما ملازم ذاتيهما ونفسيهما والعرب تكني باحد اللازمين عن
الاخر والكتاب هو ما قال الله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وختم الله
على قلوبهم وقال تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
اي الزمناه كتابه في ذاته وذمته ٥ سوال لو قال قايل
النفس بعد الانفصال من البدن هل يكون حيا او ميتا الجواب
نقول انما الصحيح ان يقال انه حي بدلالة قول الله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون
فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمه من الله وفضل
وقال تعالى في اية اخرى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات

بل احياء ولكن لا تشعرون وعن النبي عليه السلام انه قال
المومن حي في الدارين ٥ وعنه عليه السلام برواية جابر بن عبد الله
قال يا جابر الا اخبرك بما قال الله تعالى لابيك ما كلم الله تعالى
احدا الا من ورا حجاب وكلم اباك كفاحا قال يا عبد الله تمن
علي اعطك قال يا رب تحييني واقتل فيك ثانية قال سبق
مني انهم اليها لا يرجعون قال يا رب فابلغ من ورائي فانزل
الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا
عند ربهم الاية وقال الله تعالى في آل فرعون النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب فهذه الايات وامثالها كثيرة كلها تدل على ان
النفس بعد الموت الاول كان حيا في نعيم او جحيم ٥ سوال
فلو قال اذا لم يمت الانسان حقيقة بعد الجواب قلنا
معنى الموت هو مفارقة النفس عن البدن على الوجه المذكور
ثم النفس وان كانت حية في ذاتها لكن ذاقت الموتة الاولى
بسبب المفارقة عن البدن ٥ سوال فلو قال هل يكون
للنفس بعد ذلك موت حقيقي خاص قلت الصحيح عندي ان
ذلك يكون عند ابتداء النفخة الاولى حيث تموت الملايكة فان

الايات تدل على ذلك قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شا الله وكل اتوه داخرين
وقال في موضع اخر الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون وقال تعالى كل من عليها فان وقال تعالى
كل شي هالك الا وجهه وقال تعالى حكاية عنهم قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الاية فالاحيا الاول في الدنيا
في بطن الام والاحيا الثاني عند النفخة الاخرى والاماتة الاولى
في الدنيا عند مفارقة النفس عن البدن والاماتة الثانية
عند النفخة الاولى فافهم جدا ان شا الله وحده ٥ فاما عذاب
القبر والروح والريحان في القبر كاين لا محالة كما قال النبي عليه
السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
يدل على ذلك كثير من الايات والاحاديث والصحيح عندي ان ذلك
لا يكون الا بطريق اعادة النفس الى البدن وسوال المنكر
والنكير ايضا بذلك الطريق يكون وليس يخفى على اهل الاسلام
ان ذلك على الله تعالى اسهل من لمحة البصر والايات والاحاديث تدل
على ذلك اما الحشر والنشر في يوم القيمة بنفخة الصور هو ان يعيد
الله تعالى البدن صحيحا كما كان عند الموت الاول ثم يعيد النفس

الي البدن كما كان عند الولادة والله علي كل شي قدير وهو
بكل خلق عليم وان اهل الاسلام متفقون علي ذلك العلم والقدره
والقوة والحكمه ثابته لربنا تعالي ولا خلاف في ذلك ومن
ينكر الحشر والنشر خارج من حد الاسلام الي حد الكفر
والنصوص الدالة علي الحشر والنشر اكثر من ان تحصي قال
الله تعالي واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت
قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة
وهو بكل خلق عليم ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك
نطفة من مني يمني الي قوله اليس ذلك بقادر علي ان يحيي الموتي
وامثال ذلك الايات في القران كثير ثم ان جميع التكاليف
وجزا الاعمال والثواب والعقاب المذكور في القران والاحاديث
كلها دلالات ظاهرات علي كينونة الحشر والنشر والحساب
والكتاب والجنة والنار فلا حاجة الي تطويل ذلك مع المسلمين
فافهم جدا ان سوال فان قال انكم قلتم في ابتدا الفصل
بانفصال النفس عن البدن بالموت باي دليل قلتم الجواب
قلنا الايات والاحاديث التي سنذكرها كلها تدل علي ذلك قال
الله تعالي قال الله تعالي كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومعلوم

ان البدن تراب في القبر لا في عليين فما يكون في عليين لا محالة
كان غير ذلك وقال ايضا في حق الشهداء بل احيا عند ربهم وما
كان حيا عند ربه تعالي كان غير الثواب في القبر لا محاله وقال
تعالي ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملايكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم وهذا نص ظاهر في الدلالة علي
خروج النفس من البدن عند الموت وقال تعالي يا ايتها
النفس المطمينه ارجعي الي ربك راضية مرضية يعني ارجعي
من عالم البدن الي عالم الارواح والروحانيات والاحاديث
الواردة في هذا المعنى اكثر من ان تحصي ونشير الى بعضها
قال النبي عليه السلام نفس المومن تخرج رشحا ونفس الكافر
تخرج من بين جنبيه وذلك نص ظاهر في الدلالة علي خروج النفس
من البدن وقد مر بعض الاحاديث في الفصل الاول فلا
نعيدها هنا كيلا يطول فافهم جدا ان شا الله وحده فصل
في الاشارة الي كمال العبودية والحرية للنفس المومنة اعلم
ان العبادة غير العبودية فان العبادة طاعات من الفرايض
والسنن والنوافل نحو الصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد
واشباهها من المعاملات اما العبودية هي الضعف والعجز

والهوان والتذلل الملازم لذوات العقلا بل الملازم لكل
المخلوقات بالاضافة الي الله تعالى وتقدس كما ان العزة والعظمه
والكبريا والجبروت ملازم لذات الربوبية محال خلاف ذلك فهذه
العبودية لازمة لذات المومنين والكافرين جميعًا ٥ سوال
فلو قال هذه العبودية التي تشير اليها صفة ذاتية لازمة
لذات الانسان كما ذكرتم فاي كسب للعبد فيها حتي يمدح
عليها الجواب نقول كسب العبد فيها التزام هذه
العبودية اللازمة عن طواعية والانقياد له رغبة لا رهبة
والافتخار بها تذللا وتواضعًا لها وتنزيه النفس عن عبودية
آلهة متفرقه وتخليصها عن قيود ارباب متشتته حتي لا يكون
علي ايديها وارجلها قيد شي غير الله تعالى ولا علي جسدها
طوق غير طوق الحق تعالى ان قام قام بامر الله لله وان قعد
قعد باذن الله لا يموت ولا يعيش الا لله تعالى وتقدس ويبذل
ذات نفسه الي خلفه بمراداتها ومشتهياتها جميعًا لا يقضي
شهوة الا بامر الله ولا يستوفي مرادًا الا باذن الله ولا يحب غير
الله الا لله ولا يخطر بباله غير الله الا لله فالحب في الله والبغض
في الله والحياة والممات لله فاذا كان كذلك كان عبدا خالصًا مخلصًا

206 خاصا لله تعالى لا شريك له تعالى فيه هذه كمال العبودية فاذا
بلغ الي هذا المقام شد قدميه وتمسك بيديه وتعلق باسنانه
حتي يدوم اقامته في هذا المقام فلا يتراجع قهقري والمخلصون
علي خطر عظيم ها هنا حتي يمضي عليها مدة مديدة في هذا المقام
فيحصل له التمكين في ذلك فيسهل عليه القيام علي الدوام
هنا فهذا مقام كمال العبودية ومقام الحرية ايضا عين هذا
المقام لا غير ومعني الحرية هنا انه اخلص عبد الله تعالى
وانتفي شركة غير الله تعالى عن ذاته وصفاته وكان حرا اي
خالصًا لله تعالى والحرية في اصل لغة العرب عبارة عن الخلوص
يقال طين حر اي خالص ليس فيه غير الطين نحو الرمل والرماد
وغير ذلك من شوايب الحشو وقد غلط بعض اهل الاباحة
هنا فظنوا ان حرية عباد الله تعالى خروجهم عن عبودية الله
تعالى ولا يبقي عليهم شي من العبادات وذلك جهل محض ٥
ومشايخ الصوفية منزهة عن هذه الطريقة فافهم ان شا الله
وحده ٥ سوال لو قال قايل ان كانت العبودية
لازمة لذات العبد في الدنيا والآخرة فان الالتزام لها والانقياد
لها كسب العبد كما ذكرتم فالمومن في الجنة اي شي يعمل بها يلتزمها

وينقاد لها تذللا وتواضعا ام لا ان التزم وانقاد باختياره
فذلك دار التكليف وليست الجنة دار التكليف وان لم
يلتزم والعياذ بالله صار معاندا كافرا الجواب قلنا
لما التزم ذلك وانقاد لها وتذلل وانطاع وخرج من الدنيا
على هذه الحالة فانه يبعث من القبور عليها ويحشر الى المحشر
عليها ويدخل الجنة عليها ويبقى عليها ابدا من غير احتياج الى
تجديدها فافهم ان شا الله كما قلنا جميعا في الايمان لعامة من
خرج من الدنيا مومنا يبعث من القبور مومنا ويحشر الى
المحشر مومنا ويدخل الجنة مومنا ويبقى في الجنة مومنا
ابدا سوال فان قال قايل قد شرطتم في كسب
العبودية التجرد عن قيود الاغيار غير الله تعالى والتخلص
عن عبادة الهة اخرى فما ذلك القيود والالهة الكثيرة وكيف
يجرد الانسان نفسه الجواب نقول اعلم ان كل من كان
في قلبه ارادة شي من الاشيا او امر من الامور او كراهة
ذلك او حبها او بغضها او خوفها او رجاها او الرغبة فيها
او الاعتقاد بها او بحسنها او بقبحها او حال من احوالها او
حال من احوالها او الظن بذلك فانه عبد ذلك الشي وذلك الامور

كلها

كلها الهته ومن ذلك قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه افانت تكون عليه وكيلا وقال تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم واذا كان ذلك قضية العقل
والشرع ان يقطع ذلك الاوصال كلها عن قلبه ويتجرد عنها
ويتوجه عبدا لمعبود واحد اما قوله كيف يجرد الانسان
نفسه عنها قلنا الاصل في ذلك ان يعلم الانسان ان العقود
والقيود والاوصال في باطن الانسان كثيرة لا تحصى ولا سبيل
الى انفرادها وتفصيلها في ذلك المختصر غير الاشارة المختصرة
الكافية للاكياس تفهم ان شا الله وحده اعلم ان ابتدا
هذه العقود والاوصال من حين اجتنان العبد في بطن الام
حين كان يجد الحرارة والبرودة والروايح الطيبة والكريهة
فلم يزل يحب الطيب ويكره المكروه ويطلب الحلو وينفر عن المر
فهذا اتخاذ هذه الاشيا الهة الى ان يخرج من باطن الرحم
الى ظاهر العالم فياكل ويشرب الحلو والحامض والمر والمالح
ويلبس الالوان ويشاهد ضيا النهار وسواد الليل ويعلم
شفقة الام والاب وغيرهما من الاقربا ويجعل على قلبه
من كل واحد عقدة واحدة فاحب البعض وابغض البعض هكذا

حتى يبلغ الي حدّ يفهم منافع الاموال والاملاك من الذهب
والفضة والخيل والبغال وغيرها من الدواب والضياع
والعقار والعبيد والاما الي ساير المرغوبات في دار الدنيا
فيعقد لكل واحد منها عقدة علي عين القلب وعلي هذا المثال
يتخذ كل ما في الدنيا من الانفس والاموال معبودا اله معقودا
علي قلبه فصار في قلبه رباط الخيل والبغال والحمير والبقور
ومزارع الاكره واسواق التجارات وخزاين الاموال المتنوعه
ودواوين المعاملات المختلفة ومراحل الجنود ومعاقد البنود
ومحافل الجدال ومعارك القتال والي هذا المثال مما لا تحصي
حتى يصير نفسه وقلبه كانه في ظلمات بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا
اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
وكل ذلك العقود المعقوده اربابه والهته المتخذه باتخاذه
معبودا ومعقودا وكل ذلك حجب واستار مرسله وسدود
صادّه صارفه بينه وبين مطلوباته الاعلي فما لم يحلّ العقود
والاوصال ولم يخرق الحجب والاستار ولم يرفع الصوارف
والصوادّ استحال وصوله الي المرام هذه عقود امور غير
محرمة

محرمة شرعا فلو انه اكتسب الجرايم وارتكب المحارم وفجر او
كفر فهذه ظلمات اخر عقودها لا تشبه العقود المتقدمه
وللنجاة عن ذلك طريق آخر وهو التوبة والندم علي ذلك مع
العزم علي ان لا يفعل مثل ذلك من بعد قط مع التدارك لما
يمكن تداركها واما النجاه من القصود السابقه لها طرق لا
تحصي وانواع لا تعدّ بعضها بالعقل وبعضها بالشرع ولا يحتمل
ذلك المقتصر شرحها لكنا نشير اشاره جملية مقتصره يكفي
الاكياس ان شا الله وحده فنقول طريقه ان يجعل كل ما راي
وسمع وعرف وعلم واراد واحبّ ورغب فيه ووجد كانه لم ير
ولم يسمع ولم يعلم ولم يرد ولم يرغب فيه ولم يجده قط وكذلك كل ما
خاف منه وكره وابغض وتاذي منه ونفر عنه فيجعل كانه ما
خاف وما كره وما ابغض وما تاذي منه ولم ينفر عنه ويجعل
نفسه من كل شي سوي الله تعالى كانه ميتا ولم يخلقه الله تعالى
والي هذا اشار النبي عليه السلام بقوله عُدّ نفسك من اصحاب
القبور وقوله عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت
فانما امر بذلك لان كثره ذكر الموت يفيد ما ذكرنا من الوصف وقوله
عليه السلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل اشارة

الى ما قلنا هذا طريق العقل ولما حصل ذلك لابي بكر رضى
الله عنه قال النبي عليه السلام من اراد ان ينظر الى ميت
يمشي على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر ه واما طريق
الشرع فهو المحافظة على عموم الطاعات والعبادات والاذكار
والافعال والخلوات والمراقبات واشباهها المذكورة في طرايق
الصوفية نحو كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي رحمه الله عليه
وابتدا كل ذلك هي التوبة عن المعاصي والوسط هي صرف
الاوصاف الذميمة الى حد الاعتدال وتقوية الاوصاف
الحميدة وجعل زمام الكل في يد العقل والشرع حتى تصير
النفس بذلك التربية مطمئنة واخرها ترك النفس وترك الدنيا
والاخرة وترك كل ما سوى الله تعالى ليكون بجميع افعاله
واقواله واحواله لله تعالى فيعمل كل ما يعمل لله تعالى ويترك كل
ما يترك لله تعالى لا لغيره ه سوال فان قال قايل
على قياس كلامكم يلزمه ان يترك الفرايض والسنن ويعرض عن
الانبيا والرسل والملايكة وينساهم جميعا ولا يلتفت الى احد
غير الله تعالى الجواب قلنا اخطات في الوهم والفهم ه
فانا نقول يجب ان يعمل كل ما يعمل لله تعالى وحده فيودي

الفرايض

209

والسنن والنوافل بامر الله تعالى وندبه واذنه جل وعلا (
ولا يعرض عن الانبيا والرسل والملايكة بل يطيعهم وينقاد
لهم لله تعالى فان الله تعالى امره بذلك وندب الى ذلك ولا يرى
باعماله وطاعاته منة على احد ولا قدرا وقيمة لاعماله ولا
يطلب الاجر والثواب عليها فيكون كاجير السوء ويومن بالانبيا
والملايكة لله تعالى لا لهم باعيانهم اذ لو كان اعماله لهم كان
شركا ولو لم ينقاد لهم ولم يتابعهم خالف امر الله تعالى فعلم
بهذه الجملة ان العبد كيف يصل الى كمال العبودية ومقام
الحرية والكلام في ذلك اكثر من ذلك لكنا نقتصر كيلا يطول ه
سوال فلو قال قايل اذا عمل العبد لله تعالى جميع ما
يعمل على الوجه الذي ذكرتم ايش يكون له من الله تعالى فذلك
الذي يكون كان مطلوبا لعبد مرغوبه بعبادته فجاءت الشركة
في العبادة الجواب نقول كان هذا القايل ظن ان للعبد
على الله تعالى نوع منة بما يعمل من الطاعات وله تعالى فيه نفع
وفايدة عايدة الى ذاته جل وعلا حاشا الله انه تعالى وتقدس
منزه عن الرغبة في طاعاته والحاجة الى عباداته وليس في
الطاعات والعبادات منفعة ولا مصلحة الا هي عايدة الى العباد

وكلام هذا الفصل على الفصل يتصل بما ذكرنا
اصلا الا اولى ان يقال انه تعالى ه

اذا عرفت ذلك فاعلم انه لا ينبغي ان يعمل شيا من الطاعات
والعبادات لما تعلق بها من المصالح العاجلة والآجلة نحو الثواب
ودفع العقاب لان ذلك يخل في العبودية والطاعة والانقياد
لله تعالى ولاوامره ويورث الشرك والعياذ بالله اما
قوله ايش يكون له من الله تعالى قلنا لا يبعد ان تعالى يكون
الله تعالى ولاوامره ويورث الشرك والعياذ له الها ومولى
وسيدا وقال النبي عليه السلام من كان لله كان الله له اما
لا ينبغي ان يكتسب العبودية ليكون المعبود له فان ذلك طلب الحظ
ولكنه يعبده ويتذلل له تعالى لانه اله سيد مالك مستحق من
العبد خلوص العبودية ثم لو كان الله تعالى بذاته وصفاته له
وانعم عليه بالآء ونعم ما لا عين رات ولا اذن سمعت فذاك من
فضل الله تعالى وكرمه وجوده يفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد
واذا وجد الانبيا صلوات الله عليهم والاوليا شمة من عوالم
الفضل والجود والكرم مما لم يرها العيون وما سمعت الاذان
اخفوها مما قالوها الا بالاشارات والكنايات البعيدة فان
مشام كل احد لا يتحمل ذلك الشمة ولا كل حوصلة يسع فيها تلك
اللقمة وعلى الجملة اذا بلغ العبد ذلك المقام ووجد من ذلك الايادي

والالطاف

والالطاف لا ينبغي ان يخطي نفسه ويتغلط فيها والعياذ بالله
فان ذلك ايضا مغلطة عظيمة بل يجب ان يكون كيسا دراكا
متنبها يتعلق بذيل العبودية بالايدي والانامل ويعض بالنواجذ
ويتمسك بالمخالب ولا يلقي حبلها على غاربها والا هلك كما هلك
الاكثرون بادنى شبهة الكرامة ونسيم اللطافة الربانية
اغتروا بها فانقطعوا انقطاعا لا يرجى صلاحها ابدا ولا
ينبغي لمريد صادق ومحب عاقل ان يتخلف عن مقام محمود علام
كلما زاد محمود في تبجيله وكراماته زاد اياز في تذلله وتواضعه
لسيده وتمسكه بذيل الفرد الاول الموروث من والديه
الذي سبي فيها من بلاد الترك حتى اذا بلغ الى حد اجلسه
المحمود على السرير ورفع غاشيته على كتفه فقال انت سيدي
ومولاي وانا عبدك محمود قال لا بل انت سيدي حقا حقا
وانا عبدك رقا رقا وهذه انعامك وجودك واكرامك
اغرقتني فيها ليبلوني اشكر ام اكفر فان شكرت فلنفسي وان
كفرت فالكفرة يدخلون جهنم داخرين ولست بناسي لنفسي مذ
سبيت في فروة مملوة من القمل ذوات الاذناب والانياب وصيح
علي في السوق من يزيد وشروني بثمن بخس دراهم معدودة

مردودة مزيفه وكان الناس فيّ من الزاهدين واني الآن
اذل عبيد عبادك واقل خدام بواب بابك لك الفضل باكرامك
وعليّ الشكر على انعامك والله يجازيك ويكافيك بما ربيتني
واوليتني واعليتني الى هذه الدرجة العالية بجودك وكرمك
هذه مطاوعه المخلوق لمخلوق مثله فلا يبعد في العقل والشرع
فتحا ان يكون المخلوق في طاعة خالقه اقل من ذلك فافهم جدا
ان شا الله وحده ٥ فصل في بيان الدلايل وابراز
البراهين الداله على ان المخاطب المكلف العامل المتكلم المستحق
للمدح والثواب والذم والعقاب جسماني مخلوق من الطين والما
والتراب محدث مخلوق وليس هذا هو الله تعالى ولا صفه من
صفاته جل وعلا ولا جز منه ولا بعض تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا وذلك الذي نسميه نفسا اعلم
ان كلامنا في ذلك مع الفلاسفة واتباعهم وهم اصناف
الملحدين المنكرين للحشر والنشر والجنه والنار والقران
كلام الله واخبار نبي الله المصطفى وساير الانبيا صلوات
الله عليهم يقولون ان النفس الناطقة الفاهمة العاملة العالمه
كما اشرنا اليها هي جز من الله تعالى وبعضه وانها قديمة

211 ازليه غير مخلوقه ويشبهون ذلك بشعاع الشمس تصل
الى الارض وهي بعض الشمس والشمس على السما بكمالها ويشبهون
ذلك ايضا بنهر عظيم ينشق منها انهار ومن الانهار سواقي
وجداول ثم يسيل في العاقبة كلها الى البحر ويتحد الكل معا
ثم ان بعض المتاخرين من الصوفيه الذين ليس لهم علم معاني القران
والاخبار وفي الشريعه اغمار غلطوا في كلام الفلاسفه وقلدوهم
ولا سيما اهل الجبال وكثير من اهل الشام والعراق ويقولون بلسان
الجبليه اج جوز سمي لا كي جوز شه ديد ويقولون ايضا ان
الله تعالى يراه المومنون بالاتفاق ولا يستطيع ان يرى الله الا
الله ويقولون لا يستطيع ان يعرف الله الا الله ومن هذا الجنس
الدعاوى بلا معاني ولا برهان مما يكثر بينهم ويتمسك بعضهم بالحديث
المروي عن النبي صلوات الله عليه عن الله تعالى لا يزال عبدي يتقرب
اليّ بالنوافل بنوافل العبادات حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا
وبصرا اي يسمع وبي يبصر ونحن نسمي هولا حلوليه ٥ اما
اصناف الفلاسفه والملاحده فانا لا نتكلم معهم في هذا المختصر
اذ لا حاجة بسبب انا اشبعنا الكلام في اجوبه شبهاتهم واوضحنا
البراهين الداله على بطلان مذاهبهم في اصول الكلام ولا سيما

في كتاب التجريد في رد مقاصد الفلاسفة وهذا المختصر هولاء
المقتصرين في العلم رتبناها بالفارسية اولا لاهلها ثم نقلناها
الى العربية لاهلها وهولا كلهم مسلمون ايمانا ويومنون بشريعة
المصطفى صلوات الله عليه وبالقران والاخبار ويزعمون انهم يقتدون
بمشايخ الصوفية من المسلمين ويدعون ان لهم من الاحوال والمكاشفات
ما كان لكبار مشايخ الصوفية ومعلوم ان تلك الاحوال والواقعات
الواردة اليهم كثير الافات والابتلا ومن جملة الافات هواجس
النفوس والقا الشياطين وليس الكل روحانيا ولا رحمانيا
فلا بد لها اذا من محك وديذبان تحك على المحك فيفرق الردي
والنقي ونواب الديذبان في مسالكنا كلها فنهتدي بها الى
سوا الصراط صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
وليس فيما بين الخلق محك وديذبان لذلك الا وكلام الله اعلى
وابهج ثم كلام انبيايه وسنن المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه اولى وافضل ثم سير مشايخ علما هذه الطايفة واتفق
في مسئلتنا هذه جملة مشايخ الطريقة وعلما الشريعة من
الفقها والمتكلمين واصحاب الراى والمحدثين واهل اللغة
والمفسرين وكل من له يد ولسان في نوع من انواع علوم هذا

212 الدين الاحمدي صلوات الله عليه ان المخاطب المكلف العالم
العامل العاقل المستحق للمدح والذم والثواب والعقاب
المسمى باسم الانسان هو شي جسماني مخلوق من الماء والطين
وكان ترابا اولا ثم نطفة على الترتيب المشروح من قبل فاذا
عرفت هذا اجماع هولا الجماعات هنا عرفت اجماع الصحابة
والتابعين ايضا فانه لم يرو عن احد منهم خلاف ما قلنا وان
هولاء انما اخذوا هذا المذهب منهم وهم اخذوا من النبي صلوات
الله عليه وكيف يخالف عاقل مسلم ذلك من ذلك وجميع القران
نصوص ظاهرة دالة على ذلك المعنى فافهم جدا ان شا الله وحده
جينا الى بيان ايات القران الدالة على ما قلنا ان ذلك النفس
التي قلناها هي ما قلنا وكما قلنا قال الله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فالله تعالى عنى
بالسموات والارض اهل السموات والارض من الملايكة
والجن وغيرهما من العقلا سوى الانسان لان ذلك الامانة
ليس يخرج من ان كان تكليفا من الله تعالى ولا يصح التكليف على
غير العقلاء ولان عرض الامانة على غير العقلا اخارج عن

الحكمة والله تعالى منزه عن ذلك ثم ان ساير العقلا قد خرج
من البين بابا التحمل والاشفاق منها وبقي المستثني وهو
الانسان قابلا لذلك الامانة ضرورة وبذلك تبين ان ليس ذلك
الامانة هي التكاليف الشرعية او العقلية من الطاعات والعبادات
وامثالها فان الملايكة والجن وساير العقلا تحملوا ذلك فعلم ان
ذلك الامانة لا يعرفها الا من هو حاملها وانما حملها الانسان بقوة
الاوصاف الاربعة الملكية والسبعية والبهيمية والشيطانية
بعد ما كان اصله طينا مخمرا بيد الله معجنا بخمرة روحانية موضوعا
فيه العقل والسر مكتوبا في قلبه الايمان مويدا بروح من الله
تعالى ولهذا قال انه كان ظلوما جهولا فالظلومية اشارة الى
السبعية والجهولية اشارة الى الشيطانية وبذلك الوصف
ايضا خرج الملايكة من البين اذ هم غير موصوفين بالظلم والجهل
ولهذا قال الله تعالى للملايكة حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم
ما لا تعلمون اعني اني اعلم ان ذلك يفسد ويسفك الدما جهلا
وظلما فانه هو الذي يصلح للتحمل امانة عجيبة عظيمة ويتحملها
رغبة فيها ورهبة عن تركها واباها وانهم عاجزون عنها غير

صالحين لتحملها تشفقون عنها ضرورة واضطرارا لا امكنة واختيارا
واتفق علما الاسلام على ان ذلك الامانة غير خارجة عن التكاليف
مطلقا ثم اختلفوا بعد ذلك قال بعضهم تكاليف العقل وقال
بعضهم تكاليف الشرع وقال كبار المشايخ الصوفية هي من التكاليف
المرتفعة الخارجة من تكاليف العقل والشرع وذلك طور من اطوار
ما ورا العقل والشرع وذلك طور من اطواره وقد ذكرنا فيما
جمعناها بالفارسية ان ساير التكاليف العقلية والشرعية مرادا
بهذه الامانة ومرادا آخر اعظم من ذلك وهو كون العبد بكمال
العبودية لله تعالى وكونه حرا مجردا فارغا عن كل المخلوقات
لا بل هي امانة اعظم واعلى من ذلك واجل فاي شي ذاك فذاك ذات
الربوبية مع الصفات الالهية تعالى وتقدس والى هذا اشارة في
الحديث عن النبي صلوات الله عليه عن الله تعالى ما وسعني ارضي
ولا سماي ووسعني قلب عبدي المومن لكن بشرط تحمل ذلك
الامانة كينونة العبودية على حد الكمال بعد اعتدال الاوصاف
الاربعة البهيمية والسبعية والشيطانية والملكية وقوله
تعالى انه كان ظلوما جهولا ذكر مدحا لا ذما فانهم جدا
اذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامانة والتكليف باجماع علماء

الاسلام اي تكليف كان على هذا الانسان المذكور في هذه
الايه باسم الانسان الموصوف بالظلوميه والجهوليه ولا
شبهه ان ذوات الله تعالى وذوات الملايكه والجن وذوات الارواح
الروحانيه لا يسمى انسانيا فعلمت ان المخاطب المكلف المستحق
للمدح والذم والثواب والعقاب العامل للطاعات والمعاصي
ليس الا هذا الانسان هذا على قول من قال ان هذه الامانة
هي الطاعات العقليه والشرعيه وهم عموم علما الشرع
والمحاسبي والصوفيه صفا الربوبيه وان قالوا ان ذلك الامانة
اعظم من ذلك لكنهم لم ينكروا ان ذلك تكليف عليه امانه عنده
هو مخاطب ماخوذ بالتهاون في حفظها ممدوح بالمحافظة عليها
وانه هو نفس الانسان المخلوق من الطين والما على الوجه
الذي سبق اذا عرفت ذلك في الانسان تبين من بعد
ذلك بالايات التي تاتي ان المسمى بالانسان المخلوق من الطين
والما ان شا الله وحده واذا عرفت هذا الاصل في اسم
الانسان فقد عرفت ايضا في الانس بكسر الالف والناس
والاناس بضمة الالف والاناسي والانسي واشباهها فان
كان ذلك ماخوذ من اصل واحد وهو الانس بضمة الالف سمي

انسانا مشتقا من الانس لانه يانس اليه ما ليس من جنسه
من الحيوانات كالخيل والبغال والحمير والانعام والاغنام
واشباهها وكل تكليف وخطاب ومدح وثواب وذم وعقاب
في الايات والاحاديث توجه على من هو مسمى بهذه الاسامي كان
على نفس هو انسان مخلوق من الطين والما على ما نبين من بعد
انه مخلوق من الما والطين وذلك اشباه قول الله تعالى يا
ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون الى اخر الايات التي هي راجعة الى الناس المذكور هنا
وهو مخلوق من التراب وقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة الى اخر هذه السورة كلها خطابات
راجعات الى من هو مراد بالناس في ابتدا السورة وهو
مخلوق من التراب وقال تعالى وانزلنا من السما ما طهورا
لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا الايات كلها خطابات مع من سماه
اناسي والى امثال ذلك في القران كثير اكثر من ان يحصى في هذا
المختصر اذا عرفت ذلك فلنشير هنا الى بعض الايات الدالة
على ان الله تعالى خلق من هو المسمى بالانسان من الطين والتراب والما

قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالسلالة من الطين هي ما
يخرج من بين اصابع الفخار عند تعجينه الطين وهذا نص ظاهر
فيما قلناه وقال في آية اخرى ولقد خلقنا الانسان من
صلصال من حماء مسنون والصلصال طين الفخارين الذي
ييبس بعد ما اتخذوه كيزانا وبساتيق واشباهها والحماء في
اللغة طين وما والمسنون ما مضى عليه سنون واعوام
وقال في آية اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم
يك نطفة من مني تمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فالله تعالى
بين ان الانسان كان من نطفة من مني ثم كان علقة وقال
في آية اخرى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا فالله تعالى بين انه خلق الانسان من نطفة امشاج
والامشاج جمع مشيج والمشيج ما الرجل والمراه الممتزجة معا
وقال في آية اخرى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
وقال في آية اخرى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق
يخرج من بين الصلب والترايب وامثالها في القران كثيرة كلها

نصوص على ان الانسان مخلوق من الماء والتراب وقد عرفت
في آية الامانه ان المتحمل لها هو المخلوق من الما والطين والتراب
وهو الذي قلناه ٥ جئنا الى نوع آخر من النظر والاستدلال
بالايات قال الله تعالى في سورة المؤمنين ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفه في قرار مكين
ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين وقد تقدم تفسير السلالة
والطين والنطفه فاما العلقه فهي دم معلق اي منعقد واما
المضغه قطعة لحم والعظام جمع العظم واللحم مشهور قوله تعالى
ثم انشاناه خلقا آخر يعني ثم اخذنا من مجموع ما حصل من هذه
الاشيا بعد هذه الاطوار بعضها فجعلناه خلقا آخر اعز واشرف
من الكل فلهذا مدح ذاته جل وعز على ذلك قال فتبارك الله
احسن الخالقين وذلك الخلق الآخر هي النفس التي نقولها على الوجه
الذي قدمنا البيان وضربنا المثال بالدهن والسمسم والجوز واللوز
ودهنها ثم هذا الطين والنطفة والعلقة والمضغه واللحم والعظم
كل ذلك جسمانية باجزايها وابعاضها كلها فما خلق وانشي من بعضها

يكون حيئنا نيا لا محاله ثم الله تعالى نسق في هذه السورة على
هذه الآية كثيرا من الآيات هي خطابات عايدة الى هذا المخلوق
المذكور بقوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر قال ثم انكم
بعد ذلك لميتون الايات فعلم بذلك ان هذا المخلوق من الطين
والماء على هذه الاطوار هو المخاطب المكلف العاقل العامل
الفاهم ثم جينا الى آية اخرى في سورة الحج قال الله
تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا
ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر
الايات فالله تعالى نادى نداء التنبيه عموم الناس ثم جعل كونهم
مخلوقين من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة
دلالة على كون البعث وعلى كونه تعالى قادرا على احيا الموتى
والذي ينصب دليلا على امر من الامور فانما يصح دلالته اذا
كان الدليل اظهر من المدلول الا ترى ان العقلا انما يستدلون
بالشاهد على الغايب لا بالغايب على الشاهد وبالمعلوم الضروري
على ما ليس بمعلوم فعلمت بذلك ان كون الانسان مخلوقا من التراب

والنطفة وامثالها معلوم ضروري لكل مومن يومن بالقران
بل لكل كافر بالحشر والنشر وان كونه مخلوقا من التراب
وللنطفة اظهر واشهر لهم من الاعادة بعد الموت حتى صح ذلك
الاحتجاج المضغة قطعة لحم والمخلقة ما ظهر الصور فيها
وقال ايضا في آية اخرى ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حما مسنون الى قوله تعالى اذ قال ربك للملايكة اني
خالق بشرا الآية فشرح الالفاظ والاستدلال بامثالها ما
اشرنا اليها من قبل وقال في سورة الاعراف ولقد
خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس الى قوله تعالى قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين وقال في سورة النحل خلق الانسان من نطفة
فاذا هو خصيم مبين ثم نسق الايات المشتملة على الخطابات
والحكايات الى آخر السورة كلها مضافة الى هذا الانسان وقال
في سورة آل عمران ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من
تراب فالله تعالى نص على انه خلق آدم من التراب وقال في سورة
الكهف حكاية عن احد الاخوين قال له صاحبه وهو يحاوره
اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا الآية

وقال في سورة بني اسرايل واذ قلنا للملايكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس قال ا اسجد لمن خلقت طينًا الايات وقال
في سورة طه الذي جعل لكم الارض مهدا الي قوله تعالى منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخري يعني من الارض
الذي سبق ذكره خلقناكم تفهم ان شا الله وحده وقال في سورة
الفرقان وهو الذي خلق من الماء بشرًا الايات يعني الرب الذي
خلق البشر من الما ثم اضاف كثيرا من الخطابات والحكايات اليهم اعني
اولاد البشر والبشر آدم صلوات الله عليه ويذكر البشر ويراد
به اولاده عليه السلام فعلم ان الاصل في هذه التكاليف في الخطابات
الاوامر والنواهي هو هذا المخلوق من الماء وقال في سورة الروم
ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون الي قوله
تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وهذه
الخطابات التي سبقت من قبل وتاتي من بعده في هذه السورة مع
هولا الذين قال لهم الله تعالى خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر
تنتشرون علي وجه الارض ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
تخرجون منها يوم الحشر وقال في سورة السجدة الذي احسن كل
شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين ملح
ثم

ثم سواه ونفخ فيه من روحه ن السلالة ما سل من شي آخر
مهين ضعيف حقير نافه وقال في سورة الملايكه والله خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثي ولا تضع الا
بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك علي
الله يسير وقال في سورة يس اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال في سورة الصافات فاستفتهم
اهم اشد خلقًا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب قوله لازب
يعني لاصق لازق لازج وقال في سورة ص اذ قال ربك للملايكة
اني خالق بشرا من طين الآية وقال في سورة حم المومن هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفي من قبل فالله تعالى
بين في هذه الآية اطوارا جمة متضمنة كلها كون المخاطب جسمانيا
فافهم جدا ان شا الله وحده وقال في سورة النجم اذ انشاكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم اي انشاكم وانشاكم
من بعض الارض والاجنة جمع الجنين والجنين نفس الانسان مادام
في بطن الام وقال ايضا في سورة النجم وانه خلق الزوجين
الذكر والانثي من نطفة اذا تمني وقال في سورة الرحمن خلق الانسان

من صلصال كالفخار وقال في سورة الواقعة افرايتم ما تمنون
أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وقال في سورة سال سايل كلا
انا خلقناهم مما يعلمون يعني خلقناهم من طين وما مهين وقال
في سورة نوح وقد خلقكم اطوارا الى قوله تعالى والله انبتكم من
الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا يعني باطوار
وتارات احوال خلقناكم وربيناكم حتى كنتم ترابا مرة ونطفة
مرة الى ان جعلكم الى التراب ثم تخرجكم منها طورا آخر ٥
وقال في سورة القيامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
الى قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه الى قوله تعالى
يقول الانسان يومئذ اين المفر الى قوله تعالى ينبؤا الانسان
يومئذ بما قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة الى قوله
تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى ٥ فالله تعالى ذكر في هذه السورة
كلمات شتى من ابتدا السورة الى اخرها من الوعد والوعيد
والتوبيخ والملامة واشباهها وكلها مع الانسان المذكور مرارا
هنا الذي قال وبين في اخر السورة انه كان نطفة من مني يمنى
ثم

ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقال
في سورة هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج الاية وقال في سورة
المرسلات الم نخلقكم من ما مهين الاية وقال في سورة عبس
قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره
الايات كلها خطابات الانسان الذي بين انه خلقه من
نطفة ويدل على كون الكفر الكفرة من خلقه الله تعالى من نطفة
وقدره ثم يسر سبيله ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره وذلك
نص ظاهر على كفر من شكر ذلك والعياذ بالله وقال في
سورة الطارق فلينظر الانسان مم خلق خلق من ما دافق
الايات نص ظاهر على كفر الانسان المخاطب المكلف بالنظر
والتفكر مخلوق من ما دافق والله ولي العصمة والتوفيق ٥
اعلم ان هذه الايات التي اوردناها كلها هنا دلالات ظاهرات
على ان النفس الانساني هو المخاطب المكلف بالاوامر والنواهي
والموعود بالوعد والوعيد والتخويف والتهديد بالعقاب
والعذاب وبالارجا بالعطا والثواب وهو العاقل العالم
العاقل العارف للحق والباطل وهو المحمود بالحسنات

والمذموم بالسيات وانه هو المخلوق المحدث خلقه الله تعالى
من الطين والتراب والما والمني والنطفه والعلقه والمضغه
واشباهها ان كانت اية واحدة كافيه للدلالة على ما قلنا لانها
نصوص مصرحه بما قلنا غير قابلة للتاويل ولهذا اتفق علماء
الاسلام على ما قلنا غير قابلة للتاويل ولا يسع في ذلك خلاف
الا خلاف من لا يومن بالقران وليس في كله من كلمات القران ما
يدل على خلاف ما قلناه وفاق ما قاله مخالفنا من الفلاسفة
تفهم ان شا الله وحده ٥ جينا الى نوع آخر من الايات
الدالة على ما قلنا قال الله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشا لا اله الا هو العزيز الحكيم والمفهوم من الصورة في
لغة العرب هو صورة الحيوانات من الانسان وغيره وصور
الاشجار والانهار والجبال والبحار والسما والكواكب واشباهها
من الجسمانيات هذا هو ظاهر لفظ الصورة وحمل الفاظ القران
على ظواهر المعاني اللغويه العربيه واجبة باتفاق العلما
ولا يجوز العدول عن ظواهرها الا بالدليل لان الله تعالى قال
في القران وانه لتنزيل رب العالمين الى قوله تعالى بلسان عربي
مبين فاذا كان بلسان عربي مبين ظاهره لا يجوز العدول عما

هو مفهوم العرب ومتعارفهم اذا ثبت ذلك دلت الاية على ان
الانسان صورة صورها الله تعالى في الارحام فدل على انها نوع
من انواع الصور الجسمانية وهو الذي قلنا ٥ ومن وجه اخر
نستدل بهذه الاية وهو ان الله تعالى قال يصوركم في الارحام
وما يكون مصورا في طرف الرحم لا يكون الا جسما او عرضا في جسم
ومحال ان يكون هو الله تعالى او بعضا وجزا منه تعالى وتقدس
لما لا ينكر احد من اهل الاسلام ان التصوير على ذات الله تعالى
وصفاته محال والكون في طرف الرحم ايضا لذات الله تعالى
وصفاته جل وعلا محال واذا ثبت ان الصورة الانسانية
جسمانيه ثبت ان المخاطب بقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام
جسماني وبل جميع الخطابات التي في هذه السورة من الاوامر
والنواهي والوعد والوعيد واشباهها مع ذلك المصور الذي
قال هنا هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا وقال الله
تعالى في حم المومن الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بناء
وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات وقال تعالى في
سورة التغابن خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن
صوركم واليه المصير وقال في سورة انفطرت يا ايها الانسان

ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما
شا ركبك وفي هذه الآية نادى وعاتب وهدد من خلقه صورة
وركبه تركيبا فالتركيب ايضا يدل على انه جسم وكل كلمات هذه
الصورة خطابات هذه الصورة المركبة على ما شا الله تعالى من
صورة حسنه او قبيحه او ضخمة او نحيفة فافهم ان شا الله وجه
جينا الى نوع آخر مذكور باسم آدم وبني آدم وباسم البشر اعلم
انه اتفق علما اللغة على انه انما سمي آدم آدم لانه خلق من اديم
الارض وهو وجه الارض واما البشر انما سمي بشرا لانه خلق
من بشرة الارض وهو ظاهر وجه الارض تقال ابشرت الارض اي
اخرجت نباتها فصار وجه الارض نباتا فيقولون ما احسن بشرة
الارض كيف وهو ان القران قد نص على ان المسمى بآدم وبالبشر
مخلوق من الطين والتراب قال الله تعالى ان مثل عيسى عند
الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال اني خالق بشرا من طين
وقال تعالى وهو الذي خلق من الما بشرا فاذا ثبت وصح
ان آدم والبشر مخلوق من الطين والما وكل خطاب كان مضافا
الى هذين الاسمين كان خطابا للمخلوق من التراب والطين والما
ضرورة كانه يقول يا من هو مخلوق من الطين والتراب والما افعل

كذا

كذا ولا تفعل كذا وانت كذا وكذا قال الله تعالى لنبيه عليه السلم
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد يعني انا
بشر كما انتم بشر وهذه خطابكم الى آخر الايات وقال تعالى
لنبيه عليه السلم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم
الخالدون وقال تعالى وقالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر
مثلكم وقال ايضا وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم الى قوله
انكم اذا لخاسرون وقال ايضا حكاية عن الكفرة ما انت الا
بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين وما هي الا ذكرى
للبشر الى قوله تعالى نذيرا للبشر وامثال ذلك كثير
وجميع الحكايات والخطابات مع ذلك البشر وكان ذلك نصوصا
ظاهره داله على ان المكلف المخاطب والعامل العالم العابد
هو البشر المخلوق من الطين والتراب والما فافهم جدا واما
الايات الواردة باسم آدم قال الله تعالى في سورة البقرة يا
آدم اسكن انت وزوجك الجنه والايات التي هي خطابات لذلك
المذكور باسم ادم كثيرة وفي الابتداء شرفه وسماه خليفة حيث
قال للملايكه اني جاعل في الارض خليفه فغار عليه الملايكه وقالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

قال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون ثم خلق آدم من تراب
الارض وامر الملايكه بسجوده كل ذلك مذكور في هذه الايات
ودلالات ظاهرة على ان آدم الذي ثبت انه مخلوق من التراب
واديم الارض هو الشريف المكرم المسجود للملايكه الله تعالى
وما قال ملايكه الله انه يفسد فيها ويسفك الدما فانما
قالوا لعلمهم انه ليس بروحاني مثلهم ولا انه بعض من الله تعالى
وعلموا انه انما يخلقه من بعض الارض فلا يبعد من الخطا والنسيان
والظلم والعصيان وقال في سورة الاعراف يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين الى قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم
لباسا يواري سواتكم وريشا الى قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الى قوله تعالى يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد كل هذه الآيات الى اخر هذه السورة خطا
آدم وبني آدم كانه تعالى قال يا من خلقته من الطين والتراب
ويا اولاده واولاد اولاده المخلوقين من التراب والطين افعلوا
كذا ولا تفعلوا كذا ولم فعلتم كذا وبيس ما فعلتم واعذبكم على ما
عملتم وامثال ذلك في القران كثير ولا حاجة الى التطويل ٥

جينا

جينا الى نوع آخر وهي ما جات بالفاظ وعبارات لا يخاطب
بامثالها الا الجسمانيات وذلك في القران اكثر من ان يحصى
بل هي كل ايات القران فلا بد من الايجاز والاقتصار في
الاشارة اليها وذلك كل خطاب مضاف الى هذا الانسان
بلفظ الدخول والخروج والصعود والنزول والاكل والشرب
والوطي والمباشرة واللبس والنزع والضرب والحبس والاخذ
والقبض والقيام والقعود والحركة والسكون واليقظة والرقود
وما اشبه ذلك لا تحصى كلها تدل على ان المكلف المامور بذلك
المنهي عن ذلك لم يدعوا الى ذلك جسماني لقول الله تعالى يا ايها
الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وان كادوا ليستفزونك
من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم واذا لقيتم الذين كفروا فضرب

الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق وقال تعالى وما جعلناهم جسدا لا
ياكلون الطعام وما كانوا خالدين فاعتزلوا النسا في المحيض ولا
تقربوهن الى قوله فاتوا حرثكم انى شيتم انما جزآ الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في
خلق السماوات والارض والى امثال ذلك مما لا يحصي كلها
دلالات ظاهرة على ان العامل لذلك العاصي او المطيع بها الماخوذ
المعاقب والماجور المثاب عليها هو نفس جسماني كما قلنا ويكفي
ذلك القدر من الاشارات ان شا الله وحده حينا
الى ايراد الايات الدالة على ان الانبيا والاوليآء والعلماء
والملايكة ليس احد منهم الها ولا جزا ولا بعضا منه تعالى
وتقدس بل الكل عبيده تعالى مخلوق خلقهم ليعبدوه رغبة

ورهبة عن يد وهم صاغرون وان كل من قال ان الشيخ الصوفي
الولي او النبي او الملك كان الها او يكون الها بالتربية ولا يبقى عبدا
فقد اشرك وكفر ومقاله قبيح كبير باطل ضلال اعاذنا الله من
ذلك ان نصوص القران الداله على بطلان هذا المقال كثيرة ونشير
الى بعضها قال الله تعالى وما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن
كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا
يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد
اذ انتم مسلمون فهذه نصوص ظاهرة في الدلالة على ما قلنا
اذ لو كان الانبيآ والرسل والاوليا والملايكه الها او جزا او بعضا
منه لكان لهم ان يقولوا كونوا عبادا لي فاني ما خلقتكم الا لعبادتي
ولم يكن اتخاذ هولآ اربابا كفرا غير اسلام فلما نص هنا على خلاف
ذلك دل على انهم ليسوا اربابا الهة معبودة العباد فقوله تعالى
ولكن كونوا ربانيين يعني العارفين بالرب تعالى وبصفاته جل وعلا
خواص عباده المضافين اليه تعالى خاصة المنقطعين من
غيره تعالى فافهم جدا ان شا الله وحده هذه الاية في سورة
ال عمران وقال في هذه السورة ايضا قبل هذه الايات قل

يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا
الله ولا نشرك به شيًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا اربابًا من دون الله
ومن قال بربوبية النبي او الولي او قال انه بعض منه او جزء منه
او شي قديم منه جل وعلا فقد اشرك بالله تعالى واتخذ ربابًا
جمّة اعاذنا الله من ذلك وقوله من دون الله يعني الهًا آخر
مع الله لانهم ما كانوا يقولون ان عيسى اله واحده لا اله غيره
وقال تعالى في سورة النسا يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا
تقولوا على الله الا الحق الى قوله تعالى ولا تقولوا ثلثة انتهوا
خيرًا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد الى قوله
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدًا لله ولا الملايكة
المقربون الآية وهذه نصوص ظاهرة في الدلالة على ما قلنا
ومن قال بربوبية الشيخ والولي والنبي او قال انه جزء او
بعض منه تعالى فقد غلا في دينه وقال على الله عز وجل غير الحق
حيث قال بالثلاثة والاربعة واكثر وانكر ظاهر قوله تعالى
انما الله اله واحد وانكر كون المسيح عبدًا لله وحده اذ يستحيل
ان يكون عبدا ربا معبودا عابدًا فافهم ان شا الله وحده وقال
الله تعالى في سورة المايدة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح

بن مريم قل فمن يملك من الله شيًا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم
وامه ومن في الارض جميعًا قال فالله تعالى نص في هذه الآية
على ان القول بكون عيسى بن مريم الهًا كفر ثم انه تعالى نبّه
عباده على الدلالة الدالة على كون عيسى بن مريم وعلى كون امه
وعلى كون جميع من في الارض عبيده الضعاف العجزة غير صالحة
للالهية والربوبية قال لنبيه عليه السلام قل فمن يملك من
الله شيًا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض
جميعًا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير
وقال ايضا في هذه السورة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي
وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه
النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم
الآيات ثم انظر انى يوفكون اعلم ان كل كلمة من كلمات هذه

الآيات نصوص داله على صدق مقالنا وبطلان مقال من
خالفنا قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
قد مرّ الكلام فيه من قبل وقوله وقال المسيح يا بني اسرايل
اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة الآيه بيّن الله تعالى ان عيسى عليه السلام اقر بعبودية
نفسه وربوبيه ربه عز وجل ثم بيّن انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنه وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثه نص على كفر من قال بان الله
تعالى ثالث ارباب ثلثه ومن قال بقول من خالفنا هنا فقد
قال بانه ثالث ثلثه ورابع اربعة الى ما لا يحصى ثم قال وما
من اله الا اله واحد نفي الالهية نفيا عاما ثم استثنى الهية اله
واحد فمن اثبت الهيه الانبيا وربوبيه الاوليا والملايكه
كان ذلك النص حجه ظاهره عليه ثم انه تعالى هددهم على هذا
القول تهديدا شديدا فقال عز وعلا وان لم ينتهوا عما
يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ثم دعاهم الى التوبة
والاستغفار عن ذلك فقال افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
والله غفور رحيم ثم انه تعالى اعاد الكلام على سبيل التنبيه

على الدلايل الداله على نفي الربوبية والالهية عن الانسان قال
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني من
كان قبله من الرسل وجد منهم عجايب المعجزات من احيا الموتى
وابرا الاكمه والابرص وابلغ من ذلك ولا تقولون انتم بربوبيتهم
وهم ابرهيم وموسى وداود وسليمان وامثالهم فمن اين تزعمون
ان عيسى عليه السلام اله وقوله تعالى وامه صديقه
كانا ياكلان الطعام يعني لا يخفى على العقلا ان من كان ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق ويجي من الغايط لا يصلح الها ثم
قال تعالى انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون
هذا انكار بليغ على من خالفنا في ذلك فافهم جدا ان شا الله
وحده وقال الله تعالى في سورة التوبه وقالت اليهود
عزير بن الله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى
المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا
من قبل قاتلهم الله انى يوفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا الايات اعلم ان من قال ان النبي او الولي هو الله
تعالى او جزا او بعض من الله جل وعز فقد قال بانه ولد فان ولد

كل واحد جزؤه وبعضه وقوله تعالى يضاهون قول الذين
كفروا من قبل يعني قول الذين كفروا بقولهم ان الملايكه بنات
الله والاصنام شركا الله ثم قال تعالى قاتلهم الله
انى يوفكون اي لعنهم الله وذمهم بما يكذبون وياكلون ٥
ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
والمسيح بن مريم وهذا هو اتخاذ مخالفينا في هذه المسله
بلا مفارقه فافهم وقوله تعالى من دون الله تعالى اربابا اخر
مع الله تعالى اذهم كانوا يقولون ان عيسى اله اخر مع الله ٥
والاصنام الهة اخر مع الله تعالى فافهم جدا ان شا الله وحده
ثم قال وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا فالله تعالى
نفي الامر مطلقا عاما بالعباده ثم اثبت الامر بعباده اله
واحد ومن قال بالهية الانبيا والاوليا كان هذا النص
حجه ظاهره عليه وقال الله تعالى في سوره النمل قل الحمد
لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون
امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السما ما فانبتنا به
حدايق ذات بهجه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله بل هم
قوم يعدلون امن جعل الارض قرارا الى قوله تعالى االه مع الله

بل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه الى قوله االه
مع الله قليلا ما تذكرون امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
الى قوله االه مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدا الخلق
ثم يعيده الى قوله االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
اعلم ان كل ذلك نصوص ظاهره على انه لا اله مع الله يشاركه
في الالهيه والربوبيه وتنبيه على الدلايل الداله على وحدانيه
الله تعالى ونفي الشركا ومن قال بربوبيه الانبيا والاولياء
فقد اثبت مع الله الهة جمه فافهم ان شا الله وحده وقال الله
تعالى في سوره القصص قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا
تبصرون الى اخر الايات كلها انما انزلها الله تعالى لنفي الهة
الاغيار مع الله تعالى واثبات الوحدانيه لله تعالى وحده
ولتنبيه العقلا على الدلايل الداله على الوحدانيه ونفي الاشراك
وامثال ذلك الايات الوارده في القران لاثبات الوحده لله تعالى
ونفي مشاركه الاغيار له في الالهيه والربوبيه اكثر من ان تحصى
كلها حجه على من خالفنا في هذه المسلة تفهم جدا ان شا الله وحده
فثبت بهذه الجمله انه استحال ان يصير العبد الها ولا انه اله

كان من قبل ويكون من بعد بطريق الحلول كما قالت النصارى
ولا بطريق التربيه والموت والفنا كما قال بعض الصوفيه ولا
بطريق الجزويه والبعضية من الله تعالى كما قالت الفلاسفة
ومن تابعهم فاذا عرفت ذلك حصل لك الفراغ من طلب الربوبية
ثم بعد ذلك عليك بالعبوديه والعباده تبلغها غايه القصوى
فان التكليف عليك ذلك والمطلوب منك هذه وليس لك العزه
والشرف والجمال والجلال والروح والراحة الا في العبوديه
ولا تطمع في الالهيه والربوبيه فانها خاصة لله تعالى وحده
محال لغيره جل وعلا وان تمني المحال محال ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا فافهم جيدا جدا فانه لو فوض
الله اليك ربوبيه بقدر لحظه لسالت انسانة عينيك على
خديك وتقطعت اجزا اعضايك وانفصلت بعاضك
بعضها من بعض ومضت عليك احقاب لا تحصى في عهده ذلك
الحمله ولم تقدر على لقمة لايقه بحوصله تلك البقه والله
المستعان وعليه التكلان ۞ اما الدلايل العقليـة
الداله على صحة مذهبنا وبطلان مذهب خصومنا اكثر
لكنا تركناها هنا لان القوم الذين رتبنا لهم هذا الكتاب لا

226

يعتقدون في العقل ودلايل العقل وانما يعتمدون على الايات
والاحاديث فحسب فاقتصرنا على ذلك ثم لو كان لا بد من ذلك
نشير الى حرف موجز مقتصر فنقول الدليل على انه لم يكن
نبي ولا ولي ولا احد من الانس والجن الها ولا جزءا ولا بعضا منه
تعالى هو انه لو كان الها ربا لكان علم الذات فوجب ان يعلم جميع
المعلومات لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء ونحن نعلم
ضرورة ان الامر بخلافه قال الله تعالى قل ما كنت بدعا من
الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقال تعالى يسلونك
عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي الى قوله
يسلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله الى قوله تعالى
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السو وهذا
ظاهر لا حاجة الى التطويل واذا عرفت ذلك في العلم فكذلك
في القدره فان الله تعالى قادر على جميع المقدورات ولا يعجزه شي في
السموات ولا في الارض ونعلم ضرورة انه لم يقدر احد من الاولياء
والانبيا على جميع المقدورات اذ لو كان كذلك عمل لنفسه كل ما شا
كما شا حيثما شا متى شا ونعلم ضرورة خلاف ذلك وكذلك في السمع
والبصر وجب ان تسمع كل المسموعات في السموات والارضين

وان يبصر كل المبصرات التي في جميع السموات والارضين وما
تحت الثري فان الله تعالي لا يخفي عليه شي من المسموعات والمبصرات
ومعلوم من احوال ساير الناس خلاف ذلك وتكفيك هذه الاشارة
ان شا الله وحده اذا عرفت هذه الجملة جينا الي الجواب
عن تمسكهم بالحديث المروي عن النبي عليه السلام عن الله تعالي
قال لا يزال عبدي المومن يتقرب الي بالنوافل حتي احبه فاذا
احببته كنت له سمعا وبصرا في يسمع وبي يبصر وهذا صحيح في صحيح
البخاري موافق لقول الله تعالي وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه
يعدلون فالحق هو الله تعالي كما قال ان الله هو الحق المبين
اي بالله يهدون الي الله وبالله يعدلون عن غير الله الي الله قلنا
ليس في هذا الحديث دلالة علي ان العبد يصير ربا ولا ان الرب
يصير عبدا او جزا من الرب يصير عبدا بل قوله كنت له سمعا
وبصرا كقوله كنت له خالقا ورازقا وبي يتخلق وبي يرتزق وهذا
جواب كافي لكننا لا نقتصر علي ذلك فنذكر ما هو حقيقة
الامر في ذلك فنقول المراد من قوله تعالي كنت له سمعا وبصرا
اي اتجلي له بصفة سمعي وبصري فيتقوي بهذا التجلي سمعه
الباطن وبصره الباطن فيري بهذا التجلي ما لم يكن يري من قبل

والبصر

وبصر ما لم يكن يبصر وانما يري ببصره الباطن وسمعه الباطن
حقيقة وبهذا التجلي ايضا حقيقة ثم انه لا يدل ذلك علي انه
صار بشعشع ذلك التجلي بعض العبد وجزوه مثال ذلك
رجل صحيح الحاسة في بيت مظلم وبحضرته اشيا لا يري فلو
اشتعل ثم مشعله يري بضيايها الاشيا الحاضرة ثمه ولا
شبهة في ان ضيا المشعله لم يكن بعضه وجزوه وان كان
انما راي ما راي بها فافهم ان شا الله وحده فان قال قايل
هذا الكلام منكم بظاهره يدل علي جواز التغير علي الله تعالي
حيث تجلي بصفة الذاتي بعد ان لم يتجلي الجواب قلنا
ليس هذا اعتراضا علي كلامنا فحسب بل علي كلام الله تعالي
حيث قال فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا ۝
ثم الجواب لقول ان الله تعالي لا يجوز عليه التغير والتبدل
علي ذاته وصفاته تعالي وانه تعالي متجل بذاته وصفاته ابدا
ابدا وازلا غير محجوب عن شي بشي من الحجب وانما العبيد محجوبون
عنه تعالي فاذا شا ان ينعم علي عبد من عباده ويحظه بتجلي
بشي من صفاته تعالي نحو السمع والبصر رفع الحجاب عن بواطن
العبد الذي علي سمعه وبصره فيتنور سمعه وبصره بذلك التجلي

فيبصر ما لا يبصره كل احد ويسمع ما لا يسمعه كل احد فسمي
ذلك السمع والبصر فراسة على ما قال النبي عليه السلام اتقوا
فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ٥ فصل في اظهار
مغالطة اصحاب العقول من الفلاسفة وانما اوردنا ذلك بعد
انتشار الشيخ حيث راينا حاجة الصوفيه مناسبة الى معرفه
ذلك اعلم ان قوما من الفلاسفة اكتسوا بكسا الاسلام
واندرجوا في درج المسلمين وانهم لا يومنون بالاسلام والمسلمين
الا الضلال ثم مع ذلك لا يقتنعوا بان يعيشوا فيهم مجانا بل
يطمعون ان يصرفوهم الى ما هم فيه من الاباطيل واذا كانت
الحاله هذه لا بد لنا من الاشارة الى كيفيه اصول مذاهبهم
وتمييزها عن اصول الاسلام تنبيهًا للناس على مغالطاتهم ٥
وتحذيرًا لهم عن تلبيساتهم وخاصه للصوفيه فاني اراهم اسرع
وقوعا في شباكهم ٥ اعلم ان الفلاسفه ينكرون الله تعالى
ذاته وصفاته تعالى وتقدس ويزعمون ان العالم لا صانع له
وانه قديم وله علل قديمه منتسبة الى العله الاولى ويسمون
تلك العله الله والاله والرب وواجب الوجود ويقولون ان تلك
العلة ليس لها ذات ولا صفات وذلك مذهب ملاحدة الفلاسفه
ومنهم

ومنهم من يقول لا ذات لها وانما هي صفة واحدة هي صفة
واحده هي صفه الوجود ومنهم من يقول ذات مجرده بلا صفات
وهذا مذهب علي بن سينا وهولاء الذين يدرجون انفسهم في
الاسلام واتباعه ثم انهم يزعمون ان العله الاولى لا علم لها بشيء
من المعلومات ولا بشي مما يجري في عوالمها حتى لا تعلم هي نفسها
ايضا ومنهم من يقول انه يعلم الكليات دون الجزئيات
وذلك مذهب ابي علي واتباعه ومعنى قولهم انه يعلم الكليات
ولا يعلم الجزئيات اي يعلم ان في الوجود سماوات وارضين
ويعلم ان في الارضين حيوانات ومن جمله الحيوانات جنس الانسان
وبعض الانسان انبيآ وبعضهم اوليآ وبعضهم ملوك وبعضهم
رعايا وامثال ذلك اما على التعيين لا يعلم ان موسى او عيسى او
محمد صلوات الله عليهم من هو وايش هو واين هو واي عمل يعمل
هو ولا يميز بين عيسى وفرعون وبين محمد وابي جهل وبل لا يدري
ان في الوجود موسى او عيسى او محمد عليهم السلام واما تفسير
العله هي ما يكون لها اثر من غير قصدها واختيارها ويكون
اثرها شان العله ام ابت وتعجز هي ان لا تفعل ما يصدر عنها
وان تفعل ما لا يصدر عنها ومن تلك الجهة لزمهم القول بقدم

العالم وبقا العالم ازلاً وابداً محال الفنا واجب البقا واذا
ارادوا مغالطة المسلمين قالوا ان العالم مخلوق وان خالقه
واجب الوجود هو الله الواحد الاحد المجرد ويعنون بذلك
ان العالم معلول لعلة الاولى والعلة الاولى موثرة فيها
بلا قدرة ولا اختيار واعلم ان مذهبهم ايضا ان الواحد
لا يصدر منه الا واحد ولما كانت العلة الاولى واحدة
مجردة عن الصفات لم يصدر منها الا عقل واحد يسمونه
العقل الاول والفعل الاول والعلة الثانية ولا يسمون
العلة الاولى عقلاً ثم انقطع اثر العلة الاولى ولم يوثر ولا يوثر
من بعد قط واذا غالطوا عامة المسلمين قالوا كل يوم هو
في شان وانه عامل صانع ابدا وانما يريدون بذلك انه انما
يعمل ما عمل في الازل لا غير يعنون انه يوثر في ابقا العقل
الاول حتى يوثر العقل الاول في العقل الثاني والعقل الثاني
في الثالث كذلك الى آخر العقول الذي يسمونه نفسا ناطقة
وعقلا فعالا فبذلك الوجه يضيفون حوادث العالم كلها
الى العلة الاولى ويسمون كل واحد من هذه العقول علة والها
وربا ويسمون العلة الاولى علة العلل واله الالهة ورب الارباب
ثم

ثم يقولون ان العقل الاول الذي هو العلة الثانية له جهتان
جهة هي ذاته وماديته كان له ذلك لا من غيره وجهة اخرى في
وصف الوجود له من العلة الاولى فلما كانت له جهتان حصل
منه شيأن احدهما علة ثالثة وهي عقل ثان والاخر فلك الافلاك
يسمونه الفلك الاطلس وهو الفلك التاسع عندهم ولا كوكب
عليها وربما يقولون حصل من العقل الاول ملك وفلك
يسمون ذلك الملك اسرافيل ثم من ذلك العلة الثالثة التي
يسمونها اسرافيل حصل ملك وفلك وهو الفلك الثامن والعقل
الثالث وهي العلة الرابعة ويسمونه جبريل ثم كذلك من العلة
الرابعة الخامسة مع الفلك السابع كذلك الى فلك القمر ويسمون كل
علة منها باسم ملك من اسامي الملايكة ويجعلون مع كل فلك ملكا
هو علة لحصول ملك وفلك وراها ولا يسمون العلة الاولى
ملكا ولا عقلا ولكن يسمونها رب الملايكة والعقول فافهم ولا
تنخدع بتسمياتهم ٥ ثم ان بعضهم يقول كل ما ورا فلك القمر
حاصل من ذلك العقل الاخير الذي هو مع فلك القمر ويقولون
هذا العقل هو نفس الانسان وهو النفس الناطقة والعقل
الفعال يفعل كل ما بين السما والارض وهو العقل المخاطب

المكلف العامل المحمود علي افعاله الحسنة والمذموم علي اعماله
القبيحة ○ وبعضهم يقول ثم حصل من ذلك العله التي هي
فلك القمر عله اخرى وفلك آخر يسمونه الاثير وهو فلك
النار عندهم ثم من ذلك العله عله اخرى وفلك آخر وهو
فلك الهوا ثم من ذلك العله عله اخرى وفلك اخر وهو فلك الما ثم
من ذلك العله علة اخرى وفلك اخر وهو فلك التراب وذلك
كرة الارض وهي مركز العالم والافلاك وهذه العله الاخيرة
هي النفس الناطقه والعقل الفعال وهو نفس الانسان وهو
نفس الانسان وهو المخاطب المكلف العالم العامل للاعمال
والآمر والمامور والناهي والمنهي والمحمود والمذموم والمثاب
والمعاقب ثم كل ذلك العلل والعقول قديمه عندهم غير مخلوقه
ولا مصنوعه الا علي المعنى الذي اشرنا اليه فافهم ○ ثم اعلم
ان من مذهبهم ان لا يحصل المحدث من قديم قط ولا يعمل القديم
قط عملا جديدا اذ هو يعجز عن ذلك وهذا علي اصلهم لا بد ان
يكون كذلك لان القديم عندهم عله موجبة لا اختيار لها في تاثيرها
تعجز ان تفعل ما لا تفعل وان لا تفعل ما تفعل فلا جرم يلزم
ان يكون اثرها وصنعها معها قديما ضرورة ○ اعلم انهم

اصلا

اصلا آخر لا بد من معرفته وهو ان الخلو محال عندهم وليس في العالم
ولا وراء العالم خلو بل لا وراء العالم عندهم وهذا الاصل
فرع ايضا لاصل آخر وهو ان صانع العالم عله قديمه عندهم
واعلم ان انكارهم الحشر والنشر والجنة والنار واشباهها
كلها فرع مذهبهم ان صانع العالم علة عاجزة عن اعمالها واعمالها
بلا اختيارها وكل اعمالها معها قديمة دايمة معها ازلا وابدا
وامثال ذلك الفضايح من مذهبهم الزندقه كثيرة وقد
اجبنا عن كلها وقطعنا دوايرها بالادلة القاطعة والبراهين
الواضحة البليغة الوضوح في كتاب التجريد من رد مقاصد الفلاسفة
وانما اشرنا الى هذا القدر هنا اعلاما لعامة الصوفية ماهية
اصول مذاهب الفلاسفه ليمكنهم الاحتراز عن مغالطهم والفرار
عن تلبيساتهم تفهم ان شا الله وحده ○ فصل
جينا الى بيان كيفية مذاهب المسلمين فيما تقدم من المسايل ○
اعلم ان الاول والآخر القديم الذي لم يزل الدايم الذي لا يزال
الازلي الابدي الباقي السرمدي هو الله تعالى بذاته وصفاته
وما يقولها الفلاسفه من العقول والعلل محالات واباطيل
وخيالات فاسده وامراض مزمنة في ادمغتهم يشق معالجتها

ولا يليق بها سوى السيف القاطع واما ملايكه الله تعالى عباد
مخلوقه مكرمه خلقهم الله تعالى ليعبدوه ويطيعوه فهم يخافون
ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون ولا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون بل هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وعند الفلاسفة ليس لله تعالى عليهم امر
ولا نهي بل الفعل والطاعة منهم محال الا بما ذكرنا من العنايه ان
العلة الاولى توثر في العله الثانية والثالثه وهكذا الى اخر
العلل فافهم ۵ اما المسلة الثانيه اعلم ان مذاهب جميع
الانبيا والاوليا والعلما المسلمين الذين هم على دين النبي العربي
صلوات الله عليه ان الله تعالى قادر على جميع المقدورات المنصوص
الوجود والقابليه الكينونية والحدوث يخلقها كيف يشا وكما
يشا ومتى شا وكل ما يعمل حتى ما يعمل يصح منه ان لا يعمل ولا يخلق
ويصح ان يعمل ويخلق فان عمل وخلق علم وخلق مع انه قدر ان لا
يعمل ولا يخلق وان لم يعمل ولم يخلق لم يعمل ولم يخلق مع انه قدر
ان يعمل ويخلق فلا قدرة ولا اراده ولا شي من صفاته تعالى ولا
ذاته جل وعلا موجبه للعمل والخلق ولا شي من ذلك محيل صانع له
تعالى من اعماله وصنايعه جل وعز يفعل ما يشا ويحكم ما يريد

يدل

231 يدل على ذلك ان الله تعالى لم يخلق العالم في الازل وانما خلق في الابد
ودل على ذلك ايضا حدوث الحوادث دايما ابدا من الليل والنهار
والصيف والشتا واشباهها فافهم ان شا الله وحده بخلاف العلة
فانها موجبة لاثارها مجبوله مطبوعه عليها عاجزه عن اعمالها
عند عملها كما هي عاجزه عنها عند عدمها فيلزمهم من ذلك فضايح
المذاهب ۵ اعلم ان اصل مذهب اباحة الزنادقه هذه المسله
فانه لما كان من مذهبهم ان معبودهم عاجز عن كل ما يفعل وما لا
يفعل لا يقدر ان يفعل ما لا يفعل ولا يقدر ان لا يفعل ما يفعل
كانت عباداته ضايعة وطاعاته عبثا وعصيانه هدرا فان
المعبود لا يقدر على ايصال خيره الى غيره ولا دفع ضيره من غيره
فلا يرجى خيره ولا يومن شره كان وجود الطاعة والمعصيه
وعدمهما سوا وذلك هو الاباحه ۵ اما المسله الثالثه اعلم
ان الله تعالى عالم بجميع المعلومات اعني انه تعالى يعلم كل ما يصح
ان يعلم من الذوات والصفات والموجودات والمعدومات
الكليات والجزويات وما كان وما يكون ابدا كان عالما بجميع ذلك
ابدا كان عالما بجميع ذلك ازلا ويكون عالما بجميع ذلك ابدا يستحيل
ان يجهل ولا يعلم حرفا من ذلك ۵ اعلم انه لما كانت العلة

الاولى عندهم لا تعلم شيا ولا تفهم او تعلم الكليات ولا تعلم
الجزئيات لم يعلم احدا من الملايكه على التعيين ولا احدا من
الانبيآ صلوات الله عليهم فلا جرم لزمهم من ذلك ان قالوا انه
ما بعث جبريل قط الى احد من الانبيا قط وما بعث لحد من الانبيا
الى الخلايق قط ثم ان ابن سينا واتباعه يغالطون المسلمون في
هذا الباب ويقولون بلى ان الله بعث جبريل الى انبيايه وبعث
الانبيآ الى خلقه ولكنهم يريدون بذلك ان العله الاولى اثر
في وجود العله الثانيه ثم الثانيه في الثالثه كذلك الى العله
الاخيره والعله الاخيره هي نفس الانسان نفس ناطقه
وعقل فعال وهي نفوس الانبيآ والاوليآ وساير الناس وكان
بعث الانبيا من العله الاولى ومن العقول التي يسمونها ملايكة
من هذه الطريقه بهذه الوسايط العليه وكانت الشرايع المتقدمه
والمتاخره على هذه الطريقه موضوع الانبيا لا خبر لشي من ذلك
عند جبريل وغيره من الملايكه ولا عند العله الاولى فافهموا
ذلك ولا تغتروا بتلبيساتهم واعلموا ان الاسلام والمسلمين
بريون من مثل تلك المذاهب منزهون عنها وانبيآ الله تعالى
كلهم مبعوثون منه جل وعلا بالشرايع الى خلقه وما نطق

احد منهم بشي من الشرايع الا بوحي من الله تعالى او ارسال رسول
الله اليه من ملايكته عليهم السلام وما كان لهم من معجزاتهم
وكراماتهم الخارقه للعادة بعضها كان لهم من الله تعالى لا كسب
لهم فيها بوجه من الوجوه كمثل طير ابابيل وكلام النمل والطير مع
داود وسليمان صلوات الله عليهما وبعضها كان كسبا لهم ولكن
بتاييد الله تعالى واقداره جل وعلا اياهم على ذلك نحو معجزات
عيسى عليه السلام قال الله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ طيرا باذني وتبرى الاكمه والابرص باذني واذ تخرج
الموتى باذني المسئلة الرابعه اعلم ان الله تعالى حي
والحياة صفته تعالى كان حيا ازلا ويكون حيا ابدا يستحيل له
الموت والنوم والسنة والنعاس والذي يدل على انه تعالى حي
وانه عالم قادر ويستحيل للموات ان يعلم ويقدر وهذا مما يتبادر
الى فهم كل عاقل وعند الفلاسفة العله الاولى مع جمهور العقول
والعلل موات ومنهم من يقول لا موات ولا احيا وهذا على اصلهم
لازم لان العقول والعلل عندهم لا يعلمون شيا ولا يقدرون على
شي ولا يريدون شيا ولا يختارون وانما هي علل كهذه العلل التي
نشاهدها من الحرارة والبروده والرطوبه واليبوسه وكالماء

والنار والهوا والتراب وهذه الاشيا ان كانت متحركة ساكنة
محرقة مرطبة كانت كلها مواتا لكن لما يكن ذلك الا بارادتها
واختيارها وعلمها وقدرتها كانت كلها مواتا فاما اهل الاسلام
وجمهور المسلمين منزهون من مثل ذلك الدين والمذهب والله
ولي العصمة والتوفيق ه اما المسئلة الخامسة اعلم ان الله
تعالى ذات ولذاته جل وعز صفات كثيرة صفات الفعل وصفات
الذات كما هو مشهور عند اهل الاسلام انه تعالى عالم قادر حي
موجود سميع بصير مدرك للمدركات متكلم خالق رازق واشباه
ذلك واختلاف المتكلمين في هذه الصفات لا يضرنا مع ما علمنا
انهم متفقون على ان الله تعالى ذات وله صفات كثيرة وعلى
مذهب الصوفية ان الله تعالى ذات وله صفات كثيرة لا تحصى
ولا تعد وانها اكثر من تسعة وتسعين من اسما الله تعالى
وبل اكثر من الف فعلى هذا كل من قال ليس لله تعالى ذات ولا
صفات كان خارجا عن حد الاسلام ودخل في حد الالحاد والله
ولي العصمة ه اعلم ان الفلاسفة يسمون نفي الذات والصفات
توحيدا ويزعمون انهم موحدون بذلك المذهب وان المسلمين مشبهون
يشبهون الله تعالى بالذات والصفات وقد بلغني من كلام

233 بعضهم في خطبته قال الحمد لله الذي تنزه عن الذات وتعالى
عن الموجود والمنعوت وتقدس عن الاسماء والافعال وترافع
عن الاوهام والافهام ه وليس يخفى على عاقل ينظر في كلماتهم هذه ان كل
كلمة منها دركة من دركات الزندقة وبير من ابار السفسطة
وكل حرف من حروفها هاوية من هواوي الالحاد وجرفة من
جرف جهنم اعاذنا الله من مثل ذلك لتوحيد قال الله تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق
البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم ه وقال تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه
بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون
اما فصل المشبهة فقد غلطوا بذلك التسمية فانه ليس يخفى
على عاقل ان المشبه من يشبه الشي بشي آخر في اصطلاح العلما
والفلاسفة جميعا المشبه من يزعم ان الاله تعالى يشبه شيئا
غيره او غير الاله يشبهه وهم يزعمون ذلك حيث زعموا ان العالم
بجميع ما فيها من السموات والارضين والنجوم والكواكب والشمس

والقمر والملايكه والعقول والعلل واشباهها مما لا تحصى
كلها قديمة كالعله الاولى لا ابتدا لشي منها ولا انتها فاشبه
الكل بعضها بعضًا من حيث القدم وايضا قد عرف ان القدم
صفه من صفات الذات والمشاركه في صفه من صفات الذات
يدل على المشاركه في ساير الصفات الذاتية وذلك هو
المماثله والمشابهة على ما قررنا في كتاب التجريد من رد مقاصد
الفلاسفه ولزمهم من ذلك ان يقولوا من فرط الاذن ان العله
الاولى مثل وشبه لساير العلل والعقول والعالم وما فيها
والله ولي التوفيق ۝ امـــا المسئله السادسه اعلم
ان العالم محدث مخلوق عند المسلمين بجميع ما فيها وبجميع ما هو
غير الله تعالى وغير صفاته جل وعز لم يكن قط الى ان خلقها
الله تعالى وعند هولاء المدبرين كلها قديمه كما اشرنا اليها في
المسئلة المتقدمة وجمهور اهل الحق متفقون على ان مذهبهم في
ذلك كفر وضلال وزندقه باطله والقران كلام الله تعالى
مملو من ايات مصرحة بان السموات والارضين وجميع ما بينهما
من الصامت والناطق والحي والميت والملك والفلك والجن والانس
واشباهها كلها مخلوقه محدثه كاينة بعد ان لم تكن والله تعالى

خالقها وخالق كل شي منها قال الله تعالى هو الذي خلق السموات
والارض في سته ايام ثم استوى على العرش وقال تعالى
قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا
ذلك رب العالمين الى آخر الآيات وقال الله خالق كل شي وقال
خلق الانسان من صلصال وامثال ذلك بكثير في القران لا تحصى
فافهم جدا ولا تغتر بمغالطاتهم اذا قالوا ان الله خالق كل شي
وكل يوم هو في شان فانهم يضمرون في انفسهم انه خالق على سبيل
التاثير والتعليل الجبليه بلا قدرة ولا فطنه ولا اراده ولا اختيار
كما عرفت من قبل فافهم جدا ۝ امـــا المسئله السابعة قد
ذكرنا من قبل انهم يزعمون ان الواحد لا يصدر منه الا واحد ومن
ها هنا قالوا ان العله الاولى ليس لها حكم الا واحد وهو العقل الاول
وهذا مذهب باطل قد ابطلناه بوجوه من الدلايل العقليه في
كتاب التجريد في رد مقاصد الفلاسفه واما الدلايل السمعية
فجمهور ايات القران دلالات على ذلك من حيث ان الله تعالى واحد
احد فرد وتر وان العالم بجميع ما فيه مصنوع الله تعالى ومخلوقه
جل وعلا وكذا يخلق الى الاباد واباد الاباد الى ما لا نهاية وهذه اشيا
كثيرة توجد من واحد غير انهم مع هذا المذهب يغالطون المسلمين

[illegible]

ويقولون بلى ان الله تعالى واحد وهو خالق جميع المخلوقات
لكن على ما شرحنا من عنايتهم من قبل انهم يعنون بذلك ان
العلة الاولى تؤثر في وجود العقل الاول وهو شيء واحد
ثم العقل الاول له جهتان جهة هي ذاته ومادته وجهة اخرى
هي وصف الوجود فبسبب الجهتين يصدر منه شيئا من فلك
وفلك الى آخر ما ذكرنا وذلك من طريق العلية وهذا مذهب
باطل وان الله ربنا تعالى عن الثاني والثالث وانه ذات واحد
له جل وعلا صفات لكنه تعالى انما يعمل ما يعمل بذاته لا بصفاته
وان الخالق الصانع العالم هو الله تعالى ذاته جل وعز وانه يعمل
هذه الاعمال مع انه قادر مختار مريد لما يعمل عالم بما يعمل
يعمل ما يشا ويفعل ما يريد بذاته جل وعلا غاية ما في الباب
ان يقال المستمر تقولون ان الله قادر على ان يعمل بالتسبيب
بعض اعماله كما هو قادر على ان يعمل بالاختراع ومن جهة ذلك
قلنا انه يفعل ما يشا كما يشا ويحكم ما يريد كما يريد اما
المسئلة الثامنة فقد ذكرنا انهم يزعمون ان المحدث قط لا يصدر
من قديم وهذا مذهب باطل وعند المسلمين كل العالم بجميع ما
فيها محدثة مخلوقة وكلها مصنوع الله تعالى وتقدس وقد

قررنا ذلك في كتاب التجريد بالادلة العقلية واما الادلة
السمعية فجميع ايات القران دلالات على ذلك على الوجه الذي
اشرنا اليها في المسئلة المتقدمة واعلم ان مثل هذا المذهب
يلزمهم من اعتقادهم ان وجود العالم بعلة قديمة والعلة لا تعمل
باختيارها وتعجز عن تاخير اثرها عن وقت الى وقت اخر فيلزم
من ذلك ان يكون اثارها قديمة معها ملازمة لها في الازل
فلزمهم القول بقدم العالم بجميع ما فيها ٥ واعلم انا
الزمناهم على ذلك وقطعناهم بها فقلنا ان الحوادث في العالم
كاينة لا محالة من الحركات والسكنات واشباهها ومن الصيف
والشتا والربيع والخريف واشباهها ومن الاشجار والانهار والثمار
واشباهها ومن صور الانسان والحيوان واشباهها فمن الذي
هو عاملها القديم او المحدث فان قالوا المحدث قلنا من الذي
احدث ذلك المحدث الاول قديم او محدث ولا بد من اسناد محدث
الى قديم فانقطعوا عند ذلك وقد قررنا ذلك مع كثير من
امثالها في كتاب التجريد تجد ذلك ثمه ان شا الله وحده ٥ اما
المسئلة التاسعة قولهم ان الخلو محال قول باطل وغرضهم
من ذلك اثبات قدم العالم بهذا الطريق ليرتبوا عليها علية صانع

العالم وقد غلط بعض اهل الاسلام في ذلك فوافقوهم جهلا
جهلا منهم بما آل هذا القول وهو القول بقدم العالم واستحالة
فنايها وذلك انه لما كان الخلو محالا استحال ان لم يكن ولا يكون
فيها اجسام قط اذ لو لم يكن اجسام في الازل ولا يكون في وقت
من الاوقات لكان خلو ذلك عن الاجسام والخلو محال فكان
محالا ان لا يكون فيها اجسام ازلا وابدا فظهر بذلك ان القول
باستحالة الخلو قول بقدم العالم الاجسام وقدم العالم
بجميع ما فيه وهذا خلاف مذهب الاسلام والمسلمين وخلاف
ساير الانبيا والاوليا فان مذهب اهل الحق باسرهم ان العالم
لم يكن بجميع ما فيه وان ساير الاشيا سوى الله تعالى وصفاته
جل وعلا لم يكن في الازل وانما خلقها الله تعالى الان في
وقت مخصوص وانه تعالى قادر على افنايها وافنا جميع ما
فيها يفنيها متى شا ويكون امكنة العالم خلوا كما كان خلوا
في الازل ٥ اما المسئلة العاشرة انكارهم البعث
والنشور وهو الحشر والنشر فالحشر اخراج الموتى من قبورهم
احيا وكثير من آيات القران نصوص داله على ذلك قال الله
تعالى لا اقسم بيوم القيامة الى قوله تعالى في اخر السورة

اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى وقال تعالى وضرب لنا
مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها
الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الى قوله تعالى
بلى وهو الخلاق العليم وامثال ذلك في القران اكثر من ان
يحصى واما النشر هو نشر الكتب للقراه يوم القيامة لمحاسبة
الاعمال وعند الفلاسفه الحشر والنشر والحساب والكتاب
والميزان والموازنه كلها مردوده لا مقبوله ومذهبهم باطل
باجماع الانبيا والاوليا والعلما المسلمين وساير المومنين
وينطق بذلك الايات والاحاديث قال الله تعالى واذا الصحف
نشرت وقال واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت
وقال الله تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له
يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقال الله تعالى وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اما المسئلة
الحادية عشر اعلم ان الجنة والجحيم وان كان جهنم ونعيم الجنة
كلها كاينه جسمانيات يدخلها من يستحق من الجنة والناس اجمعين
وعلى هذا اجماع الانبيا والاوليا والعلما وينطق بذلك كثير
كثير من القران واخبار الانبيا صلوات الله عليهم قال الله تعالى
ايات

والسابقون السابقون اوليك المقربون في جنات النعيم ثلة
من الاولين وقليل من الاخرين علي سرر موضونة متكيين عليها
متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس
من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللولو المكنون الى قوله
في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة الى قوله
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم
لا بارد ولا كريم وقال تعالى في اصحاب الجحيم ان لدينا انكالا
وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال تعالى خذوه
فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
فاسلكوه وقال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم تغلي في
البطون كغلي الحميم الايات وقال انا اعتدنا للظالمين نارا
احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بيس الشراب وساءت مرتفقا وامثال ذلك في
القران كثيرة كلها تدل علي ان الجنة والجحيم وما فيها كاينة
جسمانيات فمن انكر ذلك فقد انكر القران والانبيا وخرج

بذلك

بذلك الانكار عن حد الاسلام ودخل في حد الفلاسفة اعلم
ان انكارهم هذه انما جا من اعتقادهم العلل والعقول التي ذكرناها
من قبل وانها اشيا لا علم ولا فهم ولا فطنة لها بشي من موجودات
العالم من الاعمال والعمال والاشخاص الافراد والجموع فكيف
الاجزا والابعاض الدقاق الافراد فيستحيل منهم التمييز بين
الاشخاص من الناس واجزايهم وابعاضهم وجوارحهم وقد
دخل اجزاء اهل الجنة باهل النار واختلط بعضها ببعض والعلل
والعقول جهال يعجزون عن الفرق بين اهل الحق واهل الباطل واهل
الجنة واهل النار ولو قدر انهم يقدرون علي الفرق ولا يقدرون
علي اعادتها احيا كما كانوا الا علي الترتيب الاول يعنون انه يعيد
اولا ادم عليه السلام ثم منه اولاده ثم من اولاده اولادا اولاده
علي الترتيب الذي كان اول مرة اي بموت الاباء وبقي الابناء
الى اخر الوقت وهذا مذهب طايفة منهم وبعض هولا التناسخية
وانما جا ذلك الفساد في مذهبهم من انكارهم ان الله تعالى قادر عالم
حي موجود سميع بصير مدرك للمدركات ويعتقدون عللا
وعقولا مجهولة جاهلة عاجزة مواتا لا ينفعون ولا يضرون وهم
عن الدنيا والاخرة غافلون ثم اذا ارادوا مغالطة المسلمين في ذلك

قالوا بلى ان الحشر والنشر والحساب والكتاب والقيامة
وامثالها حق ويعنون بذلك ان النفس الناطقة اذا فرغت عن
البدن انقلبت الى عالمها فارغة من الدنيا والاخرة مسرورة بما
لها من العلم والمعرفة هذا فحسب وذلك الجنة لاغير وان لم
يكن لها علم ومعرفة تبقى كذلك ابدا في ظلمة الجهل هذا فحسب وذلك
جحيم لاغير ومنهم من يقرب مذهبهم الى مذهب المسلمين بان
يقول بلى يحشر الاجساد لكن غير التي صدر منها الطاعة
والمعصية وهذا ظاهر الفساد ايضا لانه اذا كان الذي حشر غير
الذي عمل الطاعة والمعصية فجازاته بالجنة والجحيم مجازاة غير
غير العامل على ما لم يعمل واجماع ايمة الاسلام منعقد على خلاف
ذلك فافهم جدا كيلا تنخدع لهم ٥ اما المسئلة الثانية عشر
اعلم ان الانسان ذاته ونفسه الذي هو مخاطب مكلف ناطق
صانع عالم قادر مثاب معاقب محمود مذموم هو جسماني
مخلوق من الما والتراب محدث كاين بعد ان لم يكن غير انه جسم لطيف
كالهواء مركب في هذا البدن الذي تراه معاينة كما شرحنا من
قبل واثبتنا ذلك بالدلايل على ما مر من قبل وان هولا الفلاسفة
يزعمون لا بل ذلك الانسان هو العقل الاخير وليس بمخلوق بل هو

قديم

قديم وهو غير داخل في البدن ولا خارج منه ويستحيل له
الدخول والخروج والحركة والسكون والقيام والقعود والاكل
والشرب وما اشبه ذلك من صفات المخلوقين محال وذلك
المذهب باطل والايات والاحاديث التي قدمنا كلها براهين قاطعة
على هولاء وكذلك دلايل العقل بيناها في كتاب التجريد من رد
مقاصد الفلاسفة فلا نعيد هنا ٥ اما قولهم بان المخاطب
المكلف المثاب المعاقب لعالم العامل هو العقل يغالطون المسلمين
بذلك من وجهين احدهما يغالطون باسم العقل اذ علموا ان المسلمين
باسرهم متفقون على ان التكاليف العقلية والشرعية كلها موقوفة
على حصول كمال العقل وبدون العقل لا يتوجه شي من التكاليف
فلا يصح مع ناقص العقل شي من الخطابات ولهذا لم يخاطب الشرع
احدا من المجانين والصبيان والبهايم واذا كان كذلك يغلط
المسلمون بقولهم ان المخاطب المكلف المامور المنهي المحمود المذموم
هو العقل يظنون انهم يريدون بذلك العقل الذي هو شرط التكليف
وهذا غلط قبيح فان العقل الذي هو شرط التكليف عند المسلمين
تسميه الفلاسفة عقلا ناميا وعقل المعيشة ولا يقولون انه
نفس الانسان وذاته ويقولون انه عقل يزيد وينمو واذا بلغ

الصبي يكل واذا جن يزول ولا يقولون ان ذلك العقل يعلم شيًا
شيًا ويعقل ويقدر ويقولون ان العاقل هو الذي يعقل لا
العقل بخلاف العقل الذي هو نفس الانسان عندهم فانهم
يقولون ذلك هو العاقل وهو العقل وانه لا يزيد ولا ينقص
بالنشو والتربية ويكون في ابتدا اولاده الصبي كهو عند
كمال شبابه ورجوليته فافهم كيلا يخلط الفلسفي عليك دينك
واعلم انهم يسمون هذا العقل الاخير وهو العقل الرابع عشر
باسما جمة لغرض المغالطة حتى اذا ضاق الامر عليهم يسمونه
بما هو اليق من اسمايه وذلك الاسما هي النفس والروح والعقل
والملك والعله والانسان والعلم والبشر والادمي ويسمونه
بالفارسية جان ومردم وفرشته ودل وما اشبه ذلك فافهم
جدا ٥ وثانيهما ان العلل والعقول اعني العلة الاولى والثانيه
والثالثه الى آخر العلل والعقول كلها صم بكم عمي عجز جهال لا
ينفعون ولا يضرون كمثل هذه العلل التي نشاهدها من الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة واشباهها فمحال ان يخاطب هولا
احدا ويخاطبهم احد فزعموا عند ذلك ان العقل الاخير الرابع عشر
له فهم وعلم ونطق ونوع قدرة على الحوادث غير ان كلامهم هنا فاسد

علي

على اي وجه كان لانا لو قدرنا انه قادر عالم فافهم لكن مع هذا لا
يصح ان يكون هو بنفسه مخاطبا ومخاطَبا ومكلِفا ومكلَفا ومثيبا
ومثابا ومعاقِبا ومعاقَبا وتكليفه بنفسه على نفسه يكون
عبثا وسفها خارجا عن الحكمه ولهذا لو وجدنا طبيبا يقول لنفسه
بنفسه افعل كذا ولا تفعل كذا نحكم باختلال عقله فافهم ان شا
الله وحده ٥ واعلم ان موسى وعيسى ومحمد مع ساير الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين هذا العقل الاخير عندهم وهذه
الشرايع والتكاليف والكتب المنزلة من الله تعالى التورية
والانجيل والزبور والفرقان وصحف الانبيا كلها عندهم موضوع
هولاء الانبيا ان ربهم العله الاولى والثانية والثالثه وما عداها
لاخير عندهم من النبوة والانبيا وشرايعهم وذلك مذهبهم فافهم
جدا ٥ اما عند الانبيا والاوليا وعلما الاسلام وجمهور اهل
الحق كلهم ان انبيا الله كلهم مبعوثون من الله الواحد تعالى وتقدس
القادر الحي العالم العامل المريد المختار الموصوف بصفات لايقة
بجلاله وجبروته الاحد الذي لا ثاني له ولا ثالث ولا رابع قال الله
تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد
وان الشرايع كلها اوامر الله تعالى ونواهيه واحكامه وتكليفه

علي عباده ليس ذلك شي من موضوع نبي من انبيا الله تعالى وانهم معصومون
من افترآء الكذب علي الله تعالى ومن وضع حرف من تلقآ انفسهم
من غير ايحآء من الله تعالى قال الله تعالى وما ينطق عن الهوي
ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوي يعني جبريل وقيل
الرحمن علم القران ومن نسب نبيا من انبياء الله تعالى الي الكذب
والافترا علي الله تعالى ووضع الشريعة من تلقا نفسه فقد
خرج عن ام الانبيا وعن زمرة المسلمين ودخل في زمرة الملحدين
فافهم جدا ان شا الله وحده وقد ذكرنا ان العقل الذي يقول
به المسلمون فالفلاسفة يقولون به ايضا وذلك العقل عندنا
قطعة نور ان شا الله وحده في قلب الانسان علي ما شرحنا من
قبل ٥ ثم اعلم ان هولاء الفلاسفة مع انهم لا يومنون بالقران
ولا بشيء من الكتب والرسل ولكن اذا خالطوا مع المسلمين لا
يظهرون انكار الايات والاحاديث ولكنهم يشتغلون بتاويلاتها
يأولونها علي مذاق مذاهبهم الباطلة نحو قولهم في قول الله تعالى
وانزلنا الحديد فيه باس شديد فالحديد عقلك اي ذاتك
ونفسك الكاين بتاثيرات العقول المتقدمة التي هي اربابك مستندة
الي العلة الاولي وهي رب الارباب وفي قول الله تعالى والسماء
دفعها

دفعها ووضع الميزان فسما وكل الاولي عقلك وهذا السما الذي
فوقك هذا الامر لا سماك والميزان ايضا عقلك
فانه هو المميز بين الحق والباطل وفي قوله تعالى انا عرضنا الامانة
علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وحملها الانسان
قالوا عرض الامانة علي السموات والارض كان بطريق التاثير من
العلة الاولي الي العلة الاخيرة وهي نفس الانسان فلم تستقر
الامانة في شيء منها الا في النفس الناطقة وهي الانسان فصار
هو الانسان الحامل لهذه الامانات والتكاليف والعامل لانواع
المعاملات الحسنه والقبيحة وامثال ذلك من التاويلات البعيدة
علي وفاق مذاهبهم حتي يقول بعضهم لبعض يا فلان ليس لكم شيء
من موسي وعيسي ومحمد ولا غيرهم من الانبيا واي ولاية لهم عليك
فانما انت موساك وعيساك فمن هذه الطرق من التاويلات
يردون كل ما جاء به جبريل من الله تعالى الي انبيائه وبلغ انبيا
الله تعالى الي اممهم ويقذفونها وراء ظهورهم فافهم وكن فطنا
لا يغوينك غول ان شا الله وحده ٥ واعلم ان منهم من يقول
ان العقل الذي هو الانسان المكلف من عالم الامر فكلما سالت انه
قديم او محدث قال من هو عالم الامر ويريدون ان العقل الذي هو

الانسان المكلف من عالم الامر بذلك مغالطه السايل واستدراجه
في ذلك الى القول بقدم هذا العقل وهو الروح عندهم فلو قلت
ان الامر مخلوق قال حاشا فان الامر كلام الله تعالى وكلامه قديم
على مذهب اهل السنة والجماعة ودل على ذلك قول الله تعالى الا
له الخلق والامر فلو كان الامر خلقا صار كانه قال الا له الخلق
والخلق وذلك تكرار محض ولو قلت من اين قلت ان العقل من عالم
الامر قال العقل الذي نريده هو الروح وقال الله تعالى قل
الروح من امر ربي واذا كان الروح من امر الله تعالى وامر الله
تعالى غير مخلوق فكان قديما وقد غلط كثير من الصوفية بذلك
ولاسيما الحلولية قالوا بقدم الروح وقالوا هو الانسان
المخاطب المكلف ثم تدرجوا من هنا وقالوا ان الروح بعض من
الله ذاته وبعضهم قالوا بعض من صفاته تعالى الله عن ذلك
والجواب عن ذلك ان يقال اعلم ان الامر في لغة العرب يذكر
لمعاني شتى قال الله تعالى وما امر فرعون برشيد يعني
وما صنعه وشانه ويذكر ويراد به قول القايل لمن هو دونه
افعل وما يجري مجراه من الصنع وهو الذي يذكر في مقابله النهي
قال الله تعالى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فقال موسى

يا

يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ألا تتبعني افعصيت امري
اذا عرفت ذلك نقول الا له الخلق والامر يعني ان الخلق والامر
على الخلق لله تعالى لا غير يعني الامر والنهي والمنع والاطلاق
والحل والحرم لله تعالى لا غير ولا كلام فيه فعلى هذا كان معنى
قوله تعالى قل الروح من امر ربي يعني مخلوق خلقه بامره تعالى حيث
قال له كن فيكون وهذا ظاهر وعلى الوجه الآخر تقول فعل وصنع
على ما ذكرنا والصنع هو الخلق المخلوق لا غير فكان قوله قل الروح
من امر ربي اي من عمل ربي وصنعه وكان مخلوقا لا محالة
اما قوله تعالى الا له الخلق والامر يعني له الخلق والصنع
قوله ان ذلك تكرار يعني له الخلق والصنع قوله ان ذلك تكرار
قلنا هب انه كذلك فلم لا يجوز بل يجوز اذا كان التكرار بكلمتين
مختلفتين قال الله تعالى انني انا الله لا آله الا انا وقال لموسى
عليه السلام لا تخف انك انت الاعلى وقال انا نحن نزلنا عليك
القران تنزيلا وقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الآية وقال تعالى من كان عدوا لله وملايكته وكتبه
ورسله وجبريل وميكال وقد دخل جبريل وميكايل ومع هذا خصصهما
بالذكر وكان جايزا وان كان تكرارا واعلم ان كل متخلف مفتون من

ثم عطف الملايكة في

طوايف الصوفيه ضال غاوى آفتهم جهلهم بماهية دين النبي العربي
صلوات الله عليه وعماؤهم عن كيفية شريعته صلوات الله عليهم
ثم غوايات الفلاسفة واباطيلهم المموهة ومخاريقهم المزيفه
ينضاف الى عمايهم وضلالهم فينحدرون بها الى الدرك الاسفل من
النار اما طايفة الحلوليه من الصوفية آفتهم انهم ربما يكشف
لهم باب من ابواب القرب والتجلى وربما يبلغ الراي الى مقام الفنا
فيتراى له كانه هو فيقول سبحاني وانا الحق فينضاف اليه
مقاله الفلاسفة بدلالة الشيطان فيقول له قال ابقراط
كذا وزعم سقراط كذا اما تدري انك يا شيخ نفس ناطقه قديمه
ابدية لا موت لك ولا فنا وانك اعز واعقل واعلم واعلى من
العقل الاول ومن العلة الاولى وهلا سمعت قول الحكيم
ارسطاطاليس ان الانسان هو العالم الكبرى والعالم هو الانسا
الصغرى اما تدري انك موسى الوقت وعيسى الزمان وجبريل
الاوان فبذلك الاغوا والتغرير يغتر ذلك الجاهل ويلتحق بالحلوليه
من النصاري واما طايفة المباحيه من هولاء فمنشاهم جهلهم
وعجبهم بانفسهم لا يرجعون الى المشايخ ليسالوهم عن طرقهم وافاتهم
وما يحتاجون اليها في مسالكهم وينضاف الى ما يجري عليهم من المكاشفات

ترهات الفلاسفه فيحلون ما حرم الله تعالى عليهم بما ذكرنا من الوجوه
من قبل انهم يزعمون ان العلل والعقول جهال لا يعلمون الحرام
والحلال واما طايفه المعطله والملحدين منهم فسبب تعطلهم
انه اذا اكتشف لهم من عوالم الحقيقه ربما وقع سيرهم في عوالم
التوحيد فيسيرون فيها بلا مراقبه العظمه والكبريا فيغرقون
في بحار التعطيل والالحاد ومن هنا قال جنيد قدس الله روحه
غايه التوحيد الالحاد ٥ واما طايفه المجسمة والمشبهة من
هولاء يكثر وقوعهم في ذلك الضلال وسبب ذلك انهم يشاهدون
الصور في عوالم التلوينات ولا يعرفون الحق من الحقيقة والمراة
من المراي ولا ينقادون لمن يعرف ذلك فيغرقون في بحر التجسيم
والتشبيه وربما ينضاف الى هولاء فلاسفه ايضا من حيث انهم
يقولون بقدم الاجسام ومنهم طايفه يرجحون انفسهم على الانبيا
ويزعمون انهم اقطاب العالم ويزعمون ان قوام العالم بهم وسبب
ذلك انهم يرون في عالم المكاشفات امورا عجيبه بليغه رفيعة
فيظنون ان ذلك لم يكن لانبيا الله تعالى ثم ينضاف الى ذلك
تلبيسات الفلاسفة فيقول الفلسفي يا فلان انك لست غير موسى
وعيسى فان نفوس بني آدم كلها واحده وهي العقل الفعال والنفس

الناطقة وهي العله الاخيرة علي ما سبق ذكرها وانما اتت موسي
وعيسي ومحمد ونبي هذا الزمان انتهي ينخدع ذلك الجاهل ويرتد
عن دينه كافرا ٥ واما حديث القطب قد جا في الاحاديث ان
وجه الارض لا يخلو عن واحد يقوم مقام آدم عليه السلام في
الخلافه وقد قال الله تعالي اني جاعل في الارض خليفة وذلك
الخليفه كان آدم وبعده شيث حتي الي يومنا هذا ولا ينبغي ان
يخلو وجه الارض عن واحد يكون خليفه الارض ما دامت الارض
معايش بني آدم اذ مات آدم عليه السلام وترك الارض لاولاده
فلا بد لهم من الخليفة ولهذا اوصي الي شيث وجعله خليفه والله
تعالي قرر ذلك الخلافه عليه ٥ وقد روي ابن مسعود عن
النبي عليه السلام انه قال ان لله عز وجل في الارض ثلثمايه
قلوبهم علي قلب آدم وله اربعون قلوبهم علي قلب موسي وله
سبعة قلوبهم علي قلب ابرهيم وله خمسة قلوبهم علي قلب جبريل وله
ثلثة قلوبهم علي قلب ميكايل وله واحد قلبه علي قلب اسرافيل
فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع بهم البلا ٥ هذا الحديث
يدل علي ان رجلا واحدا مختار لا يخلو منه الارض ولو مات بدل الله
تعالي غيره مكانه ٥ وروي ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه

قال اذا اراد الله عز وجل خلقا للخلافة مسح علي ناصيته بيمينه
وهذا الحديث يدل علي ان الله تعالي قد يخلق كل وقت في بني آدم
شخصا للخلافه ٥ اما من يرجح نفسه علي الانبيا او يقول ان
القطب يساوي النبي في الدرجة عند الله تعالي فذلك من جهله لم
يعلم ان النبي نبي وقطب وان القطب ان كان قطبا فليس بنبي وايضا
فان النبي صاحب الشريعه والقطب ليس بصاحب الشريعه وايضا
فان الاقطاب والاوتاد والابدال كلهم اتباع النبي وعماله باوامره
ونواهيه وليس لهم علي النبي ولاية الامر والنهي وتبين بذلك ان
جمهور الاقطاب والاوتاد والابدال مع ساير المومنين الذين هم امة
نبي واحد لو جمع الكل بفضايلهم ودرجاتهم ثم اغرقوا في بحر نبوة
نبيهم ضاعوا فيها وتلاشوا ٥ وذكر شيخنا سديد الدين
قدس الله روحه انه كان بالشام شيخ معروف وله اصحاب سمعته
يقول ان النبي كان رسولا مبعوثا الي جماعة فروا من السلطان
وخرجوا من طاعته فلا يكون هو اشرف من هولاء الفارين عرفا
فكيف يكون اشرف من اولياء السلطان واقربايه الجواب هذا
خطا عظيم في قياس رسول الله تعالي صاحب شريعته جل وعلا علي
رسول انسان حقير الي انسان حقير لا ملك ولا ولاية لاحد ابدا علي

الآخر فان رسول الله خليفة الله ونايبه تعالى والله
تعالى مالك الملك وخالق الخلق والخلق كلهم عبيده يتصرف
فيهم بما يشا من التصرفات بذاته تعالى او بنايبه جل وعلا وكل
تصرف من النبي يكون نافذا على امته شاوا ام ابوا بخلاف رسول
انسان الى انسان ٥ ولان الرسول نبي وقطب كما ذكرنا ولان جميع
الاقطاب اتباعه ونوابه على ما ذكرنا ٥ ولان رسول الله عليه
السلام كان رسولا الى الكفرة المنفرين عن طاعة الله ليردهم
الى الطاعة قهرا وجبرا يقتلهم بالسيف حتى يسلموا ويسترقهم
ويبيعهم في الاسواق كالبهايم والامتعة وان نبينا صلوات الله
عليه نبي آخر الزمان كان اقرب الخلايق الى الله تعالى واعزهم
عليه واشرفهم حتى قال انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال
آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وان له مقاما محمودا ليس
لغيره من الخلايق وانه شفيع الامة يوم الحشر والى امثال
ذلك من فضايله لا تحصى فمن قال الجهل والحماقة والالحاد
والزندقة ان يقيس مثل ذلك النبي على فيج راجل يبعثه انسان
الى انسان مثله لا ينبغي للعاقل ان يغتر بمثل ذلك الترهات
فيهلك والله ولي العصمة ٥ فصل اعلم انا انما ذكرنا

هذه الكلمات مبترة عن الدلايل والبراهين لان جماعة هذه
الطايفة المتصوفة يقل اشتغالهم بجنس هذه العلوم ولا يكون
لهم بد من معرفة الآفات التي يعتريهم في مسالكهم ومن اعظم
آفاتهم الفلاسفة بمذاهبهم فاشرنا في ذلك الاقتصار الى ما
يرشدهم الى معرفة كيفية مذاهبهم ومقالاتهم في باب صفات
الله تعالى وفي باب الايمان بالله وبانبيايه وشرايع الله جل
وعلا حتى اذا وقفوا على ذلك يسهل عليهم الاحتراز عنهم وعن
مذاهبهم وطرقهم فيفوزون من آفاتهم وآفات مذاهبهم ثم الدلايل
الواضحة على صحة مذاهبنا وفساد مذاهبهم قد قررناها في كتاب
التجريد من رد مقاصد الفلاسفة والله ولي العصمة والتوفيق
فصل اعلم انه ليس يخفى على العقلا الاكياس ان من ضاع
نفسه بنفسه عن نفسه فانه ناقص كامل جاهل فاضل وان
للبهيمة عليه فضيلة اذ هي تهتدي الى نفسها ومثواها ومربضها
ومأواها ومبيتها ومرعاها وسيدها ومولاها ٥ ثم الاخسر
والاعسر من ذلك الغبي الشقي الذي ضل وغوى واضل واغوى
خلقا كثيرا وجما غفيرا عن ذواتهم ونفوسهم وصفاتهم ورسومهم
وان كان ارسطو وافلاطون وذو القرنين وافريدون فذلك غول

الغيلان في هيكل الانسان وذا كالذي استهوته الشياطين
في الارض حيران ٥ ثم ان عكسه من عرف نفسه وذكر اسمه
وادرك رسمه وزوّر جسمه وامسك ذاته واحرز صفاته
وجعل هواه تحت القدم ثم رماه في كتم العدم ثم انتحى بنفسه نحو
القِدم حتى تمسك بالعروة الوثقى فارتقى على اعلى المرتقى اردت
بما قلت ان العاقل الكامل العالم العامل الفاضل من وجد
نفسه فحفظه وتمسك بزمامه ولجامه واوثقه بالمواثيق المؤكده
حتى لا يضيع هو منه فلا يضل ذاته عن نفسه ولا يضل نفسه
عن ذاته ثم الاعقل الاكمل الاكيس من ذلك من وجد نفوسًا
ضاعت من ذواتها وضلت من صفاتها وعدلت عن نعوتها
واوصافها فاخذ بزمامها وردّها الى اصحابها وهداها اليها
وارشدها عليها واوثق زمة ذواتها واعنّة نفوسها في
ايديها واكفها كيلا لا يفقدوا انفسهم ولا يضيع عنهم ذواتهم
ولا صفاتهم ابد الابدين ٥ سوال قال قايل هل مقامات
الرجال في هذا الباب ما هو اعلى من ذلك والنفس قلت نعم
ذلك مقام المتمكن المقتدر على استخراج شمع مضي كبدر منير
اذا استخرجها اضا العالم المظلم فاستضا بها العادمون

لانفسهم الفاقدون لذواتهم الضالون عن صفاتهم فوجدوها
وجدانا بينا باتا قاطعًا وعرفوها واحاطوا بها وتمسكوا
بزمامها ثم شمع المعرفه انفسهم والوجدان ذواتهم واحاطتهم
عليها بضيا هذا الشمع جعلها شموعا في ايديهم حتى صار
كل واحد منهم صاحب شمع مضي يستضي بها المظلمون ويسترشد
بها الضالون فصار اهل عالم في نور شمع كل واحد منهم واجدين
انفسهم مشاهدين لذواتهم آمنين عن فقدانها فارغ الفواد
مطمين القلوب ٥ سوال قال قايل هل من مقامات
الرجال في هذا الباب على من ذلك قلت نعم وذلك مقام
رجل يستخرج مثل ذلك الشمع من عالمه ويوقد مثل ذلك
المشاعل من انواره ويقتبس مثل النور من شموسه
صلوات الله عليه ٥ تم الكتاب بحمد الله ومنّه
وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وكان الفراغ منه يوم الجمعة
في شهر ذي القعدة
سنة سبع وستين
وسبعمايه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والقصد والتوفيق
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على
الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى اله واصحابه
الاكرمين اجمعين فصل لقد استاذنت في اثبات
هذه الكلمات فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها الى قوله تعالى يعرشون
فصل اعلم ان هذا كتاب معارج النفوس والنفوس
جمع النفس وما نعني بالنفس الا ذات الانسان واصله الذي
هو مخاطب مكلف عاقل عالم متكلم فافهم كما بيّنا في كتاب محك
النفوس وفي هذا الكتاب نشرح معارجها والمعارج جمع
المعراج والمعراج هو الارتفاع عاليًا بالذات والصفات
والاحوال والمعراج نوعان نوع في النوم او الحالة الواردة على
الصوفية ونوع اخر في اليقظة بالشخص والبدن والجوارح
اما ما يكون في اليقظة بالشخص والبدن كمعراج عيسى عليه
السلام الى السما الرابعة وكمعراج المصطفى محمد عليه السلام
الى فوق السموات السبع والى عند سدرة المنتهى فاما ما يكون
في النوم واحوال الصوفية روي ان النبي عليه السلام كان له مرة

واحدة فان المعراج عنده مرتين مرة في اليقظة ومرة في النوم
وان البخاري يروي المعراج في الصحيح ويقول في اخره ثم انتبه
رسول الله صلوات الله عليه وذلك دليل على ان هذا المعراج
لم يكن في اليقظة والانتباه فافهم ان شا الله وحده فصل
ثم اعلم ان معارج نفوس بني ادم في عوالم التصرف نوعان
احدهما معارج الذات والثانية معارج الصفات اما الصفات
التي لها معارج في هذا الباب كثيرة لكن معظمها ثمانية وهي
التي لا يتم الصوفي بدون ترقيها وتربيتها والبواقي توابع هذه
الثمانية تاتي على اثرها مشرعة ثم هذه الثمانية هي العقل
والسر والايمان والمحبة فهذه الصفات الاربعة
قطعات انوار روحانية مركوزة في قلب النفس واربعة
اخرى وهي الملكية والسبعية والبهيمية والشيطانية
مجبولة في جبلة النفس غير مختصة ببعضها دون بعضها فافهم
ان شا الله وحده فصل اعلم انا بينا في كتاب محك
النفوس وكتاب مرآة الارواح ان نفوس بني ادم مخلوقة من التراب
جسمانية لا روحانية لكن الله تعالى بلغ التراب باطوار التربية
ان جعلها كالهوا اللطيف من الصفا وتلك الاطوار هي التي ذكرها

الله تعالى في كتابه فقال جل وعلا يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا
الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم وقال في آية
اخرى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه
خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين هذه الاطوار كلها
معارج النفس الانساني من مقام الترابية الى مقام
الانسانية والى ان يصيروا اهلا لخطاب الله تعالى بالاوامر
والنواهي وذلك قوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم يعني ذلك العروج
بهذه الاطوار مع هذه الصفات الثمانية بلغت الى مقام كان فيها
اهلا لتحمل امانات الله تعالى بتقدير الله تعالى وصنعه جل
وعلا من غير شي من اكساب العباد فيه فاما بعد ذلك
كل منزل وارتقا يحصل للعبد فانما يحصل بتوفيق الله تعالى
ولطفه وهدايته ولكن مرتبا على كسب العبد الا ان يلحق جذبة
من الله تعالى وذلك نادر ولا حكم للنادر ولو كان كسب العبد

على

على خلاف امر الله تعالى وخلاف اذنه واجازته جل وعلا
فالعياذ بالله ينكس المعارج معكوسة والله يركسهم باكسابهم
فيتسفل المعارج الى اسفل السافلين في الدرك الاسفل من النار
والله ولي العصمة فصل اما معراج النفس بعد كمال
الفعل وخطاب الشرع مرتبا على كسبه ثلثة انواع فنوع منها
ان يكبر ويعظم ونوع ان يلطف ويصفى ونوع ان يتنور ويضيء
كالشمس اما النوع الاول هو ان يبتدي فيدور حول نفسه
وذاته فيرتفع ارتفاعا عاليا كما يشا وكما يشا وكم يقدر ويجد
السبيل وذلك سير باختياره من اي جانب شيا يسير سيرا
وان الصوفيه يسمون ذلك سير الذات وهذا السير يكون في
عوالم الروحانيات ومثاله ما يرى الانسان في منامه او يرى
المبتدى من المتصوفين بمراقبته فذلك سير السر لا سير
ذات النفس انما يكون بعد ما صارت النفس مطمئنة متشعشعة
مثل شمع ومشعله فالان كان للنفس سير بشعاعه في عوالم
الروحانيات ويسير شعاع النفس الان مقدار ما كان يسير
شعاع السر ومن بعد ذلك يسير سيرا ويعرج المعارج ما امكنه
او ينقطع بالموت ثم اذا عرفت ذلك فاعلم ان ثمرة سير النفس

ان تكبر هي وتعظم وتنبت بقدر سيرها وكلما رجع من سيرها الى
هذا العالم ليس مضى ورجوعها انتقاص قدها وتراجعها الى
الصغر بل حيث وصل وبلغ بلغ نشوه ونموه الى ثمه وهي تبقى
بذلك القد والقامة وانما الراجع مطرها وهمتها الى دار ملكها
حيث لقلب في البدن وان قدم النفس بهذه المعارج والتربية لا
ينقطع عن البدن فافهم جدا وهذا المعنى ظاهر فان النفس للبدن
ما يقال بالفارسية جان ومعلوم است كي بدن كان زنده نماند
الموت اذا خرج النفس كان البدن ميتا كان لم يكن حيا قط فالان
نحتاج هنا الى الدلايل والبراهين في مقامات ثلثة الاول ان
النفس بذاتها تسير سيرا والثاني ان النفس تعظم وتكبر بمقدار
سيرها والثالث ان النفس اذا رجعت الى مقامها ودار ملكها لا
تصغر ولا ينتقص قدرها وقدها عما وجد من النشو والنمو اما
بيان ان النفس تسير ما ذكرنا من السير هو ان النفس اذا اطمانت
طمانينة تامة تنورت وتشعشعت كشعاع الشمس وسير
مثل ذلك النور ضروري لازم الاصل في معرفة ذلك المعنى ان
تعلم اولا ان لبصيرة القلب سيرا من عالم القلب الى عالم الروحانيات
وبصيرة القلب هي التي نسميها سرا وهمة وهي ما اذا نام الانسان
نفذ

248

نفذ شعاع ذلك الهمة الى عالم الروحانيات وفي مطالعها كمثل
شعاع عين الراس تسير من الحدقة الى السموات ومطالعها
فاذا وجد نفس الانسان تربية قويمة مستقيمة صارت مطمينة
منورة مشعشعة كشعاع العين ثم كشعاع السر ثم كشعاع
الاخفى بل الطف منها ثم بذاتها كلها يضيء نورها عا منورا كشعاع
الشمس بل اقوى واعلى واغلب الى ما لا يتوهم ولا يخطر ببال البشر
ثم ان سير النفس بعد سير سرها انما يكون اذا حدث لها شعاع
كشعاع الشمع فيكون سير شعاعها ثم يكون سير ذاتها بعد
ما صار ذاتها شعاعا باللطافة والضيا ثم سيرها عند ذلك
سرعة يكون كسير شعاع الشمس ينفذ بلمحة من السماء الى
الارض ومن المشرق الى المغرب كان لها سير بذلك السرعة في عوالم
الروحانيات الى آخر عمره في جوار عوالم الحق تعالى لكن في بدايات
هذه المقامات يحتاج الى المراقبات حتى لو ترك المراقبة تناقص
شعلها وتراجع الى الخمود وذلك انما يكون في البدايات قبل
وجود التمكين اما اذا تمكن فالتمكن دايم في معارجه من غير
مراقبة الى ان ينقطع فان غاية كل متحرك سكون ونهاية كل متكون
ان لا يكون فيكون كمثل السيل اذا بلغ البحر فان كان ضعيفا

المخوف اول قدم لاقي البحر وان كان قويا نفذ في البحر اقداما
معدودة وان كان اقوى نفذ كرمية سهم او اكثر وان كان اقوى
نفذ فرسخا وان كان اقوى فرسخين وان كان اقوى كدجلة
وجيحون فراسخ معدودة الى الف فرسخ واضعافها لكن لما كان
البحر مما لا ساحل له والسيل حادث بسبب حادث لا بد له من
الانقطاع والهدو في البحر كذلك معاريج النفس في ذلك العالم
فافهم ان شا الله وحده اما سير عين السر اثر ظاهر
ولا يخفى على العقلا وكذلك سير عين القلب وبصيرة الباطن
وهي السر ظاهر ولا يخفى على العقلا انهم يرون في منامهم صعودهم
الى ما فوق السموات وفوق العرش والى اعلى عليين وكذلك
نزولهم الى تحت الثرى وذلك سير السر ولا شبهة في ذلك وانما
الاشكال في سير النفس وذلك ايضا يسهل بعد ما يظهر ان
النفس الجسماني صدر نورا روحانيا فان العقلا لا يشكون ان
نفاذ الانوار والاشعة المنورة ضروري كشعاع الشمس والقمر
والسراج والشمع واشباهها وقد قررنا ذلك في كتاب مرآة
الارواح ومحك النفوس وسياتي من بعد ذلك ها هنا ان شا الله
وحده هذا وجه واحد في بيان ان للنفوس سيرا ٥

والوجه الثاني في بيان ذلك انا راينا وعلمنا يقينا بالمشاهدة
والوجدان من انفسنا انه كذلك فلو ان الناس قبلوا قولنا وقلدونا
فيها ونعمت وان لم يقبلوا فلا اقل من ان تقبل اصحابنا الذين
مارسونا وامتحنوا منا انا لا نكذب في مثل هذه الحوادث الكبيرة
الدينية التي لا يتعلق بها منافع الدنيا وان كذبنا اصحابنا فلا شك
في ذلك لنا ولكل من سلك سبيلنا وشم رائحة وشرب شربة من عوالمنا
فاذا نحن انما نتكلم هذه الكلمات لهولا البالغين الواصلين الى هذه
المقامات الواجدين لهذه الاحوال لكنهم لا يدرون ايش ذا الذي يجدون
ولا يفهمون شرحها فاذا راوا ذلك الشرح البسيط فهموا انه ليس الا
كذلك وهذه فايدة شافية من هذه الكلمات والسلام والوجه
الثالث ان المشايخ المتقدمة الكبار قد وصلوا الى هذه المقامات
واخبرونا بذلك واشاروا الى ذلك وسموا هذا المقام مقام السير
في الله وفرقوا في سير السالكين انواع السير في الله والسير بالله
والسير الى الله والسير مع الله وكل ذلك نوع من انواع المعارج
وان عوالم المعارج من اشرف مقامات السالكين عند مشايخ الصوفية
ومعنى العظمة والكبريا لذات الله تعالى وصفاته جل وعلا لا
يكاد يتبين الا لاصحاب تلك المعارج فاذا هذه الاحوال من هولاء

علي ذلك دلالة دالة علي انهم وجدوا وايقنوا كينونة سير النفس
في عوالم الروحانيات والربانيات وكان لهم ذلك فافهم ان شا الله
وحده والوجه الرابع في بيان كينونة المعارج وسير النفوس في
عوالم الارواح كما مات الايات والاحاديث قال الله تعالي كلا
ان كتاب الابرار لفي عليين ومعني كتاب الابرار نفوسهم عينها
علي ما بينا في تفسير هذه الاية في كتاب تصديق المعارف ثم كون
ذوات الابرار في عليين من غير سير من عالم الذات الي عليين
محال فعلم ان لهذه النفس سيرا الي عليين وقال الله تعالي ان
المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر يعني
ان المتقين عند الله تعالي في المقعد الاعلي وقال الله تعالي
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم
يرزقون يعني ان الشهدا احيا في عالم القرب الي الله وهي ابعد
مقامات الروحانيات وقال الله تعالي يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الي ربك راضية مرضية ○ والرجوع الي الله تعالي يستدعي
نقله من عالم الاجسام الي عالم الارواح ○ وقال تعالي في قصة
الخليل عليه السلام وان من شيعته لابرهيم اذ جا ربه بقلب سليم
والمجي الي الله تعالي هو السير الي الله لا غير وقال الله تعالي

عن

عن ابرهيم عليه السلام وقال اني ذاهب الي ربي سيهدين والذهاب
الي الله هو السير لا غير وقال الله تعالي سبحان الذي اسري
بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي كان هذا سيرا
ومعراجا لنبينا صلوات الله عليه في ذلك الليل بالله تعالي الي
ما فوق السموات وقال الله تعالي الا من اتي الله بقلب سليم والاتيان
الي الله تعالي هو السير الي الله تعالي وقال الله تعالي وجاهدوا في
الله حق جهاده اراد به المجاهدة في السير في الله تعالي وكذا قوله
تعالي والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قريب مما ذكرنا وامثال
تلك الايات والاحاديث كثيرة كلها تدل علي كينونة السير في الله وبالله
والي الله ومع الله فافهم جدا ان شا الله وحده هذه الجملة لبيان
ان للنفس الانسان ما ذكرنا من السير والمعراج فاما بيان ان
النفس تكبر وتعظم بمقدار سيرها وذلك المعني مما يشق تفهيمه
الا لمن له ذلك السير والمعارج ومن لا فلا بد له من التقليد المبني علي
الارادة الصحيحة الحكيمة وبيان برهان ذلك ان المرا الذي له
ذلك السير يجد من نفسه ويعلم ان سيره موقوف علي مراقبته واختياره
في المسير الاول واذا سار سيرا بعيدا مسافة بعيدة يكل ويسام
وينقطع من السير الي حد لو تقدم قدما نكص علي عقبيه قدمين

من غير اختياره فيقيم ثم يشاء ام ابى وربما يقول له من معه قف
هنا واقم وربما يقول اذ قد هنا ساعة وايضا قد يرى سيره في
وقت كسير الماشي وفي وقت كسير الراكب يعدوا وفي وقت كالسهم
النافذ وفي وقت كالبرق الى ان يقيم ويتوقف ثم يقع الفتور في سيره
ثم يرجع الى السير ويبتدى من هذا المقام الذي اقام فيه وتوقف
ولا يحتاج ان يرجع الى اول مقاماته السابقة مع انه في وقت الفتور
كان قد رجع الى مقر قدم نفسه في البدن بل انما رجع الى السير
والمعراج بعد الفتور يرى في تلك الساعة انه انما يبتدي السير
من آخر مقاماته السابقة حيث انقطع ثمه واقام فلولا انه
كان مقيما ثمه بنفسه وذاته ولم يرجع الى مقر قدمه في البدن
والا لاحتاج الى استيناف السير من اول المقامات كمن مر من
همدان الى مكه ثم اراد المرور ثانيا لابد له ان يبتدي المرور من
اول المنازل من همدان الى آخرها بمكة يمر على كل واحد مرورا
مستانفا وايضا من له هذه الرؤية والقوم يرى بنفسه ويشاهد
من ذاته انه حاضر في جميع المنازل والمقامات التي مر عليها من قبل
وايضا فانه يرى في وقت الفتور والتوقف من سيره بسبب الكلالة
والملالة الحاصلة من كثرة السير انه لو سار في جميع المنازل والمقامات

السالفة

السالفة يسير بلحظة من غير ملالة ولا سامة ويطالع جملتها
وان كان مقاماتها ومنازلها مسافة ما بين العرش والفرش الف
الف مرة ويكون كشخص واحد منا في عالم الاشخاص يدور حوالي
شخصه من قرنه الى قدمه ظهرا وبطنا بلحظة ولا يحتاج الى
سير بعيد بخلاف النملة تصعد من قدم الشخص الى قرنه لا
تصعد الا بمدة فافهم جدا ان شاء الله وحده فعلمت من ذلك ان
نفس الانسان بهذه المعارج تنمو وتنبت بقدرها ومقدار سيرها
مقدار قدها واذا رجع الى مقرها الاول انما تعود بسرها وهمتها
وعقلها لا بذاتها وكان كما اذا صعدت من عالم البدن فانما صعدت
بسرها ومعرفتها وعقلها لا ينقطع من البدن بذاتها كذلك
اذا عادت من ثمه الى هنا ه بيان برهان آخر اقوال المشايخ
قدس الله ارواحهم روي عن ابي يزيد البسطامي انه حكى عنه ان
ابرهيم صلوات الله عليه وجد في الصحف فضيلة هذه الامة
فقال يا رب اجعلهم من امتي فقال لا افعل فانهم من امة محمد صلوات
الله عليه فقال اذا اعطني لسان صدق فيهم فوضعه الله في الصلاة
في التحيات وهكذا راى موسى صلوات الله عليه وصف هذه الامة
ومدايحهم في التورية فقال اللهم اجعلهم من امتي فقال لا افعل فانهم

من امة محمد صلوات الله عليه فقال ان لم تجعلهم من امتي
اجعلني منهم فقال بعد ظهورهم ولا يلحقهم ولا تصل اليهم
وهكذا راى عيسى عليه السلام فضايلهم في الانجيل فقال اللهم
اجعلهم من امتي فقال لا افعل وهم امة احمد فقال ان لم تجعلهم
من امتي اجعلني منهم فرفعه الله الى السما ليرده الى الارض في
آخر الزمان ليكون من هذه الامة فقال ابو يزيد رحمه الله
تظن انهم اشتهوا فضايلكم بل راوا رجالا جاوز رؤسهم العلى
وارجلهم الثرى وهم مفقودون فيما بين ذلك وسيل ابو الحسن
الخرقاني رحمه الله هل ترتقي الى العرش في اوقاتك ام لا قال
العرش ها هنا حيث انا ن يعني اني جاوزت عن العرش فالعرش
يكون حيث انا ضرورة وسيل ابو يزيد عن درجة العارف
قال ليس هناك درجة بل اعلا فايدة العارف وجوده ه يعني ان
العارف بلغ الى اعلى عليين وما فوقها لا حد لا حد ولا قد ولا
نهاية لها فخرج قده وقامته من ان يدخل في معيار الدرجات
ومكيال المقامات والمنازل ه وعنه رحمه الله قال ايضا ان
العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول ه وعن ابي الحسن
الخرقاني رحمه الله عليه قال قدمي تحت الثرى وقرني فوق اعلى

الاعلى وليس يمين وشمال وحكي عن الشيخ المعروف باخي
زنكاني قدس الله روحه ان امة من الطير نزلوا عنده يسلونه
عن دقايق مسايل التصوف ثم نهضوا فطاروا فقال له اصحابه
يا شيخ من هولاء قال هم صوفية نواحي كذا فقالوا يا شيخ انت لا
تقدر ان تطير كمثلهم مع سمو درجتك عنهم فقال ان العالم علو
مني الى ان اظهر ولا مجال للطيران وقيل لابي يزيد قدس الله
روحه ما اعظم ايات العارف قال ان تراه يواكلك ويشاربك
ويمازحك ويبايعك وقلبه في ملكوت المقدس هذا اعظم الايات
فافهم جميع ذلك ينفعك ان شا الله وحده ه وبيان برهان آخر
هي كنايات الايات ونصوص الاحاديث قال الله تعالى ورفعنا لك
ذكرك وارتفاع الذكر من غير ارتفاع المذكور كان كذبا واستهزا
به كان يقال للبقة جمل وللذرة جبل فعلم من ذلك ان رفع ذكر
المصطفى صلوات الله عليه كان بعد رفع قدره الى اعلى عليين
وقال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات في الدنيا لا بمزيد قدر ظاهر المومنين على ما جرت العادة بها
يستوي فيها الكافر والمومن فكان المراد ورفعناه مكانا عليا يعني
رفعناه الى اعلى عليين في حياته متى ما كان على وجه الارض وقال

الله تعالى في عيسى عليه السلام اني رافعك الي ومطهرك
يعني مطهرك من الذنوب ثم رافعك الي عالمي وقال الله تعالى نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات يعني رفعنا الانبيا على الاولياء والاوليا على عامة
المومنين والمومنين على الكافرين درجات وقال الله تعالى ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهذا نص ظاهر
فيما قلناه فافهم والدلالة على ذلك ايضا ان النبي انما سمي نبي لارتفاع
قدره وقدره على غير النبي والانبيا هم الاشراف الكبرا المشرفون
باقدارهم ومقاديرهم على ساير من سواهم من الناس وقد بينا
ذلك في ابتدا الجامع لدلايل النبوات فاما الاحاديث كثيرة
قال النبي صلوات الله عليه من تواضع لله رفعه الله ٥ وروي
ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اتدري لم كلمتك من بين الخلايق
قال لا يارب قال رايتك تتمرغ في التراب بين يدي تواضعا
فاردت ان ارفعك بين الناس ٥ وعن ابي بكر رضي الله عنه عن
النبي عليه السلام قال ما من بني ادم الا وفي راسه سلسلتان
سلسلة في السما السابعة وسلسلة في الارض السابعة فاذا
تواضع رفعه الله بالسلسلة الى السما السابعة واذا تكبر وضعه

الله بالسلسلة الى الارض السابعة ٥ وعن ابي هريرة عن النبي
عليه السلام قال قال الله تعالى من لان في جنبي وتواضع لي ولم
يتكبر في ارضي رفعته حتى اجعله في عليين ٥ وامثال هذه الايات
والاحاديث لا تحصى وكلها تدل على ان لنفوس الانسان سيرا
ومعارج وتزايدا الى اعلى عليين وما فوقها فافهم ان شا الله وحده
فاما بيان ان ذلك النفس مهما رجع الى مقر قدمه ومقام اهله
ودار ملك نفسه لا يصغر ولا ينتقص عما نمى ونشا بل يبقى على
ما وجد من الكبر والنمو ٥ اعلم ان كل ما ذكرنا قبل ذلك
من الايات والاحاديث ومقالات المشايخ تدل على ان ذات النفس
لا رجوع لها عن المقام الذي صعدت اليه ولا تناقص بل تبقى حيث
بلغت فتامل جدا لتفهم ان شا الله وحده وايضا فان اصحاب
البصاير من هذه الطايفة يرون انهم ثمة ومن ثمة لا يرجعون
ولهذا المعنى كلما ارادوا الجولان في المقامات السالفة يجولون
بلحظة من غير مشقة عموم المقامات مع انهم لم ينالوا هذه المقامات
في الابتدا الا باوقات وتدارج وتحمل مشقات شديدة فافهم وايضا
فانه لما دلت هذه الدلايل على انه بلغ سيره وقدره ونمى الى عليين
فرجوعه بعد ذلك وتصاغره لا تثبت الا بدليل ولا يقبل من

قايله الا ببرهان ولم يوجد ذلك البرهان الا في حق شخص يرتد
وينسلخ فينزع منه هذه الكرامات مثل من قال الله تعالى فيه
واتل عليهم نبا الذي آتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شينا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض
واتبع هواه وهو بلعام بن باعوراء فان قال قايل اذا ايش هذا
الذي يرجع ومن هو ولماذا يجيء الجواب قلنا قد ذكرنا
من قبل ان الذي يجي الى هنا انما هو همته وعقله يرجع من عوالم
الروحانيات الى الجسمانيات في مقام القلب وانما يجيء ويرجع لان
عروق النفس واقدامها ومقامها ومقرها ومولدها ومنشاها
ومزرعتها ودار مملكتها في الحال هاهنا ولم ينقطع قدمها وارزاقها
واعمالها من هنا وكل ما تحمل الى ذاك العالم فتستغلها ومزرعتها
هنا فلابد لها من الرجوع الى معاملة هذا العالم ليكتسب الاكتساب
ويحفظ الاوامر والنواهي ما بقي العقل معه واستقر اقدام النفس في
البدن فافهم ان شا الله وحده واذا عرفت هذا النوع من العروج
والنزول للنفس الانسان فقد عرفت من بعض الوجوه معنى
قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورته فافهم جدا
ان شا الله وحده فان قال قايل اذا رجعت الهمة والعقل من

254 ثمه الى هاهنا كما ذكرتم تقاعد النفس عن سيرها أم لا الجواب
قلنا بلى يتقاعد الى ان تعود النفس الى المراقبة والسير الا ان
يكون المرء متمكنا في السير والمعارج وصار السير والمعراج
جبلة لها فهاهنا لا ينقطع سيره وان رجعت الهمه والعقل من
ثمه الى هذا العالم مثاله من يكثر ذكر لا اله الا الله بلسانه
فيسري ذلك الى باطنه ويصير جبلة له حتى يسمع من كل شعرة
منه كله لا اله الا الله فلو سكت عن لسانه في هذه الحالة لا
يسكت الاجزا والابعاض والجوارح منه بل يذكر كل واحد من
ذراته هذه الكلمة وهو يسمع كما كان يذكر من قبل فهكذا يكون
معراج هذه المعارج فافهم ان شا الله وحده ثم ان ذلك السير
المجبول انما يكون على قدر قوة السير ومدد المادة التي يحتاج اليها
اما القوة فان الشيخ بدون القوة محال واما المدد فانما هي
مدد الانوار الروحانية تصل اليه من عوالم الذات والصفات
يكون لذلك العارج بمنزلة القوت تقويه وتمده كالغذا ولو لم
يكن له غذا لا يسمن ولا يكبر وذاك الذي قال النبي عليه السلام
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فافهم جدا هذه كلمات
النوع الاول من معارج النفس فاما النوع الثاني من

معارجها هي صيرورتها لطيفا اعني رقيقا ودقيقا وزوال
شوايب الاخلاط التي لا توافقها اما صيرورتها رقيقا
دقيقا هو ان الذات الجسماني اذا كبر وعظم رق ودق ضرورة
ولا يزال يدق ويرق ما دام يكبر ويعظم الى ان يتفرق اجزاوه
ويضمحل ويتلاشا ولا تبقى صورته الانسانيه الا ان يمده
امداد واجزا اخر كقطعة الزجاجة المطبوعة ياخذها الزجاج
بمنفاخه وينفخ فيها فتنتفخ وتكبر وترق الى غاية لو زاد الزجاج
فيها نفخا انشقت وتفتتت اجزاوها وتفرقت وهذا المعنى
اظهر من النهار ولهذا المعنى يقول ان الساري في عوالم الروحانيات
يحتاج الى مواد روحانية واغذية ربانيه كيلا يضمحل ولا يتلاشى
واما زوال الشوايب فهي اخلاط بشريه وكدورات صفات ذميمه
تنقص منه بالمسير والمعارج لشبه ما تنقص الحشايش والغبار
من القطن عند ندف الندّاف المندفه وتصير القطن صافيه
عن كل ما ليس من جنسها وتكبر ايضا وكالعود اذا وضع في النار
ينحل عقودها بعضها من بعض وتثبت تفاتير اجزايها بخارا
في البيت والدار والمحلة ونفايتها تسقط عنها وتصير رمادا
كذلك الصوفي في معارجه فافهم جدا وايضا فان الذات

الجسماني اذا رق ولطف ان كان معه كدورات لا يظهر كدوراتها
فلا يحجب كالدخان الصاعد من الصاروج بالغلبة بسبب شعاع
الشمس فاذا ارتفع بعيدا وتفرق في الهواء تلاشى واضمحل
فلا يظهر شي منها كان لم يكن قط وانما نسمي ذلك المعنى معراجا
مع انه ليس في الحقيقة صفة النفس وانما هو زوال الصفات الكدورات
وشوايب الاخلاط المخالفة ولكن ذلك المعنى للنفس حالة من
حالاتها فاذا كان للنفس ترقي ومعراج فهذه الحالة ايضا ترقي
بمتابعة الذات تفهم ان شا الله وحده فاما النوع الثالث من
معارج ذات النفس كينونتها منورة مضيئة تتنور وتضي اغيارها
كشعاع الشمس يضي العالم كذلك نفس المومن اذا بلغ هذا المقام
في ذلك العالم فكلما خرج من حجاب البدن وكشف عن وجهها
تنور العالم وتضي كغدوة الصيف قبيل طلوع الشمس غير انها
في هذا العالم الجسماني لا يخرج من حجاب البدن وانما تتجلى وتكشف
عن وجهها في عوالم الارواح تفهم ان شا الله وحده ٥ فان قال
قايل اذا ذكرت وصف اللطافة لا حاجة الى اثبات وصف الضيا
فان كل ما كان لطيفا كان منورا فاثبات احدهما اثبات للاخر ٥
الجواب فرق بين اللطافة والضيا وكون الشمس مضيئا

اما اللطافة من غير الضيا هي لطافة الهوا واما كونه مضيئا
بنفسه على وجه لا يضيء غيره ضيا الكواكب واما اضاءة الغير
وتنويره هو ضيا النهار فنفس المومن في هذا المقام يصير كذلك
يكون لطيفا كبيرا مضيا منور الاغيار فان قال ما الدليل
على ان نفس المومن يصير مضيئه منوره الى حد يضيء الاغيار
بل هذا الشان محال فان النور روحاني ومن المحال ان يصير
الجسماني روحانيا الجواب قلنا براهين ذلك قول
الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح وقد بينا في كتاب تصديق المعارف ان المراد من
المشكاة هي نفس الانسان والمصباح همته والزجاجة قلبه
والشجرة كلمة لا اله الا الله والزيتونه هي الايمان الكسبي
والزيت هي الايمان العطايي والنار هي المحبة فالله تعالى
مثل نور ذاته المقدس بالمشكاة فلو استحال ان تصير المشكاة
نورا نورانيا روحانيا لما صح ذلك التشبيه ثم انك لا تشك في ان
هذا التمثيل من الله تعالى كان على سبيل التقريب الى افهام
وهذا التمثيل لا يكون كل مشكاة بل يكون مشكاة ترافعت
وارتفعت ارتقا بعيدا بعيدا في الاضاءة والتنور تفهم ان شاء الله وحده

وقال تعالى ايضا انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا والسراج يذكر ويراد به السراج
المعروف ومعلوم بان الشمس والسراج منور بنفسه ومنور
لغيره فكيف وهو انه قد وصف ذلك السراج بكونه منيرا والمنير
هو المنور لغيره فلو استحال ان يكون الانسان منورا لغيره استحال
في النبي ايضا لانه ما خلق الا من التراب كساير اولاد آدم وايضا
فقد وصل الينا متواترا انه لم يكن للنبي عليه السلام ظل على
الارض وانما لم يكن لان نور ذاته عليه السلام كان يمنع وقوع
ظله على الارض وقال الله تعالى لقد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين وعني بالنور النبي المصطفى صلوات الله عليه وبالكتاب
القران فالله تعالى نص على انه عليه السلام نور وقال الله
تعالى في سورة الحديد يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم الى قوله تعالى حكاية عن المنافقين انظرونا
نقتبس من نوركم وقال ايضا في سورة الحديد والذين امنوا
معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يعني نور ذاتهم نور العالم بين
ايديهم وبايمانهم وقال النبي عليه السلام ان الله تعالى خلقني من نوره
وخلق المومنين من نوري يعني انه تعالى خلقوا ولا نورا خاصا مختصا

به تعالى اختصاصًا خاصًّا ثم وضعها كالجمرة على الطين الذي
خمره اربعين صباحا كما بيّنا في محك النفوس ثم مادة ذلك النور
لم يصب للكفرة شي منها بل اصاب نفس الانبيا وما بقي نفوس
الاوليا وساير المومنين ۝ وقال النبي عليه السلام اول ما
خلق الله نوري اراد به ذلك النور الذي القاه على طينة آدم
كالجمرة ثم انه انما وضع ذلك النور على التراب في الابتدا ليصير
التراب كله بالتربية عند الانتها نورًا كلها وكان ذلك النور
كالملح وكالخمرة في الفطير فافهم ۝ وقد بيّنا في كتاب محك النفوس
انه ليس من المحال ان الطين والما يصير بالتربية نهرًا روحانيًا
كشجرة الجوز واللوز ينبت من التراب والما الى ان يخرج منها
اللوز والجوز ويعصر منها الدهن ثم يشعل من ذلك الدهن
مشعله يملا الدار والمحلة من ضيايها وبيّنا ان الحجر ايضا يصير
جوهرًا مضيًا في الليالي وقال النبي عليه السلام في بعض
دعواته اللهم اجعل في سمعي نورًا وفي بصري نورا وفي قلبي نورًا
واجعلني نورا فلو كان محالا ان يصير نفس الانسان نورا مضيا
لما قال عليه السلام اللهم اجعلني نورا وايضا فانه ليس يخفى على
العقلا وخاصة على طايفة الصوفية انه ربما يرى ارتفاع

الانوار الساطعة من شخص انسان او من فمه او عينيه واذنيه
وانفه كشبه السراج والمشعله وربما يرون ارتفاع ذلك من
تحت كل شعرة من الصوفي ويرون ذلك راي العين الظاهر وقيل
ان ابا الحسن النوري قدس الله روحه انما سمي نوريا لانهم راوا ذلك
منه كثيرا وروي عنه انه قال رايت في الغيب نورا ساطعا فما
زلت انظر اليه حتى رايت ذلك النور وانما قاله المشايخ نوريا لذلك
السبب وكثير من الخاص والعام يرون ارتفاع الانوار من مقابر
الصلحا والشهدا وعلى الخصوص من مشهد ذا قرية من قرى
قصران الري يرونه ساطعا دايما في كل الليالي من اول الليل الى
الصبح الصادق ثم ذلك هي نور نفس الانسان لما علي وغلب سرى الى
البدن وصار طبعا ومزاجا للبدن فاذا خرج النفس من البدن بقي
البدن منبع الانوار ومنفذها كما كان حالة الحياة فافهم ۝ ان قال
قايل من ان يحصل للنفس ذلك المعراج والعظمة والتزايد
وبايش يحصل لها ذلك حتى يطلب ذلك الثاني ما فايدة ذلك العظمة
والتزايد والثالث ان ذلك الخصلة منهية بقوله العظمة ازاري
والكبريا ردايي من نازعني فيهما القيته في النار وفي رواية احرقته
بالنار والرابع انكم قلتم لذات النفس ثلثة انواع المعارج والدي

اظهرتم هنا معارج الصفات لا معارج الذات لان الصغر والكبر
لذات الجسم صفة لا ذات وكذلك كونه منورًا صفة لا ذات
بيان ذلك هو ان الجسمين اذا كان احدهما كثيفًا والاخر لطيفًا لم
يكن بينهما خلاف في الجسمية بوجه من الوجوه فاذا هذا اختلاف
راجع الى الصفة ضرورة وكذلك لو كان احدهما صغيرًا والاخر
كبيرًا واحدهما مظلما والاخر مضيًا لا يختلفان في الجسمية قط
فعلمنا ان ذلك الاختلاف راجع الى اختلاف الصفات واذا كان
كذلك ظهر ان هذه المعارج معارج الصفات لا غير الجواب
وبالله العون والعصمة اعلم ان التزايد والكبر يحصل بفضل
الله تعالى وجوده لكن بنا على خصال جمة منها السير والمعراج
بكسب العبد ومراقبته ومنها وصول الغذا الروحانية من
عوالم الارزاق الربانية تعالى وتقدس لان الجسم اذا كبر وانبسط
وتوسع ولو لم يصل الاجزا الجسمانية اليه يكون غزاله ومددا
يتفرق ذلك الجسم ولا يبقى تركيب الانسان كما اشرنا الى ذلك من
قبل وذلك الامداد يكون من الله تعالى من غير مشية العبد
لان رازق الخلايق هو الله تعالى وهو الذي يرزقهم واليه ارزاقهم ومن
هنا قال عليه السلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فافهم ومنها
حفظ

حفظ عبوديه نفسه (العبد) ومراقبته اياها كيلا ينساها لحظة وتفسير
العبوديه قد عرفت في المراة والمحل انها عبارة عن الضعف والذل
والتواضع والهوان والحاجة والعجز التي هي صفاته في باب معبوده
تعالى وتقدس ومع ان تلك العبوديه صفة لازمة للعبد لا ينفك
عنه في الدنيا والاخرة ولكن الارتكاب لذلك والانقياد لها والتفاخر
بها طوعا ورغبة فيها كسب العبد على ما عرفت ثمه وفضل الله
تعالى وجوده بتسهيل المعارج والتوفيق للتيسير والهداية اليه
يكون موقوفا على انقياده وارتكابه للعبوديه طوعا ورغبة فالحاصل
ان التزايد والكبر انما يحصل بهذه الخصال الثلثة احدها
السير والمعراج وذلك بكسب العبد ومراقبته والثاني وصول
امداد الغذا الروحانية وكسب العبد فيها اقل الا ان يكون ذلك
الغذا مما لا يصل الى العبد الا بتناوله واكله وشربه والثالث
ارتكاب العبوديه والمطاوعة لها وللعبد في ذلك كسب كامل
وكثير من الناس تكاسلوا في ذلك فانزلهم كسلهم ذلك في الدرك
الاسفل من النار وكثير منهم تجالدوا وتماشوا فرفعهم الى اعلى
عليين والحقهم بالملايكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام ان اعلم
ان ارتكاب تلك العبوديه والانقياد لها والفرح والسرور بها

شرط اعلى واهم في باب المعارج علمنا ذلك بالتجارب الكثيرة
وانه معقول ايضا لان العبد اذا استنكف ان يكون عبد الله
تعالى وابى ان يدخل تحت وطا العبودية يليق ويحسن من الله
تعالى ان يكافيه ويجازيه في مقابلة ذلك الاباء بان يهبطه الى
اسفل السافلين ليصير اذل من التراب واهون فيرى قدره
ومنزلته اللايق به ويغرق في ذلك المذلة شاء ام ابى ورضي ام
سخط وبعكس ذلك لو اصعد الى اعلى عليين مع انكاره العبودية
واستنكافه لذلك ودعواه الربوبية الاعلى كان ذلك خلاف
الحكمة والمعرفة وعبثا وسفها واغوا واغرا واضلالا للسالكين
والله تعالى منزه عن خلاف الحكمة ومقدس عن السفه والعبث
واغوا العباد واضلالهم وايضا فان نصوص الايات والاحاديث
دلالات على ذلك قال الله تعالى ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا وقال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا الى قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم
وقد خاب من حمل ظلما الى قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الى قوله
تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وقال تعالى حكاية عن فرعون
فكذب

فكذب وعصى الى قوله فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال
الآخرة والاولى وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا
لله ولا الملايكة المقربون الاية وقال تعالى ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى في حق المنقادين
الراغبين في الطاعة والانقياد في العبودية المفتخرين بها يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ان المتقين في جنات
ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر كلا ان كتاب الابرار
لفي عليين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وامثال ذلك الايات في
القران كثيرة فافهم واما الاحاديث كثيرة قال النبي صلوات
الله عليه من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وهذه
رواية عمر رضي الله عنه وفي رواية انس من تواضع لله رفعه
الله ومن تجبر واستطال على الناس وضعه الله وقد مر من
قبل ذلك احاديث كلها تدل على ان الله تعالى انما يرفع عبده الى
معالي الدرجات اذا جعل التواضع والهوان والتذلل له تعالى دثارا
وازارا لنفسه ويكون مهيئا ومعدا ومرتاضا لعبودية معبوده
تعالى ونزاع طوعا لذلك ورغبة في ذلك ورضا بذلك ونعلم ان العبودية

له اعزّ مناقبه واشرف فضايله واحسن جماله وزينته واعلى
الدرجات له كمال العبوديّه فانّ وصفه الذاتي وصفته الاصلي
اللايق به المطابق لذاته ونفسه هذه العبوديّه وبواقي الكرامات
والمقامات والدرجات له كلها عطا الله ومواهبه جل وعلا
في مكافات انقياده وملازمته للعبوديه ٥ وفي ذاك الحديث
الذي قال لموسى عليه السلام اتدري لم كلمتك من بين الخلايق
قال لا قال لاني رايتك تتمرّغ في التراب بين يديّ تواضعًا
فاردت ان ارفعك من بين الناس ٥ بيّن في هذا الحديث انّ
سبب ارتفاع الدرجات والمقامات للعبد عند الله تعالى هي
بالتواضع والتذلل له تعالى وتقدس والتمرغ المذكور في الحديث
هو تمرّغ النفس والروح في عالم الارواح في التراب الروحاني
وهذا التمرّغ كسب العبد وهذه الحرفه انما يعلمها ان كان
ومن اراد ان يتكلم ذلك فانما يتعلم ممن كان منهم ماهرًا في التمرّغ
في ذلك التراب فافهم جدًّا ان شا الله وحده الجواب
عن السوال الثاني قوله ما فايدة ذلك العظمة والتزايد قلنا
فوايدها كثيره لا تحصى لكنا نشير الى بعضها احدها ان عظمة
الله تعالى وكبريايه جل وعلا لا يفهم ولا يدرك الا بهذا

الطريق وهو ان يسير ويرتقي الى معارج ودرجات يكون
الوجود والمكانيات من العرش الى الفرش في جنب عوالمه
ومقاماته كقطرة من بحر فيقابل عند ذلك ما اصاب من
العوالم في مقابلة عظمة الله تعالى وكبريايه جل وعلا فيرى
ذلك العوالم في عظمة الله تعالى كذرة في فلاة هي ذرة في
قطرة هي بحر من بحار الربوبيّة فيقع في وهمه هنا شي من عظمة
الله تعالى وكبريايه جل وعزّ الثاني انه اذا سار مثل ذلك
السير وعرج هذه المعارج ووقف على هذه العوالم انكشف
بصايره الباطنة وتوسع وانفتح انفتاحًا واتساعًا بسبب
انفتاح ذاته وتوسع نفسه بسبب عظمة بصايره وسعتها
وانفتاحها يزداد مشاهدته للعوالم الربانيّة على قدر قواه
فيرى فيها نفسه مع ما له من الكبر والعظمة لا شي وهذا
مقام الفنا فراى في هذا المقام عظمة الله تعالى وكبرياه
ابلغ ما راى من قبل وراى من ضعف نفسه وقلبه انه لا
شي ثمّه الثالث لما صعد من عوالم الفنا الى فنا الفنا
وهو عالم البقا راى في ذلك المقام نفسه بسبب ما صار
كان من قبل باضعاف مضاعفة

بسبب ما راى من تجلي الالهية وعناية الربوبية يرى نفسه
وعظمة نفسه اكبر مما راى لكنه يرى عظمة الله وكبريايه
جل وعلا اكثر واعلى مما راى في مقام الفنا باضعاف وانما راه
في مقام الفنا لا شي فمن كان اقل من لا شي كيف حاله وانما
راى نفسه اقل من القليل في مقابلة ما راى من عظمة الله
وكبريايه في هذا العالم وانما راى جميع ذلك هنا بسبب معارجه
في ذاته وصفاته وبسبب سعة بصايره الباطنة ودقتها
ولطافتها وهذه فايدة عظيمة حاصلة له من معارجه ٥ وفي
الرابع ان السالك المرتقي لما ارتقى الى مثل ذلك لسعة واللطافة
وحدة النظر يرى في كل ساعة ولحظة ذل نفسه وهوان
ذاته ويرى اصله وفصله في كل ساعة اضعف وانقص مما كان
راى من قبل كما انه في عالم الربوبية يرى ذاته وصفاته تعالى
وتقدس في كل لحظة اكمل واعلى مما كان راى من قبل ثم ان تلك
اللطافة والقوة الناظرة والبصيرة الرايية ثمرة ذلك الكبر
الحاصل بالمعارج السابق وذلك هو المقام الذي ارتفع اليه
موسى عليه السلام يتمرغ فيها في كل يوم مرة ٥ الخامس هو
انه مهما بلغ الى مثل ذلك المقام العظيم شرفه وصلح لخلافة

الخلايق

الخلايق ونال اهليتها وادرك صلاحية التحكم على الخلايق وفي
هذا المقام عبد متسلط وابان صحيحه وهو فيما بين ذلك
مثل لا شي يحسب من حسبه ونسبه كل يوم من بدو وجوده
الى آخر فنايه فيرى بدوه نطفة قذرة وآخره جيفة منتنة
وبينهما وعا يحمل القي والقيح والبول والخرا فلا يبقى فيه فخر
الجواب عن السؤال الثالث قوله بان ذلك الخصلة منهية
بقوله تعالى وتقدس العظمة ازاري قلنا ان هذا الحديث
نقابله بحديث آخر وهو قوله عليه السلام تخلقوا باخلاق الله
وهذا حديث مشهور معناه اتصفوا بصفات كصفات الله
تعالى يعني اكتسبوا الاوصاف الحميدة كنحو الرافة والرحمة
والكرم والجود والفضل والعدل واشباهها واذا قابلنا
راينا العمل بها اولى ما امكن فقلنا يحرم على العبد المنازعة
في وصف العظمة والكبريا ولكنه يحصل ولكنه يحصل لنفسه
جميع الاوصاف الحميدة شبه صفاته تعالى وتعلم ايمانا بل
يقينا ان صفاته كلها صفات مخلوقة موهبة من الله تعالى وصفات
الله عز وجل قديمة ازلية ابدية سرمدية بلا حاجة الى صانع
ومنعم وعلة كاملة تامة لا خلل ولا نقص فيكون اعتقاده وايمانه

كذلك ثم يؤكد ايمانه بمعاملاته الحسنة على وفق اوامره تعالى ونواهيه جل وعلا ويكون مطيعا منقادا مفتخرا بعبوديته فبهذا الصفات كلما كان ذاته وصفاته اعلى واعظم كان هو اعبد واحد واحسن ادبا وعبودية كمثل جبريل وميكاييل واسرافيل وعزراييل وساير الكروبيين وحملة العرش كلهم وان كانوا كبارا فهم صغار في عظمة الله وكبريايه تعالى ولو كان على عكس ذلك والعياذ بالله فمهما كان هو اقل وانقص واصغر فكفره وعصيانه اقبح وافحش واعظم ومنازعته اشد واكره واسمج وهذه المنازعة هي ان لا ترتكب العبودية ويابى الانقياد لله تعالى ويدعي دعوى انا ربكم الاعلى وهذا من الباب الذي نحن فيه نعيد ومثل ذلك الخلق لا يهتدي قط الى ما ذكرنا في المعارج ولا يحصل له ذاك العظمة قط ولا مثل ذلك الصفا والنور المضي المنور لغيره وذلك الشخص لا ينازع هذه المنازعة من سبب كبره وعظمته في ذاته وصفاته الجواب عن الرابع قوله قد ذكرتم ان الذات للنفس ثلثه انواع المعارج وما اظهرتم هنا معارج الصفات لا معارج الذات قلنا لا اشك عند العقلاء ان في كل موضع كان للذات معراج كان لصفاته ايضا معراج متابعة

للذات لضرورة ان الصفات والذات لا ينفصل احدهما الا ترى ان العاقل اذا صعد السطح او الجبل صعد معه صفاته جميعا وليس في ذلك حيفا اما في مسئلتنا سير النفس الباطن من طريق الباطن الى عوالم الارواح الروحانية فانما يسير معها صفاتها المختصة بها ولا يتاخر عنها ضرورة كما علمنا في الاوصاف الظاهرة للابدان الظاهرة الا في مقامات الفنا والحيرة والموت واشباه ذلك فان في هذه المقامات تنهزم بعض الصفات وتنفض كما تنفض الاوراق والاشجار في الخريف وذلك هي الصفات الذميمة وكذلك صفات العلم والفهم والذكر لما في عوالم الظاهر وعلى الخصوص في مقامات الفنا كان زوال هذه الصفات اسرع وذلك ظاهر عند هذه الطايفة فقد يكون لذات النفس بعض الصفات لازمة ولا ينفك عنها وكانت الصوفية عنها في غفلة لسبب انهم قل ما يحتاجون اليها ولكن في هذه المسئلة يحتاج اليها مشايخهم واهل الفتاوي منهم وذاك صفات التركيب والتاليف والاجتماع والافتراق لاجزا النفس فان النفس مهما كانت في البدن فتركيبه كتركيب البدن بعينه راس ووجه وظهر وبطن وساق وقدم الى ساير الجوارح بشكل البدن لا غير الا ان النفس جسم

لطيف الطف من الهوآ والبدن كثيف عن لطيف ثم اذا سار النفس
وينفذ من البدن الى عوالم الروحانيات فكلما ازداد قدها
وقامتها تغير تاليفها وافتراق اجزآيها وتراكب اعضآيها كالرايحة
في بخار العود مركب بشكل العود وقامتها فلما خرج من العود
بالاحراق بقيت الرايحة في اجزآ البخار ولكن يختلف تاليفها وارتكاب
اجزآيها ويكبر كبيرا حتى لا يسع في الدار فينفذ الى المحلة كذا
في مسئلتنا النفس الانساني اذا نفذ من درب المسير الى عوالم
الروحانيات وارتقى يرتقي قدها على مثل ارتقآيها الى ان يصير
المعارج والارتقا جبلة وطبيعة لها ويشيع صفاتها في جملة
اجزآيها ويتصف كلها بكلها حتى صار كلها كلها فالان يرتقي
من جميع جوانبها ويسري اذ صار كل اطرافها وجوارحها
متشابهة متساوية منضوبها بعضها في بعض فينفذ جميعها
في جميع جوانبها كشبه شعاع الشمع والسراج اذا شعلته
في وسط الدار ينفذ من جميع الجوانب نفاذا متساويا ما لم يمنع
مانع ثم من بعد ذلك اذا كثر للنفس هذا المعراج على هذا
النسق صار النفس دايره مدورة محيطة بكل الكاينات كشبه
البطيخة تخبط حول البذر ثم لا يزال يزيد علوا وارتقا الى ان

يبلغ الى مقام يكون المخلوقات من العرش الى الفرش كخردلة في
فلاة فاذا صار كذلك لا يشتبه على العاقل ان التاليف والتركيب
السابق لم يبق بل تغير وهذه الصفات اعني التركيب والتاليف
والاجتماع والافتراق معروفة مشهورة عند المتكلمين ان الجسم لا
يخلو عن هذه الصفات ولا يكون ذلك الصفات عين الذات الجسماني
بل هي اعراض فيها وذات نفس الانسان جسماني له طول وعرض وعمق
سوآ حين كان طينا وترابا او حين كان ماء ونطفة او حين كان
علقة ومضغة وانسانا تاما وصبيا وشابا وشيخا وما فوق
ذلك الى ما لا يحصى لا يخلو عن الطول والعرض والعمق وكان جسمانيا
ضرورة غير انه اذا كان روحانيا كان لا تزاحمه الروحانيات ولا
تزاحم هو الروحانيات في المكان كشبه شعاع الشمع والسراج وقبل
ان صار روحانيا يزاحم فاذا علمت ان التاليف والتركيب والاجتماع
والافتراق يتبدل ينبغي ان تعلم ان ذات النفس ليس ذات التركيب
والتاليف وانما هي ذات الجسم وفي هذه المقامات ما فات من اجزآيها
شي وما انتقص ولكن ازداد بالامداد الروحانية الواصلة اليها
المتصلة بها حتى ازداد بها قدها وقامتها كشبه القطن المندوف
اذا زاد النداف عليها بقطن آخر وكالطفل ابن يوم صار رجلا كبيرا

هو ذاك الذي كان طفلا بعينه ولكن الله تعالى زاد فيه امدادا
واجزا بالاغذية حتى كبر وصار اضعاف ما كان من قبل كذلك
نشوه ونموه في عوالم الروحانيات فافهم ان شا الله وحده
اما قوله بان الصغر والكبر لذات الجسم صفة لا ذات فقد اخطا
بل ذاك المتزايد ذات لانه اشاره الى زوايد اجزا من جنس الذات
اتصل بالذات واما اللطافة والكثافه هكذا يرجع الى ذات الجسم
المركب على وجه يكثر الخلل والفرج فيما بين اجزآيها ولا يكون فيها
شي من الالوان او يقل فيكون لطيفا كشبه الما والهوا والبلور
وان كان مكتنزا وحجتهما على حد المبالغة ويقل الفرج فيها ويكون
فيها شي من الالوان يسمى ذلك كثيفا كالحجر والمدر واشباهها وكثرة
التخلخل في اجزا الجسم وعدم اللون في الجسم ليس شي من ذلك اشارة
الى الصفة وانما هي اشارة الى الفنا والعدم وهي عدم الاجزا وعدم
اللون فعلم من ذلك ان تزايد نفس الانسان في اللطافة ليس باثبات
صفه وانما هي بزوال صفه اما صيرورته منورا لغيره فذلك
راجع ايضا الى ذات النفس لانه في هذا المقام تساقط عن النفس جمهور
صفات الكدورات وشوايب الصفات الذميمه وكثافة الامزجه
كلها تساقطت عنها بسبب تغطيها وتوسعها بامداد انوار روحانية

واتخاذها بما امتزج بها من الانوار الروحانية والانوار الروحانيه
مضية منورة الاغيار فاذا اتحد بها وامتزج معها نفس الانسان
صار كمثلها مضيه منورة الاغيار واهبة للضيا كالشمس في النهار
وكالحطب اذا اوقد النار عليها اشتعل نارا منورا للبيت ولو وقع
في مملحة صار ملحا وفي التراب صار ترابا ويحمل على النار والملح
والتراب كذلك النفس فافهمه واذا عرفت ذلك علمت ان ذلك
ايضا اشارة الى مجرد الذات اذ ازدادت بذات اخري واتحدت معها
ووافقها بتوفيق الله تعالى وترتيبه جل وعلا وهذا المقام للنفس
هي المقام التي فيها بلطافة ضيا النهار اعني الضيا التي اذا قدرنا
عدم الشمس والقمر والكواكب والسماوات والارضين ولا شي
الا ضيا النهار التي مثلنا بها نور نفس الانسان البالغ ففي هذا
المقام لو نظر رجل بصير يظن انه لا يرى شيا ولو نظر نظرة
ثانية شافية يعلم انه يرى شيا وكل شي يرى ثمة يرى بقوته
فاذا وصل الى هذا المقام فهو المشكاة الآن التي مثل الله تعالى
نور ذاته المقدس بها فقال عز وعلا الله نور السموات والارض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح واذا صار كذلك فالعاقل البصير
اذا نظر الى ذلك الضيا يعلم ضرورة ان ذلك الضيا ذات الضيا

بعينه وعينه الضيا لاغير واذا صار كذلك فالعاقل البصير اذا
نظر وليس فيما بين ذلك صفة اخرى فلهذا المعنى قلنا
ان الذات نفس الانسان هذه المعارج الثلثه اما قوله بان
الجسمين احدهما كبير والاخر صغير واحدهما كثيف والاخر لطيف
قلنا بلى هو كذا ولكن لا لاختلاف الصفات بل ذاك احوال الذات قلّه
وكثره اجزا على ما مرّ من قبل تفهم ان شا الله وحده امّا
قوله اذا كان كذلك ظهر ان هذه المعارج معارج الصفات
قلنا جواب ذلك من وجوه كثيرة قد مرّ من قبل فلا حاجة الى
الاعادة وجواب آخر متى ما شرحنا هذه المعارج بانواعها
وفهمتها وسلمتها حصل المقصود ثم بعد ذلك لو لم تعلم ان ذلك
معارج الذات ومعارج الصفات قل ضررها ولا يكون اكثر
من ان لا يكون من علماء هذه الطايفة كاملا ويكون في معرفة نفسك
ناقصا تفهم ان شا الله وحده فصل اذا عرفت ذلك فاعلم
ان هنا معراجا آخر لنفس الانسان تحصل من المعارج الى اعلى
واسفل وهي المعراج الى القرب في الحقيقة وينفذ الى عوالم
الوحدانيه ولا يشبهه ذلك ما ذكرنا من المعارج الى اعلى واسفل
والى اليمين واليسار ولكنه معراج سكون وسكينة ليس فيها

نقله من مكان الى مكان بجنبه وانما ذلك صيرورته من مكان
اجسام كثيفه الى مكان اجسام لطيفه وهي ضيا الشمس مثلا
ثم من ثمه الى مكان شعاع العين وذلك الطف من الاول ثم مكان
نور العقل والسرّ ومن ثمه الى مكان الاخفى ومن ثمه الى ما
هو اعلى والى ما هو اعلى حتى يصل الى آخر امكنة الروحانيات
والارواح والانفس الى مقطع امكنة المخلوقات لا يكون للمخلوقات
مكان اقرب منها فما ورا ذلك مكان الله تعالى فلا يكون للمخلوق ثمه
سبيل ومشاهدة الحق تعالى ثمه يكون بالتجلي من الله من بعيد
بُعدا عجيبا بُعدٌ هو قربٌ ويكون للعبد في هذا المقام معاينه
فانه ليس للمرتقي ولا للمشاهد مقام اعلى من ذلك ولا يعرف
العظمة والكبريا بذلك المعراج وانما يعرف ذلك بمعارج سابقه
في عوالم الروحانيات فان هذه المعارج الى عوالم الوحدانيات
والفردانيات بلى يعرف بهذه المعارج الوحدانيات ثم يعرف بهما
معنى ليس كمثله شي مثال ذلك المعارج على سبيل التقريب خابيه
تملاها بطاطيخ ثم تجعل في تجاويف البطاطيخ الرمان ثم في تجاويف
الرمان التفاح ثم في تجاويف التفاح الفستق ثم في تجاويف الفستق
السمسم ثم تصب الما فوق الكل قد رجو فذلك الخابيه بالرمة

مكانا واحدا فيها اجسام مختلفه البطيخ جسم كثيف والرمان الطف
من البطيخ واكثف من التفاح والفستق الطف من التفاح والسمسم
الطف من الفستق ثم الماء الطف من الكل ثم اراي العين الكل
في مكان واحد مع ان الكل في مكان نفسه بعيد من مكان غيره وانما
ذكرنا هذا التمثيل ليفتح لكم باب الوهم والفهم مع ان كل ذلك كانت
اجساما كثيفه وتمثيل اخر تقدم الناس بعضهم علي بعض بفضله
الفضل ولطافة الطبع والكياسه وحسن الخلق والجلافه فان
السواس والرجال في الاصطبل والركابي اشرف يكون له بيت
مفرد خارج الاصطبل والحاجب الصغير علي باب السرادقه والحاجب
الوسط داخل السرادقه علي باب الخيمة والحاجب الكبير علي باب بيت
الخشب في الخيمة والوزير في بيت الخشب علي الكرسي بين يدي الملك
والملك علي السرير في البيت فيقدم هؤلاء بقدر تقدمهم
بمعاني مقتضيه للتقدم عند الملك كذا في مسئلتنا غير ان في
مسئلتنا سبب التقدم للطافه بحسب غاية ما في الباب ان يقال
ذلك اللطافة حاصلة من المعارج كان بفضل الله تعالى وجوده
وتوفيقه مع مراقبة العبد ومجاهداته فنقول بلي كذلك ولكن لما
كان الكل في العاقبة يودي الي ذلك اللطافة ثم بذلك اللطافة

يتقدم العبد ويصير مقربا واعلم ان معرفة ذلك مبناه علي
معرفه امكنه اجسام مختلفه لطافه وذلك اصل كبير في المعارف
فان معرفه الوحدانية التي ذكرناها في كتاب كشف الحقايق بذلك
المعراج تفهم ويسهل معرفه العظمه والكبريا بالمعارج المتقدمه
ومعني قوله تعالى ليس كمثله شيء يعلم من هذه الجملة وقد اشرنا الي
هذه الامكنة المختلفة في كتب اخر في كتاب المحك والمراة وكشف
الحقايق ۝ فصل اما معارج الصفات الثمانية التي اشرنا
اليها من قبل وهي السر والعقل والايمان والمحبة
هذه الاربعة قطعات انوار روحانية مختلفة امكنتها في القلب ۝
واربعة اخرى هي الملكية والسبعية والبهيمية والشيطانية
فهذه الاربعة ايضا قطعات اربعة من الانوار المختلفة الروحانية
مجبوله في جبلة النفس ۝ فاما معراج السر فهي ازديادها
في اللطافة والضيا والقوة علي العمل ولا يكون لهذا السر شي
من الزوايد الا بعد ان كانت النفس مطمينة وتاخذ في الازدياد
فيزداد السر من ضرورة متابعة النفس لان الله تعالى انما
خلق السر لمراقبة النفس حتي يكون بدرقه مراقبة النفس اينما
توجهت النفس مهما كانت للنفس معارج وصعد عاليا رفيعا وكبر

كبير اليوم السر ان يكون مع النفس حيثما كانت لان النفس بدون
الهمة وهي السر ضايعه فلاجرم الله تعالى وتقدس يصعد السر
مع النفس ويجريه معها ويمدها بزوايد الامداد وقوة
المعاملات ثم العياذ بالله لو كان سير النفس لاعلى وفق العقل
والشرع فالسر والعقل يلازمانها ويوافقانها ضرورة ان
الله تعالى الزمهما موافقة النفس فاذا وصل النفس الى محتفها
في اسفل السافلين سلمها الهمة الى الدرك الاسفل من النار
وترجع وذكرنا في مواضع آخر ان الهمة للنفس بمنزلة اليعسوب
للنحل اعني لبس الهمة من كل وجه اله لنفس الانسان بل يعمل
هذا السر بعض الاعمال بنفسه من غير حضور النفس في عوالم
الروحانيات وبعض ذلك الاعمال هو ان يرى الانسان في منامه
ما يرى وهذا السر في ذلك المعنى يخالف العقل فان العقل آلة محض
لا يعمل عملا بنفسه وانه آلة النفس يعمل به النظر والاستدلال
وهذا السر اذا اخذ بالازدياد في موافقة النفس انما يمده الله
تعالى بالامداد والاغذية من جنسه فافهم ان شاء الله وحده
فاما معراج العقل فقد بينا في كتب اخر ان العقل قطعة نور
في القلب وابتدا خلقته كان في رحم الام ثم يزداد في كل وقت الى ان

يبلغ

يبلغ مبلغ الرجال ففي ذلك المقام يسمى عقله عقلا كاملا عند علما
الاسلام ثم ذلك المقام وان كان عقله لكنه قابل للزيادة وازدياد
العقل في كبره ولطافته وحدته فيكون في موافقة النفس بمدد
موهبي بمدد الله تعالى من جنسه واما ضرورته لطيفا
حديدا كان لغاية الدخول في لطايف الامور وخفايا الاشياء
الدقيقة ليستخرج العاقل لطايف الامور ودقايق الحكم وذلك
الاستعمال للعقل واستخراج هذه الدقايق واللطايف يكون
قويا وقوة كاملة للعقل ايضا فان النفس لما صعد المعارج
العالية في العوالم المتعالية يحتاج ان يكون معها العقل ليحفظ
بها حسن السير ومحامد الاداب ومهمات الحوايج في الحضرة المقدسة
فاذا وصل النفس الى نهاية وصل العقل ايضا لذلك المهم فافهم
ان شاء الله وحده فاما معراج الايمان فاعلم ان اصل الايمان
عطايي وهو الذي قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان وذلك
نور روحاني مضاف الى الله تعالى حيث قال ان الله تعالى
خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه اهتدى ومن
اخطاه ضل وغوى وفي رواية فمنهم من اصابه قطرة
ومنهم من اصابه قطرتان ومنهم من لم يصبه شيء وذاك

العرش هو كتابة الايمان في قلوب المومنين فاذا معراج ذلك
زيادة نوره حتى اذا مشى مومن حيث ما مشى مشى ذلك النور
بين يديه وبايمانه وخلفه وقدامه واسفله واعلاه سوا
تعالى وتسافل وتيامن او تياسر او تشارق او تغارب
كما قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقال في موضع
آخر والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم ثم حيث
ما كان نفس المومن في معارجه كان ذلك النور معه وعلى قدر نسو
المومن في نفسه يزداد هذا النور معه وقد بينا في المراة
والمحكل ان الايمان ثلثه اركان واحد منها ذلك النور وهو الايمان
العطائي والثانيه الاعتقاد الكسبي والثالثه كلمه لا اله
الا الله اما كلمه لا اله الا الله فان الله تعالى جعلها شجره طيبه
تنبت دايما الى ما شا الله تعالى قال الله تعالى مثل كلمه طيبة
كشجره طيبه اصلها ثابت وفرعها في السما وقال تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال وهي كلمه لا اله الا الله ثم
تلك الشجره تنمو وتنبت حتى تصل الى مقطع معارج هذا المومن
فيكون ثمه يبلغ المومن الى ثمه وينقطع معارجه بانقطاع اجله
ثم تلك الشجرة تظل فوق راسه ابدا وتكون له سدرته وطوباه

ولو

ولو كان المومن سريع السير فربما يسبق تلك الشجره والشجره تصل
اليه من بعد وربما تسبق الشجره وتصل الى غايه مقامات المومن
وتنبسط اغصانها وافنانها ثمه حتى تصل المومن اليها ثم ان
المومن يسرع السير خلف الشجره ويسبقها الى ان ينقطع السير
في المقام بالموت او بغيره ثم تصل الشجره وتنبسط افنانها وتخرج
جميع ازهارها وانوارها وثمارها في جميع منازل المومن وممالكه
وتلك الشجره في الحسن والجمال و اللطافه والزينه والبها في جميع
ممالك المومن يكون بحال ياخذ جميع موجودات ممالكه الجمال والجلال
واللطف والبها والزينه والتزين منها وكان كل سكان هذه
الممالك مماليك مالك هذه الكلمة وعشاق جمالها وجلالها الا الجنه
لطايفها وطرايفها توجد من تلك الشجرة قال الله تعالى ومثل
كلمه طيبة الى قوله باذن ربها وامداد تلك الشجرة في وقت النمو
والارتقا من الاعتقاد الكسبي والايمان العطائي الذي في القلب قد
رسخ ربيعها ذكر الله وخريفها محبه الله وقطافها المعارج الى
جنه عاليه قطوفها دانيه كل قلب فيه ذلك الاعتقاد الكسبي
والايمان العطائي ومحبه الله وذكر الله اثمر تلك الشجره واخرجت
الشجره ثمر المعارج وكلما كان من القلوب بهذه الاوصاف اعمر

كان شجرة كلمة لا اله الا الله اعلى وارفع واعظم قدرا وثمرا وكلما
اخبر لكم هاهنا قطرة من بحر هذه الكلمة الطيبة التي شاهدناها
ورايناها ببصاير القلوب ومن كان له بصيرة من هذه الطائفة
لا يخفى عليه شي من ذلك ان شا الله وحده واما الاعتقاد
الكسبي الذي في قلب المومن فهو الايمان الاستدلالي الحاصل
بالنظر والاستدلال بحكم الله تعالى وامره جل وعلا فانه قال
قل انظروا ماذا في السموات والارض وقال وفي الارض آيات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقال افلا ينظرون الى
الابل كيف خلقت الى قوله تعالى فذكر انما انت مذكر ثم هذا
الاعتقاد الكسبي مع الايمان العطائي تعاقدا واتحدا واغترسا
كاغتراس الشجرتين المتمازجتين وانما اتحدا واغترسا معا
لاتحاد منبتهما واقتراب تجانسهما في قلب واحد ثم كلمة لا اله الا
الله اذا رفع راسها من سرها والقى عروقها تحت ذيولها وانبسطت
عروقها والتفت وانبتت في الجوانب الست ترتفع راسها الى اعلى
عليين كما اشرت اليها وذلك الاعتقاد ايضا كان مع المومن في
المعارج وهي قطعة نور ايضا ولها نشو ونمو وحينما وصل جميع
ذلك الى اعلى ذروة الايمان وشرعت في بداية عالم الاحسان

فذلك

فذلك الايمان الذي كان هنا ايمانا عن غيب كان ثمه ايقانا عن مشاهده
وفي ذلك المقام مع انه لا يسمى ايمانا وانما يسمى ايقانا واحسانا
لكنها بعينها عين الايمان الذي كان من قبل ولم يتغير شي من اوصافها
غير القوة والقدرة والضيا والنور مع الكبر والارتفاع والا
فهي عين ما كان من قبل مثاله الطفل ابن يومه اذا كبر بمرور
ايام واعوام فصار شابا وشيخا فهو الآن عين ما كان طفلا مع
انه لم يبق طفلا في الحال واذا عرفت ذلك فاعلم ان جميع الطاعات
واعمال الجوارح تكون اسباب نشو ذلك الايمان وشرايط ارتقايها
ويكون بعضها حصارا لها يحفظها من سموم صيف المعاصي
وزمهرير انفاس الشياطين من الانس والجن والمعاصي كلها
سموم وهلاهل ونيران حراقة لاصول شجرة الايمان وفروعها
الا ما عصمه الله تعالى فافهموا رحمكم الله جدا ان شا الله وحده
اما معراج المحبة اعلم ان اول المحبة انوار الارادة ثم تزداد
قوتها قليلا قليلا الى ان تصير نار المحبة ثم تاخذ بالاحتراق فتسمى
محبة وان اتصلت به وصال المحبوب لا تحرق ولكن يكون نورا منورا
وان لم يجد وصال المحبوب تحرق وتسمى شوقا وعشقا ولا يزال
يزداد ايمانا ويرتقي سرمدا في ارتقا النفس لانه لو لم يزد ولا

يرتقي في مواقف النفس تلاشيا واضمحل ولا يظهر في عالم النفس
كذرة في فلاة وقطرة في بحر وتزايد ذلك ثما يكون بارادات
كسبية تارة وتارة بارادات عطايية وتارة بهما والاصل في ذلك
ان تعلم ان ابتداها كسبي وعطايي فالكسبي هو الذي ينظر المريد
ابدا دايما الي فضل الله تعالى معه وجوده وكراماته اياه ويذكرها
بلسانه وقلبه ثم يقوه ذلك النظر والذكر يتولد ارادات ومحبات
عجيبة ولو كان المرء اصاب المكاشفات والمشاهدات يجد في
عوالم معارجه ومشاهداته من الكرامات والايادي من الله تعالى
بحيث يربوا موهبة لحظه علي مواهب اعوام وسنين في اوقات
ومقامات اخر فالمحبة والارادة الحاصله بذكر ذلك ورؤيتها
كان مضافا الي كسبه وربما يبلغ المحبه الكسبية الي مقام لا يحتاج
ولا يسع فيها محبة عطاييه ولو كان في المحبة والارادة الكسبية
ذلك نقصان فان الله تعالى يكملها من عالم جوده وفضله تعالى
وتقدس فعلي الخصوص لاصحاب امثال هذه المعارج قال الله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
ثم ان هذه الانوار الاربعة كل واحد منها مخالفة للبواقي لونا اما
لون المحبة وهي السر يضرب لونها الي لون الشمس ولون الايمان
الي

الي لون القمر ولون المحبة الي لون النار والعقل نور صافي لا لون
لها فافهم جدا ان شا الله تعالى وحده ن فصل اما الصفات
الاربعه الاخري التي هي مجبولة في جملة النفس فهي امهات صفات
حميده وذميمه ومنشا عموم صفات الانسان من تلك الاربعه
ومقام الاربعة في جملة النفس كما اشرنا لا يختص بالقلب دون
غيرها مع ان امدادها من القلب لان دار الكل للنفس وصفاتها
هي القلب وهذه الصفات الاربعة هي اربعة انوار ايضا ولكل
واحد منها علي خلاف لون الاخر اما الصفة الملكية يضرب لونها
الي الحمرة والسبعية الي السواد والشيطانيه الي الظلمة والبهيميه
صاف لونها فاما الملكية قابلة للزيادة من حيث كونها مخلوقة
والنور المخلوق يقبل الزيادة لا محاله ثم كلما ازداد نفس الانسان
وعظم وارتقي في المعارج كذلك ذلك النور الملكي يزداد بامداد
واصلة من الله تعالى فانه لولا المدد لا يزداد بل يتلاشي ويضمحل
في النفس عند عظمة النفس كما اشرنا من قبل واذا ازداد الصفه
الملكيه ازدادت اثارها لا محالة فافهم جدا ان شا الله وحده
اما الصفة السبعية يزداد ايضا بمعارج النفس لما اشرنا
اليها من قبل وايضا فان حاجة النفس الي الصفة السبعية في

زمان المعارج اكثر لانه مهما كبر وارتقى وارتفع وتعالى معارجه
فغير الاغيار عليه يزداد ويرتفع وكان قصاده على قصده
احرص ومدفعهم السبعية وايضا لو لم يكن للسبعية تزايد
وترافع غلبت البهيمية ولا يبقى للنفس شجاعة ورزانة فيكون
كالمخنث في سبيله سوا واما مدد الصفة السبعية عطا
من الله تعالى لكن بنا هذا العطا على استعمال النفس لذلك الصفة
فيعمل بها الشجاعة ويكثر الجلادة بها في المعارج فافهم ان شا الله
وحده واما الصفة البهيمية ايضا يزداد على قدر تزايد ذات
النفس وعلى قدر تزايد صفات اخر لانها لو لم تزد تلاشت واضمحلت
في معارج النفس وسقط ركن من اركان صفات النفس ويودي
الى ان يتعلق بالدنيا او بالاخرة وينقطع عن الله تعالى وبالصفة
السبعية والشيطانية يهلك نفسه خسر الدنيا والاخرة
واما مدد هذه الصفة البهيمية عطا من الله تعالى لكنها
بنا على اعراض العبد من طمع الدنيا والاخرة فاما صفة
الشيطانية تزداد ايضا على وجوه ما اشرنا اليها من قبل وعلى
الخصوص في عوالم المعارج مساس الحاجة الى هذه الصفة ابلغ
لان مسير السالك في هذه العوالم على الجبال والبحار والبراري

والتلال المملوة من النيران والافاعي والاساد والاساود
النارية الحديدية وسيول السموم وهبوب السموم والفلوات
تحت السماوات الممطرة امطار الزحير والزمهرير ولا يبقى بنفسه
العزيزة الشريفة المحبوبة المعشوقة له في اشباه ذلك المهالك
الا بقوة وصف الشيطانية وقوة العنصرية والتهود وقلة
المبالات بالخير والشر والموت والحياة والسلامة والملامة
ولو كان لذلك الصفة خلل ونقص ينقطع ولا يصل الى المقصود
ثم تزايد هذه الصفة ايضا موهبة من الله تعالى لكن بنا على
كسبه بذلك الصفة وذلك الكسب هو اقتحام المهالك وقلة
المبالات بكثرة الاعادي والمكاره فاذا سار مدة لذلك وغلب
على الاعداء ومعارضيه في سبيله يزداد هذه الصفة وينبغي
للمريد السارى ان يكون كيسا دراكا حافظا مراقبا لذلك الصفة
كيلا يغلب على ساير الصفات اذ هي طاغية حمقى فاذا تحركت واظهر
مبادي الحماقة والطغيان يجرها ما بقها وزمامها ويكبح باللجام
النيركي بقوة صفاته الملكية والبهيمية والعقل والسر والايمان
والمحبة ويكسر شوكة ذلك الصفة ويحفظ ايضا كيلا تتفق
السبعية والشيطانية والعياذ بالله يودي ذلك الى ان يصير المرء

عدو مطلوبه ويغيض مقصوده ويوقد نار الفساد على سداد
الصلاح ويدعي الربوبية من سفاهته اذا عرفت ذلك
فاعلم ان معارج النفس انما يكون ما دام في مقام التكليف ومقام
التكليف هو دار الدنيا فاذا خرج من الدنيا ارتفع التكليف وانقطع
من المعارج وتوقف مملكته من عوالم المعارج على قدر ما احرز
وحاز من قبل من عوالم الحقيقة فافهم ان شا الله وحده واعلم
ايضا ان الصفة الالهية والعقل والايمان والمحبة معارج حيث لا
معارج للنفس فافهم ٥ اما معراج السر فاعلم ان السر
للنفس في بعض الاحوال كمثل الفيج وهي حالة النوم مثلا او
في وقت الحالة يرتقي الى عوالم الروحانيات ويأتي باحوال ذلك
العالم الى النفس ويعلمها واما العقل آلة النفس فتصعد الى
ما فوق السماوات العلى وفي قعور البحار وفي بواطن الامور
ويخرج بها المعاني فيضع بين يدي النفس فذلك معارج العقل
بالنفس فذلك معارج العقل بالنفس لكن صعودها وسيرها
من غير النفس لا مع النفس كشبه ما ينظر من الارض الى السما
فشعاع عينه تصعد السماوات ويري للنفس في الارض ما على
السما من الكواكب هذا معراج شعاع العين بالنفس لكن لا مع

النفس نعني بذلك ان النفس هي التي ارسل شعاع العين الى السما
او المشرق والمغرب وما نعد النفس ولا العين واما الايمان
فلها معراج وقد يكون معراجها بلا نفس وذلك معراج شجرة
كلمة لا اله الا الله كما بينا من قبل قال الله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب وقال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها
ثابت وفرعها في السما فافهم ٥ اما المحبة لا تصير من النفس
الا ان يشتعل شعلة فذلك الشعلة تحيط بالنفس ولا ينفصل
عنها بعيدا فافهم واما الصفات الاربعة الاخرى لا يرتقي
عن النفس وكان معارجها مع النفس لا غير تفهم ان شا الله وحده
اذا عرفت ذلك فاعلم ان هذه الصفات كلها يكون معه
يوم الحشر الى ان يفرغ من محاسبات الخلق ويدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لان هذه الصفات في ذلك المقام مما يحتاج
اليها لانها موضع الخصومات والمنازعات والشفاعات
والعنايات والميراث ومراحل ذلك قال الله تعالى يوم يأتي
كل نفس تجادل عن نفسها وقال النبي عليه السلام اني اباهي بكم
الامم يوم القيامة ولو بالسقط وقال عليه السلام ان السقط
ليقف محتبطا على باب الجنة فيقول وعزة ربي وجلاله لا ادخل

الجنة حتى يدخل ابواي فقال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وقال عليه السلام شفاعتي لاهل الكباير من امتي
وهذه المعاملات تستدعي قيام هذه الصفات الثمانية اما
بعد ما فرغوا عن ذلك ودخل اهل الجنة الجنة لا يبقى لاهل الجنة
صفة السبعية والبهيمية والشيطانية اذ لا حاجة الى هذه
الصفات لان هذه الصفات انما احتيج اليها للسير والمعارج في
عوالم الحق وقد ارتفع السير واستقر به الامر على ما سبق
من عوالم المعارج لا يزيد ولا ينقص واذا لم تبق الى هذه
الصفات حاجة والسبعية والشيطانية كانت زحمة في الجنة
مخالفة لما يجري فيها من الاصول الى الاحوال وان البهيمية لو
بقيت لغلطت وابهمت قدر الالاء الله تعالى في الجنة ومن كان
عن معرفة ذلك في غطا لم يصح منه قوله الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا
يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب واما الصفة الملكية
تكون لاهل الجنة وكذلك السر والعقل والمحبة ثم المحبة في الجنة
تكون رضا ورضوانا لا يكون لها في الجنة احراق والتهاب فان ذلك
من اثار فراق المحبوب واهل الجنة في الوصال غرقى واما الايمان

يصير ايقانا ويبقى ابدا قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال تعالى لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وهذا المعنى لاهل الجنة
واهل المجالسة فاما اهل النار فالصحيح ان عقولهم تلازمهم فان
الحسرة والندامة والتغابن وامثالها احوال مكروهة شديدة
على النفوس وذلك لا يكون الا من الفكر والانظار بالعقول فتكون
لهم عقول تكميلا لانواع عقوباتهم واما العقل لا يكون معاقبا
وان كان مع الكافر في النار كيلا يبكه النار واما السر لا يكون
معهم في النار واما المحبة لاهل النار تكون وهي محبة الجنة
ونعيمها ومحبة النجاة من عذاب النار وتكون لتلك المحبة احتراق
والتهاب فتسمى محبتهم ذلك حسرة وندامة وتغابنا ولا يكون لهم
محبة الله تعالى ولا محبة اهل الجنة فان المرء مع من احب بنص
صاحب الشرع صلوات الله عليه واما صفة الايمان لا يكون
للكفرة وتكون للمومنين مستكنة في سويدا سواد القلب ويحفظه
الله تعالى كيلا تصل النار الى القلب الى ان يخرج المومن من النار
واما صفة الملكية والبهيمية لا تكون في نار جهنم لانه يحصل
بهما سكون وصبر وعذاب الله تعالى في نار جهنم على اهلها لا

يخالطها الصبر والسكون والمداراه ويكون الشده والمشقه
اكثر اما الشيطانيه والسبعيه لا تزول عن اهل النار في النار
ليعملوا الكل بها معامله السباع والشياطين مع انفسهم ويتاذون
ايضا بذلك والله ولي العصمه والتوفيق والسلام على من اتبع
الهدى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه اجمعين وكان الفراغ
منه عاشر ذي القعدة
سنه سبع وستين
وسبعماية
نفع الله
به